تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد

ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

albukharibook@gmail.com

المجموعة السابعة

تَنْبِيهُ الأُمَّةِ

عَلَى مَسَائِل وَأَحْكَام شَرْعِيَّةٍ مُهِمَّةٍ

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلِّف

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَده ونَسْتَعِينُه ونَسْتغفرُه، ونَعُوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسنا ومِن سَيئاتِ أَعْمَالِنا، مَن يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فَلَا هاديَ له.

وأَشْهد أَنْ لَا إله إِلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيكَ له، وأَشْهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورَسُوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النِّساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بعدُ:

فإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأمور مُحْدثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ فِي النار.

إنَّ مِمَّا يُشرِّفني أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ أَضع بَيْن أَيْدِيكم بعد تيسير العَزِيز الوهَّاب هَذَا الكتابَ: «**تنبيه الأُمَّة عَلَى مسائلَ وأحكامٍ شرعيةٍ مهمةٍ – المجموعة السابعة**»؛ والذي هُوَ كَذَلِك عبارةٌ عن سلسلةٍ لمقالاتٍ عِلميَّةٍ ونصائحَ تربويَّةٍ ورسائلَ توجيهِيةٍ إِلَى أبناءِ أُمَّتنا الإِسْلَامِيَّة.

فمَا كَان فِيهَا مِن صَوَابٍ وسدادٍ فَهُوَ مِن توفيقِ وتيسيرِ وفضلِ ربِّ العِبَاد، يَقُول ابْن القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ العارفون عَلَى أَنَّ كلَّ خيرٍ أَصْلُه بتَوْفيقِ اللهِ للعَبْد».(١)

ومَا كَان فِيهَا من خطأ أَو سهوٍ أَو نسيانٍ فمِن تَقْصيرِ مُقيِّدها ومِن الشَّيْطان، وأَسْتغفر عَلَى ذَلِك الغفورَ المَنَّان.

فاللهُ جَلَّ وَعَلَا «أَبَى أن يكسوَ ثَوْب العِصْمة لِغيرِ الصادقِ المصدوقِ،

---

(١) الفوَائِدُ (ص٩٧).

الَّذِي لَا يَنْطق عن الهَوَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(١)

فرحمَ اللهُ سُبْحَانه أخًا مُحبًّا ناصحًا، وَجَدَ وَهَنًا فنَصَحَ، أَو وَجَدَ خَلَلًا فأَصْلَحَ، ومَن مِنَّا أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوات يَسْلم مِن الخَطَإِ والوُقُوعِ فِي الزَّلَّات؟!

يَقُول الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ اللهُ: «هَكَذَا حَفِظْنا وهَكَذَا وَقَعَ فِي كِتَابي، ونَحْنُ نُخْطِئ، ومَن يَسْلم مِن الخَطَأ؟!»(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يَنفعَ بمَا فِي هَذَا الكِتَابِ مِن مقالاتٍ مُقيِّدَها وقارِئَها، وأنْ يَجْعل مَا سُطِّر فِيهِ خالصًا لِوَجْهِه الكَرِيمِ، وأنْ يَجْزي كُلَّ مَن أَعَانَ عَلَى إخراجِها فِي هَذِهِ الحُـلَّة وسَاهَمَ فِي نَشْرِها خَيْرَ الجَزَاءِ، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

كَتَبَه

أبو عَبْد الله حمزة النايلي

(الخريطيات/ قطر)

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٣/ ٣٩٤).

(٢) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ١٦)، شرح الموطأ للزرقاني (٣/ ١١٦).

اللّٰه اللّٰه في السرائر!

اللهَ اللهَ فِي السرائر!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن أهمِّ الأَعْمَال المَرْضِيَّة الَّتِي يُحبها ربُّ البريَّة، والَّتِي يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أن يَحْرص عَلَيْها فِي هَذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّة؛ أَنْ تَكُون سريرتُه مِن الشَّوَائب والأمراضِ صافيةً نقيَّةً. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسَّرَائِرُ جَمْعُ سَرِيرَة، وهِي سرائر الله الَّتِي بَيْنَه وبَيْنَ عَبْدِه».(١)

لِأَنَّ صَلَاحَ الظَّواهِرِ لا يَكُون بَعْد عَوْن العَزِيزِ القادرِ إِلَّا بإصْلاحِ السَّرَائِر. يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا حَسُنَت السرائرُ أَصْلَحَ اللهُ الظواهرَ».(٢)

---

(١) التِّبْيَانُ فِي أَقْسَامِ القُرْآنِ (ص٦٦).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٣/ ٢٧٧).

فلا نجاحَ وَلَا فلاحَ فِي الدَّارَيْنِ بما هُوَ ظَاهِرٌ إِذَا فَسَدَت النِّيَّاتُ والضَّمائرُ. يَقُول الإمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَنْ أَصْلَحَ سريرتَه فَاحَ عبيرُ فضلِه، وعَبِقَت القلوبُ بِنَشْر طِيبِه.

فاللهَ اللهَ فِي السَّرَائر، فإنَّه مَا يَنْفعُ مَع فَسَادِها صلاحُ ظاهرٍ».(١)

فالأَعْمَالُ الَّتِي تَظْهر وتُرى عَلَى الجَوَارِح أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضلُ هِي نِتَاجُ مَا فِي القَلْب وثَمَرةُ مَا تُخفِيهِ البَوَاطِنُ. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأَعْمَالُ نتائجُ السرائرِ البَاطِنةِ، فمَن كَانت سَرِيرتُه صَالِحةً كَان عَمَلُه صالحًا، فتَبْدو سريرته عَلَى وجْهِهِ نُورًا وإشراقًا وحياءً، ومَن كَانت سَرِيرتُه فاسِدةً كَان عَمَلُه تابعًا لسَرِيرَته لَا اعتبارًا بصُورَتِه، فتَبْدو سَرِيرَته عَلَى وجْهِه سَوَادًا وظُلْمةً وشَيْنًا، وإن كَان الَّذِي يبدو عَلَيْه فِي الدُّنْيا إنَّما هُوَ عملُه لَا سَرِيرَته، فيومَ القِيامَة تبدو عَلَيْه سَرِيرَته ويَكُون الحكم والظهور لها».(٢)

فمَا فِي القلب لَا بدَّ أن يَظهر عَلَى الأعضاء؛ لِأَنَّ صلاحَها هُوَ بِسَبَب صلاحه، وفسادها بِسَبَب فساده؛ فعَنِ النُّعْمَان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال:

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٦٨).

(٢) التِّبْيَانُ فِي أَقْسَامِ القُرْآنِ (ص٦٦).

قال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**».(١)

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَا كَان فِي القلب فَلَا بدَّ أن يَظْهر موجبُه ومقتضاه عَلَى الجوارح، وإِذَا لم يَعْمل بموجبه ومقتضاه دَلَّ عَلَى عَدَمِه أَو ضَعْفه، وَلِهَذَا كَانت الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ مِن موجِب إِيمَانِ القَلْب ومُقْتَضَاه، وهِي تصديقٌ لِمَا فِي القلب ودليلٌ عَلَيْه، وشاهِدٌ له، وهِي شُعْبَةٌ مِن مجموع الإِيمَان المطلق وبعضٌ له، لكنَّ مَا فِي القلب هُوَ الأصل لِمَا عَلَى الجوارح».(٢)

فالعاقلُ فِي الحَقِيقَةِ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام هُوَ مَن يُعْطي لهَذَا الأمرِ المهمِ المزيدَ من الجَهْدِ والحِرْصِ والاهْتِمَامِ. يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواجبُ عَلَى العاقلِ الاهتمامُ بإصلاحِ سريرتِه والقيامُ بحِرَاسةِ قَلبِه عند إقْبَالِه وإِدْبَارِه وحَرَكَتِه وسُكُونه».(٣)

ويَسأل دَائِمًا العَزِيز العلَّامَ بمَا كَان يدعوه بِهِ خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) مَجْمُوعُ الفتَاوَى (٧/ ٦٤٤).

(٣) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٢٧).

أفضل الصَّلَاة والسَّلَام بأنْ يُطَهِّر قلبَه مِن كلِّ الأوباءِ والأَدْوَاءِ والآثامِ، فَعَنْ زيدِ بن أرقم الأَنْصَارِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَان يقول: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أنت خَيْرُ من زَكَّاهَا أنت وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «ومعنى «زَكِّهَا» طَهِّرْهَا، ولفظةُ «خَيْرُ» ليست للتفضيل، بَلْ معناه لَا مُزَكِّي لها إِلَّا أنت، كمَا قَال «أنت وَلِيُّهَا»».(٢)

وَلمَا كَان هَذَا الفعلُ الكَرِيمُ بِهَذِهِ المنزلةِ العاليةِ والثمرةِ الجليلةِ الغاليةِ، أَوْلَاه مَن سَبَقَنا مِن الصَّالِحِين الاهتمامَ الكبيرَ والوقتَ الكَثِير؛ فكَانوا رَحِمَهم العَزِيزُ القديرُ يتواصَوْنَ بِهِ عند الالْتِقَاءِ والتَّذْكِيرِ.

يَقُول الإِمَام مُحَمَّد بن عبيد الله بن سعيد، أبو عون الكوفِي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت:١١١هـ): «كَان أهلُ الخير إِذَا الْتَقَوا يُوصِي بعضُهم بعضًا بثلاثٍ، وإِذَا غابوا كَتَبَ بعضُهم إِلَى بَعْض بثلاثٍ: مَن عَمِلَ لَآخرتِه كَفَاه الله دنياه، ومَن أَصْلَح فيمَا بينه وبين الله كَفَاه اللهُ النَّاس، ومَن أَصْلَح

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٧/ ٤١).

سريرتَه أَصْلَح الله علانيتَه».(١)

فَمَن كان مِن أَصْحَابِ السَّرِيرَةِ النقيَّة والبَوَاطِنِ المَرْضِيَّة، فَلْيَحْمَدِ الكَرِيمَ العلَّامَ عَلَى هَذَا الجُودِ والإنعامِ. يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا كَانت السريرةُ جيدةً صحيحةً فأَبْشِرْ بالخير».(٢)

ومَن كَانت سريرتُه خبيثةً وطَويَّتُه قبيحةً، ومَعَ هَذَا يُظهِر لِلنَّاسِ الصَّلاحَ وأنَّه مِن أَصْحَابِ الحِرصِ عَلَى ما فِيهِ خيرٌ وفلاحٌ ونجاحٌ؛ فليراجعْ نفسه، وليُبادرْ بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى العَزِيزِ القادرِ قَبْل أنْ يَأْتِيَ يَوْم تَنْكَشِفُ فِيهِ السَّرَائرُ ويَظْهر مَا خَفِي وكَان مستَّورا فِي الضَّمَائرِ، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعُني بقوله ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يَوْم تُخْتَبَرُ سرائرُ العِبَاد، فيَظْهر مِنْهَا يَوْمئذٍ مَا كَان فِي الدُّنْيا مُسْتَخْفِيًا عن أَعْيُن العِبَاد من الفَرَائِضِ الَّتِي كَان الله أَلْزَمه إيَّاهَا، وكلَّفه العَمَل بها».(٣)

---

(١) رَوَاه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِه (٧/ ١٦٢).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٦٢).

(٣) تفسير الطَّبَرِي (٣٠/ ١٤٦).

ويقول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تُخْتَبَرُ سرائرُ الصدورِ، ويظْهر مَا كَان فِي القلوب مِن خيرٍ وشرٍّ عَلَى صفحات الوجوه. قَال تعالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ففِي الدُّنْيا، تَنْكَتِمُ كَثِير مِن الأمور، وَلَا تَظْهر عيانًا لِلنَّاسِ، وأمَّا فِي القِيَامَة، فيَظْهر بِرُّ الأبرارِ، وفُجُورُ الفُجَّارِ، وتَصِيرُ الأمورُ علانيةً».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا مَا فِي القلوب فمَوْعِدُه يَوْم القِيَامَة، تَنْكَشف السرائرُ، ويُحَصَّلُ مَا فِي الضمائر؛ وَلِهَذَا عَلَيْنَا أَيُّها الإِخْوَة أَنْ نُطَهِّر قلوبَنا قبل كل شَيْء ثُمَّ جوارحَنا».(٢)

فعَلَى المُسْلِم أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أن يتعاهَدَ نفسَه ويعالجَها مِمَّا يصيبها من الأَدْوَاءِ والأَوْبَاءِ، ولْيحذرْ أشدَّ الحذر أن يغفُل عَنْها؛ لأَنَّهَا ميَّالةٌ للشهوات وأمَّارةٌ بما فِيهِ سوءٌ ومُنْكَرَات؛ يَقُول رب البريات: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفوسُ العبادِ تَأْمُرُهم بمَا تَهْوَاه،

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩١٩).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٢٨١).

وإنْ كَان هَوَاهَا فِي غيرِ مَا فِيهِ رضا الله». (١)

ويَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَأْمُرُ صاحبَها أي النفس بمَا تهواه من شهواتِ الغَيِّ واتِّبَاعِ الباطل، فهِي مَأْوَى كلِّ سوءٍ، وإنْ أَطَاعها أي صاحبها قادَتْه إِلَى كل قبيح وكل مكروه». (٢)

وَهَذَا كَان دَأْبَ العقلاءِ والصَّالِحِين، وَهُو طَرِيقُ أَهْلِ الفَلَاحِ المَوَفَّقِين. يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقلُ يفتِّشُ قلبَه فِي وُرُودِ الأوقات، ويَكْبَحُ نفسه عَن جَمِيع المَزْجُورَاتِ، ويَأْخُذها بالقِيَام فِي أنْواعِ المَأْمُورَاتِ». (٣)

لِأَنَّهم يَعْلَمون أنَّ الخُسْرانَ والحِرْمانَ يَوْم الوقوفِ بين يَدَي العَزِيز الرَّحْمَن سيكونُ مِن نَصِيب أَصحابِ النُّفوسِ الخَبِيثةِ والسرائرِ القَبِيحَةِ، يَقُول شَيْخُ الإسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنفوس الخبيثة لَا تَصْلح أن تَكُون فِي الجَنَّةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا من الخَبَث شيءٌ،

---

(١) تفسير الطَّبَري (١٣/ ٣).

(٢) إغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (ص٧٧).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص٢٩).

فإن ذَلِك موجِبٌ للفساد أَو غيرُ مُمْكِنٍ».[١]

فالله أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم مِن أَصْحَاب السَّرائِرِ النقيَّةِ والضَمَائرِ المَرْضِيَّة، وأنْ يُجنِّبَنا جَمِيعًا سُوءَ وخُبثَ الطويَّةِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ البريَّة.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٤/ ٣٤٤).

على ماذا تنافس؟!

عَلَى مَاذَا تُنَافِس؟!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِين.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الألفاظ الَّتِي يَكثر ذِكْرُها اليَوْم بين المُسْلِمِينَ حَتَّى أصبحَتْ تُنقَل عَلَى ألسنةِ الكَثِيرين هِي كلمة «التنافس»، يَقُول ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُنافسَة فِي الشَّيءِ: المُشَاحَّةُ عَلَيْه والتنازُعُ فيه».[1]

ويَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا المنافسةُ والتنافُسُ فمعناهمَا الرغبة فِي الشيء وفِي الانفراد به، ونافَسْتُه منافسةً إِذَا رغِبتُ فيمَا رَغِبَ فيه».[2]

---

(١) كَشفُ المُشْكِلِ (٢/ ١٠٥).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١١٩).

ويقُول الإمَام ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المنافسةُ تَتَضَمَّنُ مسابقةً واجتهادًا وحرصًا».(١)

فمَا أَجْمَلَها مِن كلمةٍ ومَا أَرْوَعَها مِن عبارةٍ عَلَى الأَلْسِنَةِ تُقال، لكنَّ العاقلَ أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضلُ عن حَقِيقَة هَذَا التنافسِ قَد يَتَسَاءَلُ، فَيَرَى أنَّ هَذَا القولَ الَّذِي يُذْكَر عَلَى أَلْسِنَةِ الأكثر لَا يُطلق فِي الحَقِيقَة عَلَى مَا حثَّ عَلَيْه العَزِيز المقتدرُ؛ حَيْثُ قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

يَقُول الإمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: فلْيَرْغَبِ الراغبون بالمبادَرَة إِلَى طَاعَة الله عزَّ وجلَّ».(٢)

ويقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فَأَمَرَ المنافِسَ أن يُنَافِسَ فِي هَذَا النعيمِ، لَا ينافِسَ فِي نعيمِ الدُّنْيا الزائلِ».(٣)

ويقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ النعيم المقيم،

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٣/ ٤٨).

(٢) تفسير البَغَوِي (٤/ ٤٦١).

(٣) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٠/ ١١٣).

الَّذِي لَا يعلم حُسْنَه ومقدارَه إِلَّا اللّه، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أيْ: فلْيتسابَقُوا فِي المبادَرَة إِلَيْه بالأَعْمَال الموصِّلة إِلَيْه، فَهَذَا أَوْلَى مَا بُذِلَت فِيهِ نفائسُ الأنفاسِ، وأَحْرَى مَا تزاحَمَت للوصولِ إِلَيْه فحولُ الرِّجَال».(١)

إذن عَلَى مَاذَا يُطْلِقُونه؟!

إنَّ التنافسَ الملاحَظَ اليَوْم بَيْن أكثرِ أفرادِ أُمَّتِنا الإِسْلَامِيَّة هُوَ فِي الحَقِيقَة عَلَى أَمْرٍ قد خَشِيَه عَلَى أُمَّتِه خيرُ البريَّة؛ أَلَا وهو التنافُسُ عَلَى الدُّنْيا الفانِيَة الدَّنِيَّة، فَعَنْ عمرو بن عوف الأَنْصَارِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَن كَان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**».(٢)

يَقُول ابنُ الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث تَحْذِيرٌ مِن فتنةِ الدُّنْيا، فإنَّ مَن طَلَبَ مِنْهَا فوقَ الحاجةِ لَمْ يَجِدْ لِمُرَادِه مَرَدًّا، ومَنْ قَنَعَ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩١٦).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٢٩٨٨) ومسلم (٢٩٦١) واللفظ له.

بالبلاغ بَلَغَ المَنْزِل سليمًا من الشرِّ».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَا كَان النَّاس إِلَى الفقر أَقْرَبَ، كَانوا لله أَتْقى وأَخْشَعَ وأَخْشَى، ولَمَا كَثُر المال، كثُر الإعراض عن سبيل الله، وحَصَلَ الطغيان، وصار الإِنْسَان الآن يتشوَّف لزهرةِ الدُّنْيا وزينتها: سيارة، بيت، فرش، لباس ... يباهِي النَّاس بِهَذَا كلِّه، ويُعْرِض عمَّا يَنْفعُه فِي الآخِرة.

وصَارَت الجَرَائدُ والصُّحُفُ ومَا أَشْبَهَها لَا تَتكَلَّم إِلَّا بالرَّفَاهِيَةِ ومَا يتعلق بالدُّنْيا، وأَعْرَضوا عن الآخرة، وفَسَد النَّاس إِلَّا مَن شاءَ اللهُ.

فالحاصلُ أن الدُّنْيا إِذَا فُتِحَت نسأل الله أن يَقِيَنَا وإياكم شرها فَأَنَّهَا تجلب شرًّا وتُطْغِي الإِنْسَان».(٢)

فالتنافُس اليَوْم بَيْن أكثر المُسْلِمِينَ صار وللأسف فِي مَن يَكُون أكثَرهم مالًا وأوسعَهم تجارةً، وبعضُهم أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أَصْبَحَ عِنْدَهم فِي فَوْز النَّوَادِي والمُنْتَخَباتِ، وجماعة مِنْهُم فِي مَن يَتَقَرَّبُ أَكْثَرَ

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٢/ ١٠٥).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٣٦١).

مِن الفنَّانِين والفَنَّاناتِ والمُمثِّلِين والمُمَثِّلات، وقد نَسِي هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أن هَذِهِ الأَفْعَالَ هِي مِن الشهواتِ والملذَّاتِ الَّتِي مَن غرَّتْه بزينتها فسيَلْحَقُه بعدَ ذَلِك بِسَبَبِها الندمُ والحسراتُ، هَذَا إن لم يَتُبْ ويرجعْ إِلَى ربِّ البَرِيَّات، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرورُ الدُّنْيا أحلامُ نومٍ أَو كَظِلٍّ زائلٍ، إنْ أَضْحَكَت قليلًا أَبْكَت كَثِيرا، وإِنْ سرَّت يَوْمًا ساءت دهرًا، وإِنْ متَّعت قليلًا مَنَعَت طويلًا، ومَا مَلَأَت دارًا خيرةً إِلَّا مَلأَتها عبرةً، وَلَا سَرَّتْه بيومِ سرورٍ إِلَّا خَبَّأَت لَهُ يَوْم شرورٍ».(١)

فهل يُعقَل أن يُنافِس المُسْلِم عَلَى أمرٍ مصيرُه، وإنْ طَالَ، إِلَى زوالٍ؟! يَقُول الإِمَام ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن تَفكَّرَ فِي الدُّنْيا قَبْلَ أن يوجَدَ رَأَى مدَّةً طويلةً؛ فإِذَا تَفكَّرَ فِيهَا بَعْدَ أنْ يَخْرُجَ مِنْهَا رَأَى مدَّةً طويلةً، وعَلِمَ أنَّ اللَّبْثَ فِي القُبُور طويلٌ، فإِذَا تَفكَّرَ فِي يَوْم القِيَامَة عَلِمَ أَنَّهُ خمسون ألف سنةٍ، فإِذَا تَفكَّرَ فِي اللَّبْثِ فِي الجنةِ أَو النارِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نهاية له؛ فإِذَا عاد إِلَى النظرِ فِي مقدار بقائه فِي الدُّنْيا فَرَضْنَا ستين سنةً مثلًا فإنه يمضي ثلاثين سنةً فِي النوم، ونحوًا من خمسَ عشرةَ فِي الصبا؛ فإِذَا حَسَب الباقي؛ كَان أكثرُه فِي الشَّهَوات والمَطَاعم

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

والمَكَاسِب، فإِذَا خلص مَا للآخرة؛ وَجَد فِيهِ مِنَ الرِّيَاء والغَفْلة كَثِيرا، فَبِمَاذَا تَشْتَرِي الحَيَاة الأَبَدية؟ إِنَّمَا الثَّمَن هَذِهِ السَّاعَات!»[(١)]

أَلَيْس أَجْدَرَ بِهِ أن يُنافس أخاه عَلَى عَمَلِ الطَّاعَات والتزوُّد بالخيرات والحِرْص عَلَى اجْتِنَاب المَعَاصِي والمُنْكَرات لِيَنَالَ جَنَّة ربِّ البَرِيَّات بإذن ربِّ الأَرْض والسَّموات؟! يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الجنةَ أعَلَى المَطَالب، وأفضلُ مَا بِهِ يتنافس المتنافسون، وكلمَا عَظُم المطلوب عَظُمَت وسيلتُه، والعملُ المُوصلُ إِلَيْه، فَلَا يُوصَل إِلَى الرَّاحة إِلَّا بترك الراحة، وَلَا يُدْرَك النعيمُ إِلَّا بِتَرْك النعيم، ولكنَّ مَكَارِهَ الدُّنيا الَّتِي تُصِيبُ العَبْدَ فِي سبيل الله عند تَوْطِينِ النَّفْس لها، وتمرينِها عَلَيْها، ومعرفة مَا تَؤول إِلَيْه؛ تَنْقَلب عِنْدَ أَرْبَاب البَصَائر مِنَحًا يُسَرُّونَ بها، وَلَا يُبَالُون بها، وَذَلِك فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَن يَشَاء».[(٢)]

فكيف بمسلمٍ خُلِق لِأَمر عظيم أَلَا وهو عِبَادة العَزِيز العَلِيم أَنْ يَجْعَل جُلَّ وَقْته ويقضي أكثر سَاعَاته فِي المنافسة عَلَى أمورٍ دنيويَّةٍ لَا تَعُود عَلَيْه بالنفع يَوْم وُقُوفِه بَيْن يديْ رب البريَّة؟!

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٥٠٥).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٠).

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَيْف يَكُون عاقلًا مَن باعَ الجنةَ بمَا فِيهَا بشهوةِ ساعةٍ؟!»(١)

أَلَمْ يكن الأَوْلى بشباب المُسْلِمِينَ بَدَلَ أنْ يتنافسوا عَلَى أمورٍ لَا تَعُود عَلَيْهم بالنفع فِي الدَّارَيْن أن يتسابقوا إِلَى مجالس العُلَمَاء الربانيين ويحرصوا عَلَى التفقُّه فِي الدين؟! يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أَوْلى مَا يَتنافس بِهِ المتنافسون، وأَحْرى مَا يَتَسابق فِي حَلَبَةِ سِبَاقه المتسابقون، مَا كَان بسعادةِ العَبْدِ فِي مَعَاشِه ومَعَادِه كفيلًا، وعَلَى طريق السَّعَادَة دليلًا، وذَلِك العلمُ النَّافِع والعملُ الصَّالحُ اللَّذان لَا سعادةَ للعبد إِلَّا بهما، وَلَا نجاةَ لَهُ إِلَّا بالتَّعَلُّق بِسَبَبهما، فمَن رُزِقَهُمَا فقد فاز وغَنِمَ، ومَن حُرِمَهُمَا فالخيرَ كُلَّهُ حُرِمَ، وهُمَا مَوْرِدُ انقسام العباد إِلَى مَرْحُومٍ وَمَحْرُومٍ، وبهمَا يتميَّز البَرُّ من الفاجر والتَّقِيُّ من الغويِّ والظالمُ من المظلومِ».(٢)

فعَلَى المُسْلِم أن يَستعمل هَذَا الفعلَ فِي مكَانه الحَقِيقِي، وعَلَيْه كَذَلِك أَلَّا يَغترَّ بصَرْف بعضهم لَهُ وجَعْلِهم لَهُ فِي غير موطنه، مهمَا

---

(١) الفَوَائِدُ (ص٣١).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥).

زَيَّنوا ذَلِك بِكُلِّ الوَسَائِل وزخرفوه. يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأغنانا سُبْحَانَه عن طلب التنافس فِي الدُّنْيا وعاجلها بمَا أَحَبَّه لنا، ونَدَبَنا إِلَيْه من التنافس فِي الآخرة ومَا أَعَدَّ لنا فيها».(١)

ولْيعلمْ أَيْضًا أنَّ أعظمَ صُوَر التنافس أنْ يَحْرِص أشدَّ الحرص عَلَى استثمار وقته فيمَا يعود عَلَيْه بالنفع والخير، بإذن الكَرِيم القدير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظمُ الربح فِي الدُّنْيا أنْ تَشْغَل نفسَك كلَّ وقتٍ بما هُوَ أَوْلى بِهَا وأَنْفَعُ لها فِي معادها».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفِّقَنا وإياكم لكلِّ مَا يحبه ويرضاه، وأن يُجنِّبَنا كلَّ مَا يُبغضه ويَأْباه، وأنْ يَجْعَلنَا جَمِيعًا عَلَى مَا ينفعنا فِي الدَّارَيْن مِن المتنافسين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

(١) إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (٢/ ٧٠).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٣١).

ما أجمل التبسم عند لقاء أخيك المسلم!

مَا أجملَ التبسُّمَ عند لقاءِ أخيك المسلم!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نبينا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ من أَسْبَاب نَيْل العَبْد لرضا الكَرِيم المنَّان، ومِن الوَسَائِل الَّتِي تُعِينه عَلَى دخول الجِنَان بعد تَحْقِيقه تَقْوى العَزِيز الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنْ يتَّصِف بمحاسن الآداب ومعالي الأَخْلَاق، الَّتِي هِي كَذَلِك من علامات كمال الإِيمَان، فعن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاس الجَنَّة، فقال: «**تَقْوَى الله، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».[1]

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمَعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٠٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

تقوى الله وحُسن الخلق؛ لِأَنَّ تقوى الله يُصْلح مَا بين العَبْد وبين ربه، وحُسن الخلق يُصْلح مَا بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجِب لَهُ محبةَ الله، وحُسنُ الخلقِ يدعو النَّاس إِلَى محَبَّته».(١)

ومِن هَذِهِ الصِّفَات الكَرِيمة والخِلال القويمة، الَّتِي يَنْبَغِي للمسلم أن يَحرص عَلَى التَّحَلِّي بها، هِي أن يَكُون ذا بَشَاشة عند تعامُله والْتِقَائه واجتماعه مع إِخْوَانه، يَقُول الإِمَام المنذري رَحِمَهُٱللَّهُ: «البَشَاشَة هِي: طَلَاقة الوجه، مع الفرح، والتَّبسُّم، وحسن الإقبال، واللُّطف فِي المسألة».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «الإِنْسَان يَنْبَغِي لَهُ أن يَلْقى أخاه بوجه طَلْقٍ وبكلمة طيبة، لينال بذَلِك الأجرَ والمَحبَّةَ والأُلْفةَ، والبعد عن التكبر والترفع عَلَى عباد الله».(٣)

فَهذَا الخُلُق الرفيع، وإن كَان يُرى أَنَّهُ يسيرٌ، إِلَّا أنَّ فَضْلَه كَبِير وخيرُه عَلَى صاحبه والآخرين كَثِير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ:

---

(١) الفوَائِدُ (ص٥٤).

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩١).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٦١).

«فمَا استُجْلِبَ خيرُ الدُّنْيا والآخرةِ بمثل الأدب، ولَا استُجْلِبَ حرمانُهَا بمثلِ قِلَّة الأَدَبِ».(١)

فصاحبه بنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقتدٍ، وبطريقته فِي التعامل مع النَّاس مُهتدٍ؛ فعن عَبْد الله بن الحَارِثِ الزبيدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَا رأيتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا من رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِأَنَّ شَأْنَ الكُمَّلِ إِظْهَارَ الانبساطِ والبِشْر لِمَن يُرِيدون تَأَلُّفِه واستعطافِه».(٣)

ولْيَسْعَدْ ولْيَفْرَحْ كلُّ مَن اقتدى بنبيِّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم فعمِل بِهَذَا الخُلُق القويم؛ لأَنَّهُ قد أتى بمَا أوصاه بِهِ العَزِيز العظيم؛ حَيْثُ قَال العليم الحكيم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يَقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة أَصْلٌ كَبِير فِي

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

(٢) رَوَاه التِّرمِذِي (٣٦٤١)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٦).

التَّأَسِّي برَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِه وأَفْعَالِه وأَحْوَالِه».(١)

ويقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَذِهِ الأُسْوَة الحَسَنَة، إنَّمَا يَسْلُكُها ويُوَفَّقُ لها مَن كَان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ، فإنَّ مَا معه مِن الإِيمَان وخَوْفِ الله ورجاءِ ثَوَابِه وخَوْفِ عقابِه يحثُّه عَلَى التأسِّي بالرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(٢)

وهو كذَلِك أَيُّها الأَحْبَابُ سَيَنال عَلَيْه يَوْم القِيَامَة بإذن الكَرِيم الوهاب الأجرَ والثَّوَاب، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول المُناوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ» أيْ فِي الإِسْلَام «لك صَدَقَةٌ» يعني إظهارك لَهُ البشاشة والبِشر إِذَا لقيته تُؤْجَر عَلَيْه كَمَا تؤجر عَلَى الصدقة».(٤)

وَهَذَا الخُلُق الجميل أَيُّها الأَفَاضِلُ الكرام سيكون لَهُ أَيْضًا عونًا

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٤٧٥).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٤٢٠).

(٣) رَواه التِّرمِذي (١٩٦٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٤٢).

عَلَى كسب مودة واحترام الأَنَام بإذن العَزِيز العلَّام، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طلاقة الوجه والبِشْر المحمود وسطٌ بين التَّعبيس والتَّقطيب، وتصعير الخدِّ، وَطَيِّ البِشْر عن البَشَر، وبَيْن الاسترسال مع كلِّ أحد بِحَيْثُ يُذهب الهَيْبَةَ، ويُزيل الوقارَ، ويُطَمِّع فِي الجانب، كمَا أنَّ الانحراف الأوَّل يُوقِعُ الوَحْشة والبِغْضَة والنُّفرة فِي قلوب الخَلْق. وصاحبُ الخُلُق الوسط: مَهِيبٌ محبوبٌ، عزيزٌ جانبُه، حبيبٌ لقاؤه».(١)

فهو وإن كَان غالِبُ النَّاس يَبْخلون بِهِ وَلَا يهتمون بأمره، فإنه مِن أهم الأَسْبَاب الَّتِي تَدْفع الشَّحْناءَ وما قَد يُوجد فِي القلوب من الحقد والحسد والبغضاء. يَقُول ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البَشاشة إدامُ العُلَمَاء وسجيَّةُ الحكماء؛ لِأَنَّ البِشْر يطفئ نارَ المعانَدة ويَحْرق هَيجان المباغضة، وفِيهِ تحصينٌ مِن الباغي ومنجاةٌ من الساعي».(٢)

فعَلَينا جَمِيعًا أن نجتهد دومًا فِي تَحْقِيق هَذَا الخلق القويم والأدب الكَرِيم؛ لأَنَّهُ من المَعْرُوف الَّذِي سينفعنا يَوْم وقوفنا بين يدي العَزِيز العظيم بإذن الجواد العليم، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال:

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣١١).

(٢) رَوْضَة العُقَلاَءِ (٧٥).

قال لِي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنّ من الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**».(١)

يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه سهل منبسط فِيهِ الحثُّ عَلَى فضلِ المَعْرُوف ومَا تيسَّر منه، وإنْ قل حَتَّى طلاقةُ الوجه عند اللقاء».(٢)

ويَقُول ابنُ عَلَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: بِوَجْهٍ ضاحِكٍ مستبشِرٍ، وذَلِك لما فِيهِ من إيناسِ الأخِ المؤْمن ودَفْع الإِيحَاشِ عَنْه وجَبْرِ خاطِره، وبذَلِك يَحْصُل التأليفُ المطلوب بين المُؤْمِنِينَ».(٣)

مع تذكيرِ النَّفْس عند الإتيان بِهِ بأهمِّ مَا يُعِينُنا عَلَى المداومة عَلَيْه؛ أَلَا وهو احتساب أجر هَذَا العَمَل والثَّوَاب عند الكَرِيم الوهاب، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ كلَّ عملٍ لَا بدَّ لَهُ مِن مبدأٍ وغايةٍ، فَلَا يَكُون العملُ طَاعَة وقُرْبةً حَتَّى يَكُون مَصْدرُه عن الإِيمَان، فيكونَ الباعثُ عَلَيْه هُوَ الإِيمَان المَحْضَ لَا العادةَ وَلَا الهوى وَلَا

(١) رَوَاه مسلم (٢٦٢٦).

(٢) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٧).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٣٥٦).

طَلَبَ المَحْمَدَةِ والجَاهِ وغير ذَلِك، بَلْ لَا بدَّ أن يَكُون مَبْدؤه محض الإِيمَان وغايتُه ثوابَ الله وابتغاءَ مرضاتِه، وهو الاحتساب».(١)

وعَلَى طَلَبَة العِلم والدُّعَاةِ إِلَى الدِّين أن يكونوا مِن أحرصِ المُسْلِمِينَ عَلَى التَّحلِّي بِهَذَا الخُلُق الرفيعِ؛ لأَنَّهُ أَيْضًا مِن أهمِّ الوَسَائِل المُعِينَة لهم عَلَى التأثير عَلَى الآخرين وكَسْبِ مَحَبَّة المدعوِّين، فالعِلمُ الشرعي الَّذِي ينفع صاحبه عند الكَرِيم الوهاب هو الَّذِي يُزيَّن بمعالي الأَخْلَاق ومحاسن الآداب، يَقُول الإِمَام عَبْد الله بنُ المُبَارَك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَنْبُل الرَّجُلُ بنوعٍ مِن العِلم مَا لم يُزَيِّنْ عِلمَه بالأدب».(٢)

وعلينا أن نَعْلم فِي الختام أَيُّها الأَحِبَّة الكرام أنَّ الَّذِي يُعامِل بِهَذَا الخُلُق الجميل لَا بدَّ أن يَكُون مِن أهل الإِسْلَام أَو مِمَّن نرجو إسلامَه من الأَنَام، يَقُول الشَّيخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَتلقَّى بالبِشْر وطَلَاقة الوجه هُوَ المؤمن، أَمَّا الكافر فإنْ كَان يُرْجى إسلامُه إِذَا عاملناه بطلاقة الوجه والبِشْر فإنَّنا نُعامِلُه بذَلِك رجاءَ إسلامِه وانتفاعِه بِهَذَا اللقاء وأمَّا إِذَا كَان هَذَا التواضعُ وطلاقةُ الوجه لَا يَزيدُهُ

---

(١) الرسالة التبوكية (ص١٠).

(٢) الآداب الشرعية لِابن مفلح (٣/ ٥٢٣).

إِلَّا تعاليًا عَلَى المُسْلِم وترفُّعًا عَلَيْه فإنَّه لَا يقابَل بذَلِك».(١)

فبَعْد أَنْ عَرَفْنا أَيُّها الكِرَام فَضْل هَذِهِ الخَصْلة الحَمِيدة والصِّفَة القَوِيمَة، وأَنَّهَا من الأَخْلاق الجَمِيلَة الَّتِي لَهَا فِي الدِّين مَكَانةٌ رفيعةٌ، وأَنَّهَا مِن أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة بَيْن المُسْلِمِينَ والأُلْفة والإِخَاء والقَضَاء عَلَى ما قَد يُوجَد بَيْنهم مِن عداوةٍ وحِقْدٍ وحَسَدٍ وبَغْضَاء، فَعَلَيْنا أنْ نَحْرِص عَلَى تَحْقِيقها، وَلَيْسَ فِي ذَلِك جُهْد كَبِير وَلَا عَنَاء، بَلْ إنَّ صَاحِبها قَد نَالَ بِهَا مُتابَعة نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَان مِن أَهل الاقْتِدَاء، فهَنِيئًا لَه بِشَرف الاهتداء، يَقُول الإِمَام ابْن بَطَّال رَحِمَهُ اللهُ: «لِقَاءُ النَّاس بالتَّبَسُّم وطَلَاقة الوَجْه مِن أَخْلاق النُّبُوَّة، وَهُو مُنَافٍ لِلتَّكَبُّر وجَالِبٌ للمودَّة».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم هُدَاةً مُهْتَدين، وبِنَبِيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْتَدِين، وأَنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا الوقوع فيمَا يُفسد الدين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٦١).

(٢) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابن بَطَّال (٥/ ١٩٣).

غلاء الأسعار
أسباب ... وعلاج

غلاء الأَسْعار ... أَسْبَاب ... وعلاج

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إِنَّ مِمَّا يَشْتكي مِنْهُ الكَثِير مِن المُسْلِمِينَ اليَوْم فِي شَتَّى البُلْدانِ الإِسْلَامِيَّة، بَلْ وكَثُر عَلَيْه الكَلامُ حَتَّى فِي وَسَائِل الإعلام المَقْرُوءة والمَسْموعة والمَرْئِيَّة، أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام؛ أَنَّ أَسْعَار الأَطْعمة والأَشْرِبة وسَائِرِ الحاجات وحتَّى الكَمَاليَّات قَد ارتَفَع وزَادَ ثمنُها عن المُعْتَاد فِي الأَسْواق والمَحَلات التِّجارية؛ وبالتَّالِي لَمْ يَعُد لِكَثِير مِن النَّاس القُدْرةُ الشِّرائيَّة عَلَى تَحْصيل حَتَّى مُتَطَلَّبَاتِهم الضَّرورِية فَضْلًا عن التَّكْميليَّة، يَقُول الإِمَام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغَلَاء مَمْدُودٌ وَهُو ارتفاعُ السِّعْرِ عَلَى مُعْتَادِه».(١)

---

(١) سُبُل السَّلاَمِ (٣/ ٢٥).

ولا يُنْكِر عاقلٌ أَيُّها الأَفَاضِلُ أنَّ ضَرَرَ هَذَا البَلَاء خَطِيرٌ، وأَنَّه إِذَا لَمْ يُعالَج فَسَيَعُود عَلَى الأَفْرَاد والمُجْتَمعاتِ بِشَرٍّ كَبِير، لَا يَحْفَظُنا مِنْهُ إِلَّا العَزِيز القَدِير.

لكنَّ الَّذِي يَتَعجَّبُ مِنْهُ المُؤْمن أنَّ الكَثِير ممَّن يتكلَّمون عَلَى هَذَا الدَّاء ويَتَطرَّقون إِلَى أَسْبَابه وإِلَى الوَسَائِل المُساعِدة عَلَى التَّخلُّص مِنْهُ قَد جَعَلوا أَسْبَابه دنيويَّة مَحْضَة؛ فيتكلَّمُون مَثَلًا أنَّ مِمَّا ساهَم فِي ظهورِه مَا نَراه مِن احْتِكار بَعْض التُّجَار لِبَعض السِّلع الَّتِي مِنها مَا لَا يَستَغْنِي عَنْها الإِنْسَان فِي يَوْمه، ثُمَّ يَقُوم هَؤُلَاءِ أيِ التُّجَّار بِبَيْعِها بَعْد نَفَادِها مِن السُّوق عَلَى النَّاس بأَسْعَار باهِظَة جدًّا دُونَ اهتمامهم بحَال المُسْلِمِينَ، وأنَّ الكَثِير مِنْهُم قَد لَا يَسْتَطِيع شِرَاءها، وَهَذَا الفِعْل مِنْهُم لَا شَكَّ أَنَّهُ خاطِئٌ وهُو مُحَرَّم؛ فَقَدْ حَذَّر مِنْهُ نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ مَعْمَر بْنِ عَبْد الله القُرَشِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال أَهْل اللُّغَة «الخاطئ» بالهَمْزِ هُوَ العَاصِي الآثِمُ، وَهَذَا الحَدِيث صَرِيحٌ فِي تَحْرِيم الاِحْتِكَار، قَال

---

(١) رَوَاه مسلم (١٦٠٥).

أَصْحَابنا الاحْتِكَار المُحَرَّم هُوَ الِاحتكارُ فِي الأَقْوَات خاصَّة، وهُوَ أنْ يَشْتَري الطَّعَام فِي وَقْتِ الغَلاءِ للتِّجَارةِ وَلَا يَبِيعُه فِي الحَال، بَلْ يَدَّخِرُه لِيَغْلُوَ ثَمَنُه، فأمَّا إِذَا جَاءَ مِن قَرْيَته أَو اشْتَراه فِي وَقْت الرُّخْص وادَّخَره أَو ابْتَاعَه فِي وقت الغَلاءِ لِحَاجتِه إِلَى أَكْلِه أَو ابْتَاعَه ليَبِيعَه فِي وَقْتِه فَلَيْسَ بِاحْتِكَار وَلَا تَحْرِيمَ فِيه، وأمَّا غيرُ الأَقْوات فَلَا يَحْرُم الاحتكار فِيهِ بِكُلِّ حالٍ، هَذَا تَفْصِيلُ مَذْهبِنا. قَالَ العُلَمَاء: والحِكْمَة فِي تَحْرِيم الاحتكار دَفْعُ الضَّرَر عن عَامَّة النَّاس كَمَا أَجْمَع العُلَمَاء عَلَى أَنَّهُ لَو كَان عِنْد إِنْسَانٍ طَعَامٌ واضْطُرَّ النَّاس إِلَيْه ولَمْ يَجِدوا غَيْره أُجْبِرَ عَلَى بَيْعه دَفعًا للضَّرَرِ عن النَّاس». (١)

وَلِذَا عَلَى الصَّحِيح فإنَّ عَلَى مَن يَقُوم عَلَى شُؤون المُسْلِمِينَ مِن حُكَّام أَو مَن يَنُوب عَنْهم إِذَا رَأَوا مِن هَؤُلَاءِ التُّجَّار الجَشَعَ والطَّمَعَ ومُجَاوَزَةَ الحَدِّ واسْتِغْلالَهم حاجةَ الآخَرِين وعَدَم تمكُّن الكَثِير مِن النَّاس اقتناءَ هَذِهِ السِّلَع الضَّرُورِية أنْ يَضَعوا سِعْرًا مناسِبًا يَلْتزم بِهِ التُّجَّار عِنْد بَيْعهم لِهَذِهِ السِّلع، بِحَيْثُ لا يَكُون فِيهِ كَذَلِك التَّعَدِّي عَلَى حقِّ التُّجَّار وإنَّما فِيهِ مُراعاة مَصْلَحَة حقِّ الطَّرَفين، يَقُول شَيْخ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١١/ ٤٣).

الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السِّعر مِنْهُ ما هُوَ ظُلْم لَا يَجُوز ومِنْه ما هُوَ عَدلٌ جائز، فإِذَا تَضَمَّنَ ظلمُ النَّاس وإكراهُهم بغَيْر حقٍّ عَلَى البَيع بثَمَنٍ لَا يَرْضونه، أَو مَنْعِهم مِمَّا أَبَاحه الله لَهُم فَهُوَ حرامٌ، وإِذَا تَضَمَّن العَدْلُ بَيْن النَّاس مِثْل إكراهِهِم عَلَى مَا يَجِب عَلَيْهِم مِن المُعَاوَضَة بثمنِ المِثل، ومَنْعهم مِمَّا يَحْرم عَلَيْهم مِن أَخْذ زِيَادةٍ عَلَى عِوَض المِثل فَهُوَ جائز بَلْ واجبٌ».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاعُ الأَمْر أَنَّ مَصْلَحَة النَّاس إِذَا لم تَتِمَّ إِلَّا بالتَّسْعير سَعَّرَ عَلَيْهم تَسْعِيرَ عَدْلٍ لَا وَكْسَ؛ أَيْ نَقْص، وَلَا شَطَط؛ أَيْ ظلم. وإِذَا انْدفعت حاجَتُهم وقَامت مَصْلَحَتهم بِدونه لَم يُفعل».(٢)

وعَلَى التَّاجِر أَنْ يَعْلم أَنَّه إِذَا لم يتَّقِ فِي تِجَارته العليمَ المَنَّانَ ويَبْتعدْ عَن الغِشِّ والإضرار بالآخرين وسائرِ أنواعِ الآثامِ والعصيانِ، ويَحْرص عَلَى الرِّفق بالأَنَامِ عَلَى قَدْر الإمكانِ فإنَّهُ مُتوعَّد بوعيدٍ شديدٍ يَوْم وقوفِهِ بين يَدَي العَزِيز الرَّحْمَن، فعَن رِفَاعة بْنِ رَافِع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٨/ ٧٦).

(٢) الطرق الحكمية (ص٣٨٣).

رَسُول الله ﷺ قَال: «**إِنّ التُّجّار يُبْعَثُونَ يَوْم الْقِيَامَةِ فُجّارًا إِلّا مَن اتّقَى الله وَبَرّ وَصَدَق**».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَوْله «إِنَّ التُّجَّارَ» بِضَمِّ الفَوْقِيَّةِ وتَشْدِيد الجِيم جَمْعُ تاجر «يُبْعَثُونَ يَوْم الْقِيَامَةِ فُجَّارًا» جمع فاجرٍ من الفُجُور «إِلَّا مَن اتَّقَى الله» بأنْ لَم يَرْتكب كَبِيرةً وَلَا صغيرةً مِن غشٍّ وخيانة؛ أيْ أَحْسَنَ إِلَى النَّاس فِي تجارته أَو قَامَ بطَاعَة الله وعبادته، «وَصَدَقَ» أيْ فِي يمينه وسائر كلامه».(٢)

ومِن الأَسْبَاب الَّتِي تُذكر أَيْضًا وأدَّت أَيْضًا إِلَى غلاء الأَسْعَار فِي الأسواق مَا تمرُّ بِهِ كَثِير مِن الدُّوَل فِي هَذِهِ الفترة مِن قِلَّة الدَّخْل بِسَبَب انخفاضِ سعر بِرْميل البترول الَّذِي تعتمد عَلَيْه الكَثِير من الدُّوَل الإِسْلَامِيَّة فِي صادراتها لِكَسْب المال، وكَذَلِك يُشيرون إِلَى الأَزَمَات والحوادثِ والاضطراباتِ الَّتِي تَشْهَدها عِدَّة مناطقَ فِي العَالَم اليوم، خاصَّة الإِسْلَامِيَّة مِنْهَا، وَهَذَا مِمَّا جعل الكَثِير مِن الدول تُحَاول أنْ تغطِّيَ العجز الَّذِي أصاب ميزانيَّتَها السنوية برفع أَسْعَار بَعْض السلع،

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٢١٠)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٩٩٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٣٣٦).

حَتَّى الضرورية مِنْهَا.

لا نُنكر أبدًا أَيُّها الأَحْبَابُ أن هَذِهِ الأمور هِي مِن الأَسْبَاب الَّتِي ساهمت فِي ظهور هَذَا الوباءِ، لكن يَنْبَغِي لكلٍّ منَّا أن يسأل نفسه عن السببِ الحَقِيقِي والرئيسيِّ فِي بُرُوز هَذَا المرض!

الحَقِيقَة الغائبة عن كَثِير مِنَ الأذهان أَيُّها الكِرَام والَّتِي لَا يُرِيد أن يُقرَّ بِهَا الكَثِير مِن أبناء الإِسْلَام أنَّ السبب الحَقِيقِي فِي ارتفاع الأَسْعَار هِي كَثْرة الذُّنُوب والآثامِ الَّتِي تَصْدر من الأَنَام، فأَصْبَحَت البِدَعُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ظاهرةً بَلْ حَتَّى الشِّرْكُ بِربِّ البَرِيَّة أَصْبح مُتَفشِّيًا فِي الكَثِير مِن الأقطار الإِسْلَامِيَّة، أمَّا المَعَاصِي والمُحَرَّمَات فقدْ أصبحَت والعياذ بالله عادةً عند الكَثِيرين، تُصَاحبهم فِي الصَّبَاح والمَسَاء؛ فَنَرَى مِن المُسْلِمِينَ اليَوْم مَن يَظْلم غَيْره ويتَعدَّى عَلَى حقوقه، ومِنْهم مَن يتساهل فِي أمر الاختلاط والتبرُّج والسُّفُور والحِرْص عَلَى سَمَاع الأغاني ومُشَاهَدة المسلسَلَاتِ الهابطة والبرامج الساقطة الَّتِي تَدْعو إِلَى كلِّ رذيلة وتُحَارب كلَّ فضيلة، وغيرَ ذَلِك من المُحَرَّمَات والمُنْكَرات، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالغلاءُ بارتفاعِ الأَسْعَار والرُّخصُ بانخفاضها، همَا من جملة الحوادث

الَّتِي لَا خالِقَ لها إِلَّا الله وحده، وَلَا يَكُون شيءٌ مِنْهَا إِلَّا بمشيئته وقُدْرته، لكنْ هُوَ سُبْحَانَه قَد جعل بَعْض أَفْعَال العِبَاد سَبَبًا فِي بَعْض الحوادث، كمَا جَعَل قَتْل القاتِل سَببًا فِي مَوْت المقتول، وجَعَل ارتفاعَ الأَسْعَار قَد يَكُون بِسَبَب ظُلْم العِبَاد، وانخفاضَها قد يَكُون بِسَبَب إحسانِ بَعْض النَّاس».(١)

فعَلَى العَبْد أن يَعْلم جيدا أن المصائب الَّتِي تُصيبه، والنِّقم الَّتِي تَحِلُّ بِهِ مَا هِي إِلَّا بِسَبَب مَا عَمِل ومَا قَدَّمت يَدَاه، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

يَقُول الشَّيخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِرُ تعالى أَنَّهُ مَا أَصَاب العِبَادَ مِن مُصِيبَة فِي أَبْدَانِهم وأَمْوَالِهم وأولادِهم وفيمَا يُحِبُّون ويَكُونُ عَزِيزًا عَلَيْهم، إِلَّا بِسَبَب مَا قَدَّمَتْه أَيْدِيهم مِنَ السَّيِّئَات، وأَنَّ مَا يَعْفو اللهُ عَنْه أكثرُ، فإنَّ الله لَا يَظْلمُ العِبَاد، ولكنْ أَنْفُسَهم يَظْلِمون».(٢)

فانْتِشَار الفساد وارتفاع أَسْعَار السلع فِي الأسواق وإصابتها

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٨/ ٥٢٠).
(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٥٩).

بِسَبَب عدم شِرَائها بالتَّلَف والكَسَاد ما هُوَ فِي الحَقِيقَة إِلَّا بِسَبَب كثرة الذُّنُوب والبعد عن طَاعَة علاَّم الغيوبِ، يَقُول تعالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ ظَهَر قِلَّةُ الغَيْثِ وغَلاءُ السِّعْرِ. ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾»(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: استُعْلِنَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْر؛ أيْ فَسَاد مَعايِشِهم ونَقْصُها وحلولُ الآفاتِ بها، وفِي أَنْفُسِهم من الأمراض والوباء وغير ذَلِك؛ وذَلِك بِسَبَب مَا قَدَّمَت أَيْدِيهم مِن الأَعْمال الفاسدة المُفْسِدة بطَبْعها.

هَذِهِ المَذْكُورة ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أيْ: لِيَعْلموا أَنَّهُ المُجَازي عَلَى الأَعْمال فعَجَّل لَهُم نُمُوذجًا مِن جَزَاء أَعْمَالهم فِي الدُّنْيا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَن أَعْمَالهم الَّتِي أَثْرَت لَهُم مِن الفَسَاد مَا أَثْرَت، فتُصْلح أَحْوالهم ويَسْتقيم أَمْرُهم. فسُبْحَانَ مَنْ أَنْعم بِبَلائه وتَفضَّل

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (١٤/ ٤١).

بعُقُوبَته، وإِلَّا فلَوْ أَذَاقهم جَمِيع مَا كَسَبوا مَا تَرَك عَلَى ظَهْرها مِن دابَّة».(١)

فعَلَى المُسْلِم أنْ يَعْلم يقينًا أن المَعَاصِي والذُّنوب هِي أصل كُلِّ دَاءٍ، وسَبَب كلِّ بَلَاءٍ، ومَصْدر كلِّ وَبَاءٍ، وطريق كل حرمانٍ وشقاءٍ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الذُّنُوب تُزِيل النِّعَم وَلَا بدَّ، فمَا أَذْنَبَ عبْدٌ ذنبًا إِلَّا زَالَت عَنْه نعمة من الله بحَسَب ذَلِك الذَّنْبِ، فإنْ تَابَ ورَاجَعَ رَجَعَت إِلَيْه أَو مِثْلُها، وإنْ أصرَّ لم ترجعْ إِلَيْه، وَلَا تزال الذُّنُوب تُزِيل عَنْه نِعْمة حَتَّى تُسْلَب النِّعَم كلُّها».(٢)

فليبادِرْ مَن أراد أنْ يتطهَّر مِن شُؤْم المَعْصية وينَال السَّعَادَة الحَقِيقِيَّة ويَرْفع مَا حلَّ عَلَيْه مِن بليَّة إِلَى التَّوْبَة والرُّجُوع دُونَ تَسويفٍ إِلَى ربِّ البَرِيَّة، فَهَذَا هُو طريقُ النَّجاة فِي هَذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّة وفِي الآخرة البَاقِية السَّرْمَدِيَّة، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أراد السَّعَادَة الأَبَديَّة فلْيَلْزَم عَتَبة العُبُودِيَّة».(٣)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٤٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٤٠٨).

(٣) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ لابْنِ القَيِّم (١/ ٤٣١).

ولْيَحذرِ العَبْد مِن أنْ يَجْعل هَمَّه البَحْث عن الأَسْعَار وقِيمَتِها فيُفْرِط بالتَّالي فِي الشيء الَّذِي مِن أَجْله خُلِق وبِسَبَبه وُجِد؛ أَلَا وهو عبادة الله جلَّ جلاله وحده لَا شَرِيك له، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا تَصْرِيح بأنَّهم خُلِقوا للعبادة فحَقَّ عَلَيْهم الاعتناءُ بمَا خُلِقوا له».(١)

ومَن أصَابَه الهَمُّ والغمُّ بِسَبَب ارتفاعِ الأَسْعَار فعَلَيْه أنْ يَصْبر ويَسْتحضر دَائِمًا أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيا مهمَا طال بِهَا الأَمَدُ فهِي زَائِلة وأنَه مهمَا طَالَت مدَّة عَيْشِه فِيهَا فَسيُفارِقُها لأَنَّهَا فَقَطْ هِي مَمَرٌّ والدَّار الآخِرَة هِي المُستَقَرُّ، يَقُول الإمَام بِشْر بْن الحَارِثِ الحافِي المَرْوَزِي [ت:٢٢٧هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا اهْتَمَمْتَ لِغَلاء السِّعر فاذْكُر المَوْت، فإنَّه يُذْهب عَنْك همَّ الغَلَاء».(٢)

ويَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَنَّهَا أي الدُّنيا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ

(١) رِيَاضُ الصَّالِحِينَ (ص٣).

(٢) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ لأبي نعيم الأصفهاني (٨/ ٣٤٧).

دَوَامٍ، فلِهَذا كَان الأَيْقَاظ مِن أَهْلِها هُمُ العُبَّاد، وأَعْقَلُ النَّاس فِيهَا هُمُ الزُّهَّاد». (١)

فليكن أَيُّها المُسْلِم بَحثُك عمَّا يُرْضي ربَّك دَائِمًا هُوَ همَّك، وحِرْصُك عَلَى طَاعَة خَالقِك سُبْحَانَه واجْتناب مَعْصيتِه هِي غايَتَك ومَطْلَبَك وسَتَرى بَعْد ذَلِك بإذْن العَزِيز المَنَّان مَا سيَفْتَحه عَلَيْه رازِقُك، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا أَصْبَح العَبْد وأَمْسى ولَيْس همُّه إِلَّا الله وَحْده تَحمَّل الله سُبْحَانَه حوائِجَه كلَّها، وحَمل عَنْه كلَّ مَا أَهَمَّه، وفرَّغ قَلْبه لِمَحبَّته ولسانَه لِذِكرِه وجوارِحَه لطَاعَته، وإنْ أَصْبَح وأَمْسَى والدُّنيا همُّه حَمَّله الله هُمومها وغُمُومها وأَنْكَادها، ووَكَلَه إِلَى نفسه فَشَغل قَلْبَه عن مَحبَّته بمَحَبَّة الخَلْق، ولسانَه عن ذِكْرِه بذِكْرِهم، وجوارِحَه عن طَاعَته بخِدْمَتِهم وأَشْغَالِهم، فَهُوَ يَكْدَح كَدْحَ الوَحْش فِي خِدْمة غَيْره كَالكِير يَنفخ بَطْنَه ويَعْصِر أضْلَاعَه فِي نَفْعِ غَيْرِه فكُلُّ مَن أَعْرَضَ عن عُبُودِيَّة الله وطَاعَته ومَحبَّته بُلي بعُبُودِيَّة المخلوق ومَحَبَّته وخِدْمته». (٢)

---

(١) رِيَاضُ الصَّالِحِينَ (ص٣).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٨٤).

فالله أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أَلَّا يَجْعل الدُّنْيا أكبرَ همِّنا، وَلَا مَبْلغ عِلْمِنا، وَلَا إِلَى النَّار مَصِيرنا، وأَنْ يَحْفظ المُسْلِمِينَ فِي كل مكَان مِن كَيْد الفُجَّار ومَكْر الأَشْرَار، وأَنْ يَرْفع عَنْهم غَلَاء الأَسْعَار، ويَحْمِيَهم مِن كُلِّ الأَضْرار، ويُبعِد عَنْهم كُلَّ الأَخْطار، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعَزِيز الغفَّار.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

ظاهرة تشبه الرجال بالنساء والعكس!

ظاهرة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء والعَكْس!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشرفِ المُرْسَلِين، نبيِّنا محمَّد، وعَلَى آلِه وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ قِلَّة الخَوْف مِن ربِّ الأَرْض والسَّموات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوات لَهُوَ مِن أهمِّ أَسْبَاب انْتِشَار المَعَاصِي والمُنْكَرات فِي المُجْتَمعات، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلبُ إِذَا امْتَلأ مِن الخَوْف أيْ مِن الله أَحْجَمَت الأَعْضاء جَمِيعها عن ارْتِكَاب المَعَاصِي، وبِقَدْر قِلَّة الخَوْف يَكُون الهُجُوم عَلَى المَعَاصِي، فإِذَا قلَّ الخَوْف جِدًّا واستَوْلَت الغَفْلة كَان ذَلِك مِن عَلَامة الشَّقَاء».(١)

ومِن المَظَاهر السَّلْبية والذُّنُوب الرَّديَّة الَّتِي فَشَت اليَوْم فِي البُلْدان

---

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ١٣٢).

الإِسْلَامِيَّة بِسَبَب قِلَّة خَوْف البَعْض مِن ربِّ البريَّة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء والعَكْس كذَلِك، يَقُول ابن مَنْظُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مَاثَلَه».(١)

إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام لَيْس بهَيِّن وَلَا بِيَسِير كمَا يظنُّ بَعْض الأَنَام، بَلْ هُوَ مِن كَبَائِر الآثَامِ الَّتِي يُعْصَى بِهَا العَزِيز العلَّام، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَشَبُّه الرِّجَال بالمَرْأَة مِن كَبَائِر الذُّنُوب، وتَشَبُّه المَرْأَة بالرَجُل كَذَلِك مِن كَبَائِر الذُّنُوب بأَنْ تَتَشبَّه بِهِ فِي القَوْل أيْ فِي الكَلَام تَتَكَلَّم كمَا يَتَكَلَّم الرِّجَال فِي ضَخَامة الصَّوت ونَبَرَاته أَو تَجْعل رَأْسها كَرَأْسِ الرَّجُل تَقُصُّه حَتَّى يَرْتَفع عن الكَتِفَين أو كَذَلِك تَلْبَس مِن الثِّيَاب والسَّاعَات لِبَاس الرَّجُل فكلُّ هَذَا مِن كَبَائِر الذُّنُوب».(٢)

ولِذَا حذَّر رَسُول العَزِيزِ القديرِ أُمَّتَه مِنْهُ أشدَّ التَّحْذِير، فعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: «**لَعَنَ رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الرَّجُلَ يَلْبَسُ**

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٥٠٣).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢١٧).

لِبْسَةَ المَرْأَة، وَالمَرْأَة تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ».[١]

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ كمَا قَال النَّوَوِي حُرْمَة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء وعكسه؛ لأَنَّهُ إِذَا حُرِّم فِي اللِّبَاس ففِي الحَرَكات والسَّكَنات والتَصَنُّع بالأعضاء والأصوات أَوْلَى بالذَّم والقُبْح، فيَحْرم عَلَى الرِّجَال التَّشَبُّه بالنِّسَاء وعكسه فِي لِبَاسٍ اخْتُصَّ بِهِ المُشَبَّه، بَلْ يَفْسُق فاعلُه؛ للوعيد عَلَيْه باللَّعْن».[٢]

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَمَّا تحريم الشَّارِع تشبُّهَ الرِّجَال بالنِّسَاء، والنِّسَاء بالرِّجَال، فَهُوَ عامٌّ فِي اللباس، والكلام، وجَمِيع الأحوال.

فالأُمور ثَلَاثَة أقسام:

قِسْم مُشْتَرَك بَيْن الرِّجَال والنِّسَاء مِن أصناف اللِّبَاس وغيره، فَهَذَا جائز للنوعين؛ لِأَنَّ الأصل الإباحة. وَلَا تَشَبُّه فيه.

وقسم مُخْتَصٌّ بالرِّجَال، فَلَا يَحِلُّ لِلنِّسَاءِ.

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٧)، وصَحَّحه الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ٢٦٩).

وقسم **مُخْتَصٌّ** بالنِّسَاء، فَلَا يَحِلُّ للرِّجَال».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللَّعْن هُوَ الطَّرْد والإِبْعاد عَنْ رَحْمَة الله، فإِذَا تَشَبَّه الرَّجُل بالمَرْأَة فِي لِبَاسه ولَا سِيَّمَا إِذَا كَان لِبَاسًا مُحَرَّمًا كالحَرِير والذَّهَب، أَو تَشَبَّه بالمَرْأَة فِي كَلَامِها وصَارَ بغَيْر لِسَانِه فِي الكَلَام حَتَّى كَأَنَّمَا تَتَكَلَّم امْرَأة، أَو تَشَبَّهَ بالمَرْأَة فِي مِشْيَتِها أَو فِي غير ذَلِك مِمَّا يَخْتَصُّ بالمَرْأَة، فإِنَّه مَلْعُون عَلَى لِسَان أَشْرَف الخَلْق كَذَلِك المَرْأَة إِذَا تَشَبَّهَت بالرِّجَال فهِي مَلْعُونة لَو صَارَت تَتَكَلَّم كَمَا يَتَكَلَّم الرَّجُل أَو جعلت لها عِمَامة كَمَا يَلْبَس الرَّجُل أَو جعلت ثيابها كَثِيَاب الرَّجُل».(٢)

إِنَّ المُتَشَبِّهِين مِن الرِّجَال بالنِّسَاء والمُتَشَبِّهَات مِن النِّسَاء بالرِّجَال قَد أَرادوا بفِعْلهم هَذَا المُشِين أَنْ يُخَالِفوا حِكْمة ربِّ العَالَمِين مِن التَّفريق بَيْن الجِنْسَين، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن الحِكْمة فِي النَّهي عَن التَّشَبُّه أَنَّ الله تعالى جعَل للرِّجَال عَلَى النِّسَاء دَرَجة، وجَعَلهم قَوَّامين عَلَى النِّسَاء، ومَيَّزَهم بأُمُور قَدَرِيَّة، وأُمُور شَرْعِية،

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٣٧٢).

فقِيَام هَذَا التميز وثُبُوت فَضِيلة الرِّجَال عَلَى النِّسَاء مَقْصودٌ شَرعًا وعقلًا. فتشبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء يَهْبط بِهِم عَن هَذِهِ الدَّرجة الرفيعة. وتَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال يُبْطل التمييز». (١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله سُبْحَانَه وتعالى خَلَق الذُّكورَ والإناثَ وجَعَل لكلٍّ منهمَا مَزِيَّةً؛ الرِّجَالُ يختلفون عن النِّسَاء فِي الخِلْقَة والخُلُق والقوة والدِّين وغير ذَلِك، والنِّسَاء كَذَلِك يختلفن عن الرِّجَال، فَمَن حَاوَل أنْ يَجْعل الرِّجَال مِثْل النِّسَاء أَو أنْ يَجْعَل النِّسَاء مِثْل الرِّجَال فَقَدْ حادَّ الله فِي قَدَرِه وشَرْعِه؛ لِأَنَّ الله سُبْحَانَه وتعالى لَهُ حِكْمة فِيمَا خَلَق وشَرَّع». (٢)

إنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَة القَبِيحَة الَّتِي فَشَت فِي بلاد المُسْلِمِينَ اليَوْم قَد سَاهَمَ فِي انْتِشَارها بِشَكل مَلْحوظ عدَّة عَوَامِل، ومِن أهمِّها مَا سَبَق الإشارة إِلَيْه؛ أَلَا وهو عَدَم خَوْف بَعْض الأَنَام من العَزِيز العلَّام، وكذَلِك هناك داءٌ عضال ومرض قتَّال قَد جرَّ عَلَى المُسْلِمِينَ اليَوْم الوَبَال؛ حَيْثُ يُعتبر أَيْضًا مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي أَدَّت لِبُرُوزِ هَذِهِ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٣٧١).

الظَّاهِرَة المُنْحَرِفة؛ أَلَا وهو اخْتِلاطُ النِّسَاء بالرِّجَال الأَجَانِب؛ يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلاطُ أَحَدِ الصِّنْفَين بالآخر سَبَبُ الفِتْنَة؛ فالرِّجَال إِذَا اختلطوا بالنِّسَاء كَان بمَنْزِلة اختلاط النَّار والحَطَب».(١)

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإِذَا أردْتَ أنْ تَعْرف ضَرَر التَّشَبُّهِ التَّامِّ، وعَدَم اعتبار المنازل، فانظر فِي هَذَا العصر إِلَى الاختلاط الساقط الَّذِي ذَهَبَت معه الغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ، والمُرُوءَة الإِنْسَانية، والأَخْلَاق الحَمِيدة، وحَلَّ مَحِلَّه ضدَّ ذَلِك مِن كلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ».(٢)

وكذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ قَد سَاهَمَ فِي انْتِشَار هَذِهِ المَعْصِية الرَّدِيَّة مَا تُعْرَف بَيْن النَّاس بالجَمْعِيَّات الحُقُوقِيَّة، والَّتِي لَهَا أَجِنْدَات غَرْبِية إِلْحَادِيَّة دُونَ أنْ نَنْسى أَيْضًا الدَّوْر الَّذِي تَلْعَبه بَعْض وَسَائِل الإِعلام المَكْتُوبة والمَسْمُوعة والمَرْئِية؛ حَيْثُ نرى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يُهوِّنون ويُزَيِّنون هَذَا الأمرَ الخطيرَ والشرَّ المُسْتَطِيرَ، وللأسف أَيُّها الأَفَاضِلُ فَقَد تَأَثَّرَ بهَؤُلَاءِ بَعْضُ ضعافِ النُّفُوس، وعَمِلوا بِمَا يُزَيِّنُه هَؤُلَاءِ، بَلْ

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٦١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٧).

تَعَدَّى بِهِم الأمرُ حَتَّى صاروا هُم كَذَلِك وَسَائِل وأَدوات معيَّنة تُساهِم أَيْضًا فِي ترويج هَذَا الفعل الذَّمِيم والعَمَل اللَّئِيم!

فممَّا يَنْبَغِي عَلَيْنَا جَمِيعًا عِلْمه أن عَواقِب هَذِهِ الظَّاهِرة الوَخِيمة وأَضْرارها الجسيمة لَيْسَ قاصرًا فَقَطْ عَلَى الأَفْراد بَلْ يَتعَدَّى خَطَرُها وشَرُّها إِلَى المُجْتَمعاتِ، ومِن ذَلِك مَا نَراه عِيَانًا اليَوْم مِن ظُهُور الفَوَاحش والمُنْكرات، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء بالكَلَام واللِّبَاس ونَحْو ذَلِك؛ مِن أَسْبَاب التَّخَنُّثِ، وسُقُوط الأَخْلاق، ورَغْبة المُتَشَبِّه بالنِّسَاء فِي الاختلاط بهنَّ، الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ المحذور، وكذَلِك بالعكس».(١)

فعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَحِبَّة الأفاضل مِن آباءٍ وأُمَّهاتٍ ودُعَاةٍ مُصْلِحِين أنْ نتعَاوَن ونَتَكَاتَف ونقِفُ جَمِيعًا فِي وَجْه أعداءِ الدِّينِ مِن الكُفَّار والمُنَافِقِين والمُفْسِدِينَ الَّذِين يُسَوِّقُون لِهَذِهِ الظَّاهرة المُنْحَرِفة مِن أَجْل إِفْساد شَبَاب المُسْلِمِينَ، وذَلِك بالتَّحْذِير مِن أَضْرارها وبَيَان أَخْطَارها، وكَشْف حَقِيقَة مَن يُسَوِّق ويُزَيِّن ويَدْعو لَهَا، جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنة الدَّائمَة بالمَمْلَكة العربية السُّعُودية، حَرَسَها الله: «تَشَبُّه الرِّجَال

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٤٦)

بالنِّسَاء حرام، وكذَلِك تَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال، والواجب عَلَى مَن رَأى شَيْئًا من ذَلِك تغييرُه حَسَب الاسْتِطَاعَة؛ لِقَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».(١)(٢)

وعَلَى وُلاة أمر المُسْلِمِينَ أنْ يَقُومُوا بمَا يَجِب عَلَيْهم نَحْو رَعِيَّتهم، ومِن ذَلِك أنْ يَبْذلوا كُلَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَمْنع مِن انْتِشَار هَذَا الوَبَال، ولْيَعْلموا أنَّهم سيَقِفون أَمَام الكَبِير المُتَعال وسَيَسْألهم عَن أنفُسِهم وعَن رَعِيَّتهم ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَال، فعَن عَبْد الله بْنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». (٣)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْه ومَا هُوَ تَحْت نَظَره، فَفِيه أَنَّ كُلَّ

---

(١) رَوَاه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤/ ٩٤).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

مَن كَان تَحْت نَظَره شَيْءٌ فَهُوَ مُطَالَب بالعَدْل فِيه، والقِيَام بمَصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقَاتِه».(١)

وممَّا يَنْبَغِي كَذَلِك عِلْمُه أنَّ دِينَ ربِّ العَالَمِينَ هُوَ المَرْجع الوَحِيد فِي مَعْرفة الضَّوابط الَّتِي يُفرَّق بِهَا بين الجِنْسَين وَلَيْسَ المَرَدُّ فِي ذَلِك إِلَى الأَهْوَاء وَلَا إِلَى المُفْسِدِينَ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن هنا يَظهر الضَّابِط فِي نَهيه عن تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء وعَن تَشَبُّه النِّسَاء بالرِّجَال، وأنَّ الأصل فِي ذَلِك لَيْسَ هُوَ راجعًا إِلَى مُجَرَّد مَا يختاره الرِّجَال والنِّسَاء ويَشْتهونه ويَعْتَادُونه، فإنَّه لَو كَان كَذَلِك لكَان إِذَا اصْطَلَحَ قَوْمٌ عَلَى أن يَلْبَس الرِّجَال الخُمُر الَّتِي تُغطِّي الرَّأْسَ والوَجْهَ والعُنُق والجَلَابِيب الَّتِي تُسْدَل مِن فوق الرُّءُوس حَتَّى لَا يَظْهر مِن لَابِسِها إِلَّا العَيْنان، وأنْ تَلبس النِّسَاء العمائم والأَقْبِيَةَ المُخْتَصَرة ونحو ذَلِك؛ كان هَذَا سائغا، وَهَذَا خلاف النَّصِ والإجماع».(٢)

ولِذَا عَلَى الرَّجُل أن يَمْتَثِلَ تَعَاليم دِينِه الكَرِيم ويَجْتَنبَ مُشابَهَة المَرْأَة، وعَلَى النِّسَاء كَذَلِك الابتعاد عن كلِّ مَا هُوَ مِن خَصائِصِ

---

(١) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٢/ ١٤٦).

الرِّجَال، يَقُول الشَّيْخ ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَجِب عَلَى الرَّجُل أنْ يَبْتعد عن مُشَابهة المَرْأة فِي زِيِّها ولِبَاسها ونَحْوِ ذَلِك، ويَجِبُ عَلَى المَرْأة أنْ تَبْتعدَ عَن مُشابَهة الرَّجُل فِي زِيِّه، أَو كَلامِه أَو مَشْيه أَو نحو ذَلِك».(١)

وعَلَى المُسْلمة أَيْضًا أَلَّا تَغْتَرَّ أبدًا بمَا يَرْفعه أَهْلُ الإلحَادِ ودُعاة الفَسادِ مِن شِعاراتٍ مُزيَّفَة يَدْعون فِيهَا إِلَى كلِّ ما هُوَ قَبيح ومُشِينٍ، ومِن ذَلِك جَوازُ تَشَبُّه الجِنسَين، وأَلَّا تَتأَثَّرَ بِمَن اغْتَرَّ بهَؤُلَاءِ مِن النِّسَاء فتَشَبَّهنَ بالرِّجَال؛ لِأَنَّ فعلهنَّ هَذَا ذَمِيمٌ وقد لَعَنَهُنَّ رَسُول العَزِيز العَلِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعَنْ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**لَعَنَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ من النِّسَاء**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"الرَّجُلَةَ من النِّسَاء" أيِ المُتَرَجِّلَة، وهو بفَتْح الرَّاء وَضَمِّ الجِيمِ، الَّتِي تَتَشَبَّه بالرِّجَال فِي زِيِّهم أَو مَشْيِهم أَو رَفْع صَوْتهم أَو غير ذَلِك».(٣)

واللهَ أسألُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعَلَنا بِدِينِنا

---

(١) فتاوى نور عَلَى الدرب (٢١/ ١٠٥).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٨) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ٢٦٩).

القويمِ مِن المُتَمَسِّكينَ، وبِسُنَّة نبيِّنا الكَرِيمِ مِن المُتَّبِعِين، وأنْ يَحْفظ المُسْلِمِينَ فِي كلِّ الأَقْطار والأَمْصار مِن شرِّ الأَشْرار وكَيْد الفُجَّار، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك، والعَزِيز الجبَّار.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

رسالة تذكير إلى خطباء المساجد

رِسَالة تَذْكيرٍ إِلَى خُطباءِ المَسَاجد

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن أجلِّ العبادات وأرفعِ الطاعاتِ وأفضلِ القُرُبات الَّتِي يَتَقرَّب بِهَا بَعْض أَئِمة المَسَاجد إِلَى ربِّ البريَّات هِي خُطْبة صلاة الجمعة، أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات، فهِي مناسَبة عظيمة وفُرْصة ثَمِينة لنُصْحِ وتذكيرِ المُصَلِّينَ بمَا يَنْفعهم فِي الدَّارَين، يَقُول أَرْحمُ الرَّاحِمين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا اسْتِفهامٌ بِمَعنى النفِي المُتَقرِّر؛ أيْ: لَا أحدَ أَحْسنُ قولًا؛ أيْ: كلامًا وطريقةً وحالة «ممَّنْ دَعَا إِلَى الله» بتَعْليم الجَاهلين، ووَعْظِ الغَافِلين والمُعْرِضين، ومُجادَلَة

المُبْطِلين، بالأَمْر بعِبَادة الله بجَمِيع أنواعِها، والحثّ عَلَيْها، وتَحْسينها مَهمَا أَمْكَنَ، والزَّجْرِ عمَّا نَهَى الله عَنْه، وتَقْبِيحِه بكلّ طريقٍ يُوجِبُ تَرْكَه.

خصوصًا مِن هَذِهِ الدَّعْوة إِلَى أَصْل دِينِ الإِسْلَام وتَحْسِينِه، ومُجَادَلَةِ أَعْدائه بالَّتِي هِي أحسنُ، والنَّهْي عمَّا يُضَادُّه مِن الكُفْر والشِّرْك، والأَمْرِ بالمَعْرُوف، والنَّهْي عَن المُنْكَر.

ومِن الدَّعْوة إِلَى الله، تَحْبيبه إِلَى عِبادِه، بذِكْر تَفاصيل نِعَمه، وَسَعَةِ جوده، وكَمَال رَحْمته، وذِكْر أَوْصافِ كَمَالِه، ونُعُوت جَلاله.

ومِن الدَّعْوة إِلَى الله، التَّرْغيبُ فِي اقْتِباس العِلْم والهَدْي مِن كِتَاب الله، وسُنَّة رَسُوله، والحثّ عَلَى ذَلِك، بِكُلّ طريق مُوصِّل إِلَيْه، ومِن ذَلِك الحثُّ عَلَى مَكَارِم الأَخْلَاقِ، والإِحْسَان إِلَى عُموم الخَلْق، ومُقابَلة المُسِيء بالإِحْسَان، والأَمْر بِصِلَة الأَرْحام، وبِرّ الوالدَيْن.

ومِن ذَلِك، الوَعْظ لِعُموم النَّاس فِي أَوْقات المَوَاسِم والعَوَارِض والمَصَائب بِمَا يُناسِب ذَلِك الحَالَ، إِلَى غير ذَلِك ممَّا لَا تَنْحَصر أَفْرَادُه مِمَّا تَشْمَلُه الدَّعْوة إِلَى الخَيْر كلِّه، والتَرْهِيب مِنْ جَمِيع الشرِّ.

ثم قَال تعالى: «وَعَمِلَ صَالِحًا» أيْ: مَع دَعْوتِه الخَلْقَ إِلَى الله، بَادَر هُوَ بنَفْسه إِلَى امْتِثَال أَمْر الله بالعَمَل الصَّالح الَّذِي يُرضِي ربه. «وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ» أيْ: المُنْقَادين لأَمْره، السالكين فِي طريقه، وهَذِه المَرْتبة تَمَامُها للصِّدِّيقين، الَّذِين عَمِلوا عَلَى تَكْمِيل أَنْفُسِهم وتَكْميل غيرهم، وحَصَلت لَهُم الوِرَاثة التامَّة مِن الرُّسُل».(١)

لكنَّ الَّذِي يُحزِن المؤمنَ أَيُّها الأَفَاضِلُ هُوَ مَا يراه ويَسمعه من المخالَفَات الَّتِي يَقَع فِيهَا بَعْضُ الخطباءِ عند قِيامهم بهَذِهِ العِبادة الجَلِيلة والمَهامِّ النَّبيلة، والله المُسْتعان.

لِذَا أَحْببتُ أنْ أُشِيرَ فِي هَذِهِ العُجالة إِلَى أَمْثلةْ مِنْها، والَّتِي قد تُعْتَبر مِن أهمِّها، وَهَذَا كلُّه مِن باب النُّصح والبيان والتَّذْكِير لإِخْوَاننا الخُطباء الَّذِين هُم قُدْوة وأُسْوة للمُصَلِّينَ، يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإِمَام لمَّا كَان هُوَ القُدْوة للنَّاس لِكَوْنهم يَأْتَمُّون بِهِ ويَهْتدون بهَدْيِه أُطْلِقَ عَلَيْه هَذَا اللفظ».(٢)

فلَعَلَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أنْ ينفعَ بِهَا مُقَيِّدَها وقارِئَها ومَن تَصِلُه مِن

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٩).

(٢) فَتْح القَدِير (١/ ١٣٧).

المُسْلِمِينَ، فمِن أهمِّ هَذِهِ المُخالَفَات، أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات:

أنَّ مِن الخطباء مَن يجلس عَلَى المِنْبر بَعد دُخولِه مباشَرَة دونَ أنْ يُلقِي عَلَى المُصلِّينَ السَّلَامَ فيَتْرُك بالتَّالي مَا كَان يَفْعله خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعَن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْه أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ سَلَّمَ**».(١)

يَقُول الإمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحديثُ يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّة التَّسْليم مِن الخطيب عَلَى النَّاس بعدَ أنْ يَرْقَى المنبر وقَبْلَ أنْ يُؤَذِّنَ الْمُؤَذِّنُ».(٢)

ومنهم كَذَلِك مَن يَبْدأ خُطْبتَه بالسَّجع الَّذِي لَا يَخْلو فِي الغالب مِن التَّكلُّف والتَّقعُّر فِي الكلمات واستعمال العبارات الَّتِي قَد لَا يَفْهم معناها طلبةُ العلم، فضلًا عن عَامَّة النَّاس؛ لأَنَّهَا تحتاج إِلَى قواميسِ اللغةِ وكُتُب غَرِيبِ الألفاظِ حَتَّى تُفهم، بعيدًا أَيْضًا بفعله هَذَا عن هَدْي نبيِّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة وأزكى التسليم، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكَان لَا يَخْطب خُطبة إِلَّا افتتحها بحمد الله، وأمَّا

---

(١) رَوَاه ابن ماجة (١١٠٩)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٣/ ٣٢١).

قولُ كَثِيرٍ مِن الفقهاء أَنَّهُ يَفتتح خطبةَ الاستسقاء بالاستغفارِ وخطبةَ العيدين بالتَّكْبِيرِ، فَلَيْسَ معهم فِيهِ سُنَّةٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البتَّة، وسُنَّتُه تقتضي خلافَه؛ وهو افتتاح جَمِيع الخطب بالحمد لله، وهو أَحَدُ الوجوه الثلاثة لأَصْحَاب أحمد، وهو اختيار شيخنا».(١)

ومنهم أَيْضًا مَن يَجْعل خطبتَه سَرْدًا لأحداثِ الأسبوع السِّيَاسيَّة أَو المناسبات الثقافية، أَو الأعياد الوطنية الَّتِي هِي فِي حقيقتها لَيْست شرعية وإِنَّمَا بِدْعِية، ويترك هَذَا الخطيبُ مَا يحتاجه النَّاس مِن تعلُّم أمورِ الدِّين وأهمُّ مِن ذَلِك ترسيخُ توحيد ربِّ العَالَمِينَ، والحثُّ عَلَى التمسك بسُنَّة خيرِ المُرْسَلِين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكَان يُعلِّم أصحابَه فِي خُطبتِه قواعدَ الإِسْلَام وشرائعه».(٢)

فيخالِف بفعله هَذَا مَا كَان عَلَيْه إمام المُرْسَلِين ورَسُول ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت خُطبتُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِي تقريرٌ لأُصُول الإِيمَان من الإِيمَان بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله ولِقائِه وذِكْر الجنَّة والنَّار ومَا أعدَّ الله لأوليائه وأهلِ طَاعَته

(١) زاد المعاد (١/ ١٨٦).

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٢٧).

ومَا أعدَّ لأعدائه وأهلِ معصيته، فيَمْلأ القلوبَ مِن خطبته إِيمَانا وتوحيدًا ومعرفة الله وأيامه».[١]

وَهَذَا لَا يَمْنَع مِن أنْ يَتطَرَّقَ الإِمَام أحيانًا إِلَى بَعْض الأحداثِ الَّتِي قَد تَقَع خلال الأسبوع ويَحْتاج النَّاس إِلَى التنبيه عَلَيْها ومعرفة الصحيح والفاسد مِنْهَا، فَهَذَا الفعل مطلوبٌ وقد كَان يفعله رَسُولُ علَّامِ الغيوبِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان يخطب فِي كل وقت بمَا تقتضيه حاجةُ المخاطِبين ومصلحتُهم».[٢]

ومنهم كَذَلِك مَن لَا يرفع صوتَه أثناء الخطبة وخاصةً عند ذِكْر ما فِيهِ ترهِيب كمَا كَان يفعل رَسُول العَزِيز الرقيبِ، فنَجِدُه فِي خطبته كأنَّه يقرأ كتابًا لنفسه، فَلَا نَشْعر أنَّ هناك فَرْقًا فِي أسلوبه وإلقائه بَيْن الترغيب والترهِيب، فعن جابر بْنِ عَبْد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كَان رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**».[٣]

---

(١) زاد المعاد (١/ ٤٢٣).

(٢) زاد المعاد (١/ ١٨٩).

(٣) رَواه مسلم (٨٦٧).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««إِذَا خَطَبَ» أيْ وَعَظَ «احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ» أيْ صارت صِفَتُه صِفَةَ الغَضْبَانِ، وَهَذَا شأن المُنذِر المخوِّف؛ فلذَلِك قَال «كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ» أيْ كَمَنْ يُنْذِرُ قومًا مِن جيش عظيم قصدوا الإغارة عَلَيْهم «يَقُول صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» أيْ أتاكم وقتَ الصباح أَو المساء؛ أي كأنكم بِهِ وقد أتاكم كذَلِك، شَبَّهَ حَالَهُ فِي خطبتِه وإنذارِه بقُرْبِ القِيَامَة بحالِ مَن يُنْذِر قَوْمَه عِنْدَ غفلتهم بجيشٍ قريبٍ مِنْهُم بقَصْد الإحاطة بهم بَغْتَةً، فكمَا أنَّ المُنْذِر يرفعُ صوتَه وتَحمرُّ عيناه ويشتدُّ غضبه عَلَى تغافُلِهم، فكذا حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الإنذار».(١)

ومنهم أَيْضًا مَن يُطيلُ فِي خطبته إطالةً مُمِلَّةً تُؤثِّر عَلَى المُسْتَمِعِين؛ حَيْثُ تمنع مِن تَحْقِيق الفائدة المرجوَّة مِن الخطبة؛ وهِي الاتِّعاظ والتأثير عَلَى المُصَلِّين، يَقُول الإمَام ابْنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهلُ العلم يَكْرَهون مِن المَوَاعظ مَا يُنْسِي بعضُه بعضًا لِطُولِه، ويَسْتَحِبُّون مِن ذَلِك مَا وَقف عَلَيْه السامع المَوْعوظ فاعتبره بعد حفظه له، وذَلِك لا

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٤٦).

يَكُون إِلَّا مع القِلَّة».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأَوْلى أنْ يُقصِّر الخطبة؛ لِأَنَّ فِي تقصير الخطبة فائدتين:

١- **أَلَّا يَحْصل المَلَلُ للمستمعين**؛ لِأَنَّ الخطبة إِذَا طالت لَا سِيَّمَا إنْ كَان الخطيب يُلْقيها إلقاءً عابرًا لَا يحرِّك القلوب، وَلَا يبعث الهِمَم فإن النَّاس يَملُّون ويَتْعَبون.

٢- **أنَّ ذَلِك أوعى للسامع**؛ أيْ أَحْفَظُ للسامع؛ لأَنَّهَا إِذَا طالت أضاعَ آخرُها أوَّلَها، وإِذَا قَصُرت أَمْكَنَ وعيُها وحِفْظُها».(٢)

وَهَذَا الفعل مِن القرائن الدَّالَّة عَلَى عدم فِقْه الخطيب، وقِلَّة علمه، فعن عمَّار بْنِ يَاسِر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سمعتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ»**.(٣)

---

(١) الاستذكار (٢/ ٣٦٤).

(٢) الشَّرْح الممتع (٥/ ٦٥).

(٣) رَواه مسلم (٨٦٩).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ»، بضمِّ الخاء، أيْ طُولَ صلاته بالنسبة إِلَى قِصَرِ خطبته «مَئِنَّةٌ»، مَفعْلَةٌ، بُنِيَتْ مِن أنَّ المكسورة المشددة «مِن فِقْهِهِ» أيْ علامة يتحقق بِهَا فِقْهُهُ، وحقيقتها مكَان لقول القائل إِنَّهُ فقيهٌ، «فَأَطِيلُوا» أَيُّها الأئمة الخطباء «الصَّلَاةَ» أيْ صلاةَ الجمعةِ «وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ»؛ لِأَنَّ الصَّلَاة أفضلُ مقصودٍ بالذَّات والخطبة فرع عَلَيْها».(١)

فأينَ فِعْله هَذَا أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار مِن هَدْي وسُنَّة رَسُول العَزِيز الغفار؟! يَقُول الإِمَام ابْنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «أمَّا قِصَر الخطبة فسُنَّة مَسْنُونة كَان رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمر بذَلِك ويفعله».(٢)

فعَلَيْه أنْ يجعل خطبته قصدًا حَتَّى لَا يتسبب فِي تنفير ومَلَلِ المُصَلِّينَ ويَقْتَدي بهَدْي سيِّدِ الأَنْبِيَاء والمُرْسَلِين، فعن جابر بن سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنتُ أُصَلِّي مع رَسُول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَكَانتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا**».(٣)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٢٢).

(٢) الاستذكار (٢/ ٣٦٣).

(٣) رَوَاه مسلم (٨٦٦).

يَقُول العظيم آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القصدُ فِي الشيء هُوَ الاقتصادُ فِيهِ وتَرْك التطويل، وإنَّمَا كَانت صَلَاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخُطْبتُه كَذَلِك لِئَلَّا يَمَلَّ النَّاس، والحديث فِيهِ مشروعية إقصار الخطبة، وَلَا خلاف فِي ذَلِك واخْتُلِفَ فِي أقلِّ مَا يُجْزِئ عَلَى أقوالٍ مبسوطة فِي كتب الفقه».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقصد معناه التوسُّط، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تخفيف مُخِلٌّ وَلَا تَثْقِيلٌ مُمِلٌّ».(٢)

لكنْ يَنْبَغِي أنْ نَعْلم أنَّ الحاجَةَ إِذَا دَعَت إِلَى الإطالة فَلَا بأسَ بذَلِك، مع مراعاة عدم المَشَقَّة عَلَى المستمعين، وَهَذَا الَّذِي كَان مِن هَدْيِ خَيْر المُرْسَلِين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان يَقْصُر خطبته أحيانًا ويُطِيلُها أحيانًا بحسب حاجة النَّاس، وكَانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأحيانًا تستدعي الحالُ التَّطْويلَ، فإِذَا أطال الإِنْسَانُ أحيانًا لاقتضاء الحال ذَلِك، فإنَّ هَذَا لَا

---

(١) عون المعبود (٣/ ٣١٦).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٢٣١).

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٢٧).

يُخْرِجه عن كونه فقيهًا؛ وذَلِك لِأَنَّ الطول والقصر أمر نسبي». (١)

فاعْلَمْ يَا مَن ولَّاك الله جَلَّ وَعَلَا للإمامة وتذكير المُسْلِمِينَ أنَّ هَذَا الأمر لَيْسَ فَقَطْ مِن قبيل التشريف، وإنَّمَا هو كَذَلِك تكليف، وستُسْأل عَنْه يَوْم القِيَامَة، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاس رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »**(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الراعي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمن المُلْتَزِم صَلَاحَ مَا قَامَ عَلَيْه ومَا هُوَ تَحْت نَظَره، فَفِيه أنَّ كلَّ مَن كَان تَحْت نَظَره شَيْءٌ فَهُوَ مُطَالَب بالعَدْل فِيه، والقِيَام بمَصَالحِهِ فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقاتِه». (٣)

فحافِظْ عَلَى هَذِهِ النعمة العظيمة والمِنْحة الكَرِيمة، وذَلِك بشكر الكَرِيم الرَّحْمَن، ثُمَّ أنْ تَكُون خطبتك عَلَى هَدْي رَسُول العَزِيز المنَّانِ، وإيَّاكَ أنْ تجعلها فقط من قبيل الوظائف الدنيوية، فتُصْبِح عِنْدك مِن

---

(١) الشَّرْح الممتع (٥/ ٦٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

قَبِيل العادات، لَا مِن العبادات، فَلَا تَشْعر باللذة الإِيمَانية عند القيام بها، واحْذَرْ أشدَّ الحَذَرِ مِن أنْ تنقل فِيهَا أحاديث لَا تصح؛ فَهَذَا مِن الكذب عَلَى خير المُرْسَلِين، وقد تَتَسبَّبُ بفِعْلك هَذَا فِي إضلال الكَثِير من المُصَلِّينَ، يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن المصائب العُظمى الَّتِي نَزَلَت بالمُسْلِمِينَ منذ العصور الأولى انْتِشَارُ الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم، لَا أستثني أحدًا منهم، ولو كَانوا عُلَمَاءهم، إِلَّا مَن شاء الله مِنْهُم مِن أئمَّة الحديث ونُقَّاده؛ كالبُخَارِي، وأَحْمَد، وابْن مُعِين، وأَبِي حاتِم الرَّازِي، وغيرهم.

وقد أدَّى انْتِشَارها إِلَى مفاسد كَثِيرة؛ مِنْهَا ما هُوَ مِن الأمور الاعتقادية الغَيْبِيَّة، ومِنْهَا ما هُوَ مِن الأمور التشريعية».(١)

فهَذِه أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام بَعْض المخالفات الَّتِي قَد انْتَشَرَت بين كَثِير مِن خطباء المُسْلِمِينَ، فعَلَيْهم تَرْكُها والحِرْص عَلَى العَمَل بهَدْي خير المُرْسَلِين إِذَا أرادوا الخير والفلاح لهم وللمُصَلِّينَ بإذن رب العَالَمِينَ.

(١) السلسلة الضعيفة (١/ ٤٧).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يوفِّق أئمَّة مساجد المُسْلِمِينَ لكلِّ ما فِيهِ خير لهم وللمأمومين، وأنْ يجعلهم هداة مُهتدين، ولِهَدْيِ خير المُرْسَلِين مِنَ المتَّبِعين الدَّاعين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

داء الغش!

داءُ الغِشِّ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ قِلَّة الخَوْف مِن علاَّم الغيوب من أَسْبَاب ارتكاب المَعَاصِي والذُّنُوب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَوْف عَلَامَةُ صِحَّة الإِيمَان، وتَرَحُّله من القلب علامةُ ترحُّلِ الإِيمَان منه».(١)

لِأَنَّه بقَدْر وجود الخَوْف فِي قلوب الأَنَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام يَكُون تعظيمهم للعزيز العَّلام، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب إِذَا امتلأ من الخَوْف أي مِن الله أَحْجَمَت الأعضاء جَمِيعها عن ارتكاب المَعَاصِي، وبقَدْر قِلَّة الخَوْف يَكُون الهجوم عَلَى المَعَاصِي،

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٥١٥).

فإذَا قلَّ الخَوْف جِدًّا واسْتَوْلَت الغَفْلَة كَان ذَلِك مِن علامةِ الشَّقاء».(١)

وإنَّ مِن المظاهر السَّيِّئة والأَفْعَال الذَّمِيمة الَّتِي نراها وللأسف قَد انْتَشَرَت وفَشَت اليَوْم بين كَثِير مِنَ المُسْلِمِينَ بِسَبَب قِلَّة الخَوْف من رب العَالَمِينَ: «الغِشُّ». يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ مَا يُخلَطُ مِن الرديء بالجيد».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغِشُّ: خديعة وخيانة وضياعٌ للأمانة وفَقْدٌ للثقة بين النَّاس، وكلُّ كَسْب مِن الغِشِّ فإنَّه كَسْبٌ خبيثٌ حرامٌ لَا يَزِيدُ صاحبَه إِلَّا بُعدًا من الله».(٣)

حتى إنَّ بَعْض مَن يرتكب هَذَا العَمَل المُشِينَ قَد لبَّس عَلَيْهم إبْلِيسُ اللعين وجَعَلَهم يعتقدون أنَّ هَذَا الفعل من الذكاء الَّذِي يتميزون بِهِ عن الآخرين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكنِ انظر إِلَى النَّاس اليَوْم تجد أنَّ الغِشَّ عندهم أَهْوَنَ الأشياءِ، بَلْ إن بعضهم والعياذ بالله يَعُدُّ الغِشَّ من الشطارة فِي البيع والشراء

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ١٣٢).

(٢) التوقيف عَلَى مهمات التعاريف (ص٥٣٨).

(٣) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٠/ ٢٥٥).

والعقود، ويرى أنَّ هَذَا من باب الحذق والذكاء والدهاء نسأل الله العافية».(١)

فغفلوا بِسَبَب ذَلِك مِن تَحْذِير نبيِّنا الكَرِيم من هَذَا الفعل الذَّمِيم والعمل اللئيم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».(٢)

يَقُول القاضي عَيَّاض رَحِمَهُٱللَّهُ: «أيْ لَيْسَ مهتديًا بهَدْيِنَا، وَلَا مُسْتَنًّا بسُنَّتِنا، لا أَنَّهُ أخرجه من المُؤْمِنِينَ».(٣)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِير رَحِمَهُٱللَّهُ: «وقوله «فَلَيْسَ مِنَّا» أيْ لَيْسَ مِن أَخْلَاقنا وَلَا عَلَى سُنَّتِنا».(٤)

وأنَّ العُلَمَاء قَد أَجْمَعوا عَلَى تحريمه وذَمِّه، يَقُول الصَّنْعَاني رَحِمَهُٱللَّهُ: «وهو الغِشُ مُجْمَع عَلَى تحريمه شرعًا مذمومٌ فاعلُه عقلًا».(٥)

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٤٩٥).

(٢) رَوَاه مسلم (١٠١).

(٣) مشارق الأنوار (١/ ٣٨٣).

(٤) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (٣/ ٣٦٩).

(٥) سُبُل السَّلَامِ (٣/ ٢٩).

وأنَّه كَذَلِك من الكَبَائِر، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ من كَبَائِر الذُّنُوب».(١)

إنَّ الغشَّ لم يَعُدْ قاصرًا اليَوْم عَلَى صِنْف مُعيَّن من المُسْلِمِينَ، فنراه موجودًا بكثرة عند بَعْض التجار الَّذِين هَمُّهم الوحيد هُوَ تحصيل المال بأيِّ وَسِيلَة كَانت، يَقُول الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَثِيرًا من التُّجَّار وَأَهْلِ الْبَهَارِ وَالْحَبَّابِينَ وغيرهم يجعل أَعَلَى البضاعة حَسَنًا وَأَسْفَلَهَا قَبِيحًا، أَو يَخْلِطُ بَعْض القَبِيح فِي الحسن حَتَّى يُرَوِّجَ وَيَنْدَمِجَ عَلَى المشتري فيأخذ القبيحَ مِن غَيْر أَنْ يَشْعر بِهِ ولو شَعَرَ بِهِ لَمْ يأخذ شَيْئًا منه، وغير ذَلِك مِن صُوَر الْغِشِّ».(٢)

فيكفِي هَؤُلَاءِ جُرمًا أَنَّهم قَد وقَعُوا فِي ذنبٍ عواقبُه وخيمةٌ وأضرارُه جسيمةٌ؛ أَلَا وهو الكذب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكذب متضمِّنٌ لفسادِ نظامِ العالَمِ، وَلَا يمكن قيام العالَم عَلَيْه لَا فِي معاشهم وَلَا فِي مَعَادهم، بَلْ هُوَ متضمنٌ لفساد المعاش والمعاد، ومفاسد الكذب اللازمة لَهُ معلومةٌ عند خاصَّة النَّاس وعامَّتهم،

---

(١) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣٩٧).

كيف وهو مَنشأ كل شرٍّ؟! وفساد الأعضاء لسانٌ كذوبٌ، وكم أزيلت بالكذب مِن دُوَل وممالك، وخربت بِهِ من بلاد، واستُلِبَتْ بِهِ مِن نِعَمٍ، وتَقَطَّعَت بِهِ مِن مَعَايش، وفَسَدَت بِهِ مَصَالح، وغُرِسَت بِهِ عَدَاوات، وقُطِّعَت بِهِ مَوَدَّات، وافْتَقَر بِهِ غنيٌّ، وذَلَّ بِهِ عَزِيز، وهُتِكَت بِهِ مَصُونَةٌ، ورُمِيَتْ بِهِ مُحْصَنَةٌ، وخَلَت بِهِ دُورٌ وقُصُورٌ، وعَمُرَت بِهِ قُبُور، وأُزِيلَ بِهِ أُنْسٌ، واستُجْلِبَت بِهِ وَحْشَةٌ، وأُفْسِدَ بِهِ بيْن الِابْنِ وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأَحَالَ الصديقَ عدوًّا مُبينًا، ورَدَّ الغنيَّ العَزِيز مِسكينًا، وهل ملئت الجحيم إِلَّا بأهل الكذب الكاذبين عَلَى الله، وعَلَى رَسُوله، وعَلَى دينه، وعَلَى أوليائه، المكذِّبين بالحق حميَّةً وعصبيَّةً جاهليَّةً». (١)

فلو عظَّموا ربَّ البريَّة وتدبَّروا النصوص الشرعيَّة لمَا تجرَّءُوا عَلَى ارتكاب هَذِهِ المعصية الدَّنيَّة، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو تَأمَّلَ الْغَشَّاشُ الخائنُ الآكلُ أموالَ النَّاسِ بالباطل مَا جاء فِي إثم ذَلِك فِي القرآن والسُّنَّة لَرُبَّمَا انْزَجَرَ عن ذَلِك أَو عن بعضه». (٢)

ولْيَعْلَمْ هَذَا التاجرُ الَّذِي يخدع ويغُشُّ الأَنام أنَّ مالَه حرام، وأنَّه

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٤).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٤٠٠).

مُتوعَّدٌ بعقاب شديد إنْ لم يَتُبْ ويرجع إِلَى العَزِيز العلَّام ويُطهِّر نفسه من هَذِهِ الآثام، فعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**».(١)

يَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «هَذَا وعيد شديد يفيد أنَّ أَكْل أموال النَّاس بالباطل مِن الكَبَائِر».(٢)

فعَلَى تُجَّار المُسْلِمِينَ أنْ يَحرصوا فِي عملهم عَلَى تقوى ربِّ العَالَمِينَ، ويبتعدوا عن كلِّ فعل مُشِين؛ لِأَنَّ هَذَا من أَسْبَاب نجاحهم وفلاحهم فِي الدَّارين بإذْن أرحم الرَّاحِمِينَ، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «عَلَى مَن أراد رضا الله ورَسُولِه وسلامةَ دينه ودنياه ومروءته وعرضه وأُخراه أنْ يتحرى لِدِينِه، وألَّا يبيع شَيْئًا مِن تِلْكَ البُيُوع المَبنيَّة عَلَى الغشِّ والخديعة».(٣)

وللأسف أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار لَم يَعُدِ ارْتِكابُ هَذَا الفعل

---

(١) رَوَاه الدَّارمي فِي سُنَنه (٢٧٧٦)، وصحَّحَه الشيخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُٱللَّهُ فِي صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ١٧).

(٣) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣٩٩).

قاصرًا عَلَى الكبار، بَلْ تعداهم إِلَى الصغار؛ فنرى مِنْهُم مَن يغُشُّ فِي الامتحانات ظنًّا مِنْهُم أنَّ هَذَا هُوَ طريق النجاح ومَسْلك الفلاح، بَلْ أصبح بعضُهم يبتكر طرقًا عصرية للقيام بهَذِه المعصيَة الرديَّة، ويَعْظُم حُزن المؤمن عندمَا يسمع أنَّ بَعْضَ الأبناء قَد يفعلون ذَلِك بمُبَارَكة الآباء أو بمساعدة بَعْض الأساتذة، يَقُول الشَّيْخ ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِشُّ مُحرَّمٌ فِي الاختبارات، كما أَنَّهُ محرم فِي المعاملات، فَلَيْسَ لأحد أنْ يغش فِي الاختبارات فِي أي مادة، وإِذَا رضي الأستاذ بذَلِك فَهُوَ شريكه فِي الإثم والخيانة، والله المستعان».(١)

فعَلَى كلِّ مَن ولاَّه ربُّ العَالَمِينَ أَمْرَ المُسْلِمِينَ سواء كَانت ولايته عَامَّة أَو خاصة أنْ يَحْذر أشدَّ الحذر من مباركته أَو وقوعه فِي هَذَا العَمَل المُشِين؛ لأَنَّهُ متوعَّدٌ بالعقاب الشديد يَوْم وقوفه بين العَزِيز الحميد، فعن مَعْقِل بْنِ يَسَار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«مَا من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْم يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلّا حَرّمَ الله عَلَيْه الْجَنّةَ»**.(٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابْن بَاز (٦/ ٣٩٧).

(٢) رَوَاه مسلم (١٤٢).

يَقُول القاضي عيَّاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه بَيِّنٌ فِي التَّحْذِير مِن غِشِّ المُسْلِمِينَ لِمَن قَلَّدَه الله تعالى شَيْئًا مِن أمرهم، واسترعاه عَلَيْهِم، ونَصَّبه لمصلحتهم فِي دينهم أَو دنياهم، فإِذَا خَانَ فيمَا اؤْتُمِنَ عَلَيْه فلَمْ يَنْصَح فيمَا قُلِّدَهُ؛ إِمَّا بتَضْيِيعِهِ تَعْرِيفهمْ مَا يَلْزَمهُمْ مِنْ دِينهمْ، وَأَخْذهمْ بِهِ، وَإِمَّا بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَيَّن عَلَيْهِ مِنْ حِفْظ شَرَائِعهمْ، وَالذَّبّ عَنْهَا لِكُلِّ مُتَصَدٍّ لإِدْخَالِ دَاخِلَة فِيهَا أَوْ تَحْرِيف لِمَعَانِيهَا، أَوْ إِهْمَال حُدُودهمْ، أَوْ تَضْيِيع حُقُوقهمْ، أَوْ تَرْك حِمَايَة حَوْزَتهمْ، وَمُجَاهَدَة عَدُوِّهِمْ، أَوْ تَرْك سِيرَة الْعَدْل فِيهِمْ؛ فَقَدْ غَشَّهُمْ».(١)

وعلينا كَذَلِك جَمِيعًا أن نَحْذر من الوقوع فِي هَذَا العَمَل المُشين ونُحَذِّر كذَلِك مِنْهُ الآخرين، ونُذَكِّرهم بعواقبه الوخيمة وأخطاره الجسيمة الَّتِي لَا تَضُرُّ فَقَطِ الأفرادَ، بَلْ تتعدى إِلَى الجماعات، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكثرة ذَلِك أي الغِشّ تدلُّ عَلَى فَسَادِ الزمان وقُرب السَّاعَةِ، وفَسَاد الأموال والمُعَامَلات، ونَزْع البَرَكات مِن المَتَاجر والبِيَاعات وَالزِّراعات، بَلْ ومِن الأراضي المَزْرُوعات».(٢)

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ١٦٦).

(٢) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٤٠٠).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أن يجعلنا ممَّن يحرص عَلَى فعل الطاعات والتزوُّد مِن الخيرات، وأنْ يحفظ المُسْلِمِينَ من الوقوع فِي المُحَرَّمات كالغِشِّ والخيانة وسائر المُنْكَرات، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وهو ربُّ الأَرْض والسَّموات.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

تذكير الأغنياء
بفوائد الجلوس
مع الفقراء

تَذْكِيرِ الأَغْنِياءِ بِفَوائِدِ الجُلُوس مَع الفُقَرَاء

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ عَلَى المُسْلِمِينَ أن يتَّصفوا بِخُلقٍ كريم وأدبٍ قويم قد أَمَرَهُم بالتَّحلي بِهِ خيرُ المُرْسَلِين بِوَحْيٍ مِن ربِّ العَالَمِينَ، أَلَا وهو التواضع للآخرين، فعن عيَّاض بْنِ حِمَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله أَوْحَى إليّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».[1]

يَقُول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «"حَتَّى لَا يَفْخَرَ"»، بفتح الخاء، مِن الفَخْر، وهو ادِّعاءُ العَظَمة والكِبْرياء والشَّرَف؛ أيْ: كي لَا يتعاظمَ «أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ»، بكسر الغين؛ أيْ: وَلَا يَظْلم «أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»،

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٨٦٥).

وفي الجمع بينهما إشعار بأنَّ الفخْر والبَغْي نَتيجتَا الكِبْر؛ لِأَنَّ المُتكبِّر هو الَّذِي يرفع نفسه فوق كلِّ أحد وَلَا يَنْقَاد لأَحَدٍ».(١)

فمَن عَمِل بهَذِه الوصيَّة النبوية فسَيَنَالُ الخيرَ الكبيرَ والفَضْلَ الكَثِير بإذْنِ الربِّ الكَرِيمِ القديرِ، فعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ الله**».(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فِيهِ وَجْهَانِ؛ أحدهما: يرفعه فِي الدُّنْيا ويُثْبِتُ لَهُ بِتَوَاضُعِه فِي القُلُوبِ مَنْزِلَةً، ويرفعه الله عند النَّاس ويُجِلُّ مكانه.

والثاني: أنَّ المُرَاد ثوابُه فِي الآخرة ورَفْعُه فِيهَا بتواضعه فِي الدُّنْيا».(٣)

وَلِذَا فإنَّ عَلَى المُسْلِم العاقل أَيُّها الأَفَاضِلُ أَلَّا يُفرِّط فِي هَذَا الخير وَلَا يُضيع هَذَا الأجر، ويسعى دَائِمًا لتَحْقِيق هَذَا الخُلُق الرَّفيع

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ١٢١).

(٢) رَوَاه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٤٢).

لِمَا لَهُ مِن مكَانةٍ وَقَدْر، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقل لُزُومُ التَّوَاضع، ومُجَانَبَةُ التَّكبُّرِ، وَلَو لَمْ يَكُن فِي التواضع خَصْلةٌ تَحْمِلُه إلَّا أنَّ المَرْء كُلَّمَا كَثُر تَوَاضُعه ازْدَادَ بذَلِك رِفْعَة، لَكَان الواجبُ عَلَيْه أَلَّا يَتَزَيَّا بغيره».(١)

إنَّ صُوَرَ التَّوَاضُعِ أَيُّها الأَفَاضِلُ لَيْست مَحْصورةً وَلَا هِي عَلَى هِيئَةٍ واحدةٍ مَقْصورة، بَلْ هِي متعدِّدةٌ موفورةٌ، ومِن أهمِّها وأَفْيَدِها صُورَةٌ تُقوِّي رَوَابطَ المَحبَّة بَيْن المُسْلِمِينَ والإخاء، وتُبْعد عَنْهم التفرُّقَ والبَغْضاء؛ أَلَا وَهِيَ مُجالَسَةُ ومُخالطَةُ ومَحَبَّةُ الأَغْنِياءِ للفُقَراءِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضُعُ يُكْسِب السَّلَامةَ ويُورِثُ الأُلْفَة ويَرْفع الحِقْدَ ويُذْهب الصَّدَّ، وثَمَرَةُ التواضُعِ المَحَبَّةُ».(٢)

وبِسَبَبِ مَا يترتَّبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَة الجليلة مِن ثِمَارٍ كَرِيمةٍ وفَوَائِدَ ذَاتِ أهميَّةٍ وقِيمَةٍ، أَمَرَنَا عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام بالاتصاف والتَّحلي بها، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَمَرَنِي خليلي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ منهم، وَأَمَرَنِي أَنْ**

---

(١) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٥٩).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٦١).

أَنْظُرَ إِلَى مَن هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَن هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَلَّا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِن قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُنَّ مِن كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ».(١)

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"بِسَبْعٍ" أيْ بسَبْعِ خِلَالٍ، "أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ" أيْ والقرب من حالهم أَو التَّقَرُّبِ مِن مآلهم».(٢)

لقد عَلِمَ سَلَفُنا الصَّالحُ فائدةَ وقِيمَةَ هَذِهِ الوَصِيَّة؛ لِذَا عَمِلُوا بِمَا حَثَّهم عَلَيْه خيرُ البريَّة، فأَحَبَّ الأغنياءُ مِنْهُم الفُقَرَاءَ وحَرَصوا عَلَى الإحسان إِلَيْهِم، بَلْ إِنَّ بعضهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم كَان يُجلِس الفُقَرَاءَ معه عَلَى مائدته ويَجْعَلهم يُشاركونه فِي طعامه، فعن أَبِي مَحْذُورَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ جالسًا عند عُمَرَ إِذْ جاءَه صَفْوَانَ بْنُ أُمَيَّة بِجَفْنَةٍ، يَحْمِلُهَا نَفَرٌ فِي عباءَةٍ، فوَضَعُوها بَيْن يَدَي عُمَرَ، فَدَعَا عُمَرُ

(١) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ١٥٩)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٢١٦٦).

(٢) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ٤٤٥).

نَاسًا مَسَاكِينَ وَأَرِقَّاءَ مِن أَرِقَّاءِ النَّاس حَوْلَه، فأَكَلُوا معه »(١)

بل كَان أَيْضًا بعضُهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لَا يجلس عَلَى طعامٍ حَتَّى يُؤتَى بمسكين يأكل معه، فعن نَافِعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَوْلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَان ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ معه».(٢)

فيَنْبَغِي عَلَى مَن فَتَحَ عَلَيْه أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ مِن فَضْلِه أَنْ يُحِبَّ إِخْوَانَه الفُقَرَاءَ والمساكِينَ الَّذِين هُمْ مِن أَسْبَاب النَّصْر والتَّمْكِينِ بإِذْن ربِّ العَالَمِينَ، فعن سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!**»(٣)

يَقُول ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأويل ذَلِك أَنَّ عبادةَ الضعفاءِ ودُعَاءَهم أشدُّ إخلاصًا وأكثرُ خشوعًا؛ لِخَلَاء قُلُوبِهم مِن التَّعلُّقِ بزُخْرُف الدُّنْيا وزِينَتِها وصَفَاءِ ضمائرِهم مِمَّا يَقْطَعُهم عن الله، فَجَعَلُوا هَمَّهُم واحدًا؛ فزَكَتْ أَعْمَالُهم، وأُجِيبَ دعاؤهم».(٤)

---

(١) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٢٠٣) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٥٠٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٠).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٢٧٣٩).

(٤) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّال (٥/ ٩٠).

والَّذِينَ هُم أكثرُ مَن يَدْخُلُ مِن المُسْلِمِينَ جَنَّةَ أرحَمِ الرَّاحِمِينَ، فعن أُسَامَة بْن زَيْد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنّةِ فَإِذَا عَامّةُ مَنْ دَخلَهَا الْمَساكِينُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدّ مَحْبُوسُونَ إِلّا أَصْحَابَ النّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النّارِ**».(١)

يَقُول المهلَّب بْنُ أحمد بْنِ أَبِي صُفْرَة الأَنْدَلُسِي (ت:٤٣٥هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ: «فِيهِ مِن الفِقْه أنَّ أَقْربَ مَا يُدْخَلُ بِهِ الجَنَّةَ التَّوَاضُعُ لله تعالى، وأنَّ أَبْعَدَ الأشياء مِنَ الجَنَّة التَّكَبُّرُ بالمال وغيره، وإنَّما صار أصحاب الجدِّ محبوسون لِمَنْعِهم حُقُوقَ اللهِ الواجبةَ للفقراءِ فِي أمواله‍م، فحُبِسُوا للحساب عمَّا مَنَعُوه، فأمَّا مَن أدَّى حُقُوقَ الله فِي أمواله، فإنَّه لَا يُحْبَسُ عن الجَنَّة، إِلَّا أنَّهم قليلٌ؛ إذْ كَثُرَ شأنُ المَالِ تَضِيعُ حُقُوقُ الله فِيهِ؛ لِأَنَّه مِحْنَةٌ وفِتْنَةٌ».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: ««قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ»، يعني أكثرُهم؛ أكثرُ مَا يَدْخل الجنة الفُقَرَاءُ؛ لِأَنَّ الفُقَرَاءَ فِي الغالبِ أَقْرَبُ إِلَى العبادةِ والخشيةِ لله مِنَ

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٣٦) واللفظ له.

(٢) شَرْح صَحِيح البُخَارِي لابْنِ بَطَّال (٧/ ٣١٨).

الأغنياءِ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦، ٧]. والغني يرى أَنَّهُ مُسْتَغنٍ بمَالِه، فَهُوَ أقلُّ تعبُّدًا مِن الفقير، وإنٍ كَان مِن الأغنياء مَن يَعْبد الله أكثرَ مِن الفُقَرَاءِ، لكنَّ الغالب، و«أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ» يَعْني أصحابَ الحظِّ والغِنَى محبوسون لم يَدْخلوا الجنة بعدُ؛ الفُقَرَاء يدخلون الجنة قبل الأغنياء».(١)

وَلِذَا كَان خيرُ المُرْسَلِين يَسْأل أَرْحمَ الرَّاحِمِين أنْ يَحشُرَه فِي زُمْرَة المساكين، فعن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُوري رَحِمَهُٱللَّهُ: «قولُه «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا» قِيلَ هُوَ مِن المَسْكَنَةِ، وهِي الذِّلة والافتقار، فأرَاد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بذَلِك إظهارَ تواضُعِه وافتقارِه إِلَى ربِّه إرشادًا لأُمَّتِه إِلَى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر والنَّخوة، وأراد بذَلِك التنبيه عَلَى عُلُوِّ درجات المساكين وقُرْبِهم من الله تعالى، قاله الطيبي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَاحْشُرْنِي فِي

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٦٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٣٥٢) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُٱللَّهُ.

زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» أيْ أَجْمِعني فِي جماعتهم بمعنى اجْعَلني مِنْهُم، لكِنْ لَمْ يَسْأل مسكنةً ترجع للقِلَّة بَلْ للإِخْبَاتِ والتواضع والخشوع».(١)

وتَذَكَّرْ كذَلِك أَيُّها الغني لعلَّ هَذَا المسكينَ الَّذِي تُجالِسُه وتُحْسِن إِلَيْه قَد يَكُون مِن مُجَابِي الدَّعْوَةِ، فيَخُصُّكَ بدعاء تَنْفعُك آثارُه فِي دنياك ويَوْم وُقُوفِك بَيْن يَدَيْ مَوْلاك، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ**».(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأَشْعَثُ الملبَّدُ الشَّعْرِ المُغْبَرُّ غَيْرُ مَدْهُونٍ وَلَا مُرجَّلٍ، و«مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ» أيْ لَا قَدْرَ لَهُ عند النَّاس، فهُمْ يَدْفعونه عن أَبْوابهم ويَطْرُدُونَه عَنْهم احتقارًا لَهُ، «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ» أيْ لَو حَلَفَ عَلَى وُقُوع شَيْء أَوْقَعَهُ الله إكرامًا لَهُ بإجابة سؤاله وصِيَانَتِه مِنَ الحِنث فِي يَمِينه، وَهَذَا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِه عند الله تعالى، وإنْ كَان حقيرًا عند النَّاس. وقِيلَ مَعْنى القَسَمِ هُنَا الدُّعَاءُ، وإِبْرَارُه

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ١٦).

(٢) رَوَاه مسلم (٢٦٢٢).

إجابتُه، والله أعلم».(١)

واعلمْ أَيْضًا أنَّ جلوسَك معهم يجعلك تَنْظر إِلَى مَن هُوَ دُونَك لَا لِمَن هُوَ فوقك فتَشْكُر الكبيرَ المتعالَ عَلَى مَا أنعم عَلَيْكَ مِن جاهٍ ومالٍ فتُحَقِّق بذَلِك مَا أوصاك بِهِ نبيُّك الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ».**(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أيْ فِي أمور الدُّنْيا أيْ الأَحَقِّ والأَوْلَى ذَلِك، «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ» فيها؛ «فَهُوَ أَجْدَرُ» أيْ فالنَّظَرُ إِلَى مَن هُوَ أسفل لَا إِلَى من هُوَ فوق حَقِيقٌ «أَلَّا تَزْدَرُوا» أيْ بأَلَّا تحتقروا «نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ»، فإنَّ المَرْء إِذَا نَظر إِلَى مَن فَضُلَ عَلَيْه فِي الدُّنْيا طَمِحَت لَهُ نفسُه واستصغر مَا عنده مِن نِعَم الله، وحَرَص عَلَى الازْدِيَاد لِيَلْحقَه أَو يُقَاربَه، وإِذَا نظر لِلدُّونِ شَكَرَ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٤).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٤٩٠) ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.

النعمة وتَوَاضَعَ وحَمِدَ».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أَرْشَدَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذَا الدواء العجيب، والسبب القوي لِشُكْرِ نِعَم الله، وهو أنْ يَلْحَظَ العَبْد فِي كل وقتٍ مَن هُوَ دونه فِي العقل والنَّسَب والمَالِ وأصناف النِّعَم، فمَتَى استدام هَذَا النظر اضْطَرَّه إِلَى كثرة شُكْرِ ربِّه والثَّنَاء عَلَيْه، فإنَّه لَا يزال يَرَى خَلْقًا كَثِيرًا دونه بدرجات فِي هَذِهِ الأوصاف، ويَتَمَنَّى كَثِيرٌ مِنْهُم أن يَصِلَ إِلَى قريبٍ مِمَّا أُوتِيَه مِن عافيةٍ ومالٍ ورِزْقٍ، وخُلُقٍ وخَلق، فيَحْمَدَ الله عَلَى ذَلِك حمدًا كَثِيرًا، ويقول: الحمد لله الَّذِي أنعم عليَّ وفضَّلَني عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقَ تفضيلًا.

ينظر إِلَى خلق كَثِير ممَّن سُلِبوا عقولهم، فيَحْمَدُ ربَّه عَلَى كمال العقل، ويُشاهِد عالَمًا كَثِيرًا لَيْسَ لهم قُوتٌ مُدَّخر، وَلَا مساكن يَأْوُونَ إِلَيْها، وهو مُطْمَئِنٌّ فِي مسكنه، مُوَسَّعٌ عَلَيْه رزقه.

ويرى خَلْقًا كَثِيرًا قَد ابْتُلُوا بأنواع الأمراض، وأصناف الأَسْقَام وهُو مُعَافًى مِن ذَلِك، مُسَرْبَلٌ بالعافية. ويُشاهِد خَلْقًا كَثِيرًا قَد ابْتُلُوا

(١) فَيْض القَدِير (٣/ ٩٧).

ببلاء أفظعَ من ذَلِك، بانحراف الدِّين، والوقوع فِي قَاذُورَات المَعَاصِي، والله قَد حَفِظَه مِنْهَا أَو مِن كَثِير مِنْهَا.

ويتأمل أناسًا كَثِيرين قَد استولى عَلَيْهم الهمُّ، ومَلَكَهُم الحزنُ والوَسَاوِسُ وضِيقُ الصدر، ثُمَّ ينظر إِلَى عافيته مِن هَذَا الدَّاء، ومنةِ الله عَلَيْه براحةِ القلب، حَتَّى ربَّمَا كَان فقيرًا يفوق بهَذِه النعمةِ نعمةِ القناعة وراحة القلب كَثِيرًا من الأغنياء.

ثم مَن ابْتُلِيَ بشيء مِن هَذِهِ الأمور يَجِدُ عالمًا كَثِيرًا أعظمَ مِنْهُ وأشدَّ مصيبةً، فيحمد الله عَلَى وجود العافية وعَلَى تخفيف البلاء، فإنَّه مَا مِن مكروهٍ إِلَّا ويوجد مكروهٌ أعظم منه.

فمَن وُفِّق للاهتداء بِهَذَا الهَدْي، الَّذِي أَرْشَدَ إِلَيْه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يزل شُكْرُه فِي قُوَّة ونُمُوٍّ، ولم تَزَل نِعَم الله عَلَيْه تَتْرَى وتَتَوالَى، ومَن عَكَسَ القضيةَ فارْتَفَع نَظَرُه وصَارَ يَنْظر إِلَى مَن هُوَ فَوْقه فِي العافية والمال والرزق وتَوَابِع ذَلِك، فإنَّه لَا بدَّ أنْ يَزْدَرِي نِعْمَةَ الله، وَيَفْقِدَ شُكْرَه، ومَتَى فَقَدَ الشُّكر تَرَحَّلَت عَنْه النِّعَم، وتَسَابَقَت إِلَيْه النِّقَم، وامْتُحِنَ بالغَمِّ المُلازِم، والحزن الدَّائم، والتَسَخُّطِ لِمَا هو فِيهِ مِن الخير، وعَدَم الرضى بالله ربًّا ومدبرًا. وذَلِك

ضرر فِي الدِّين والدُّنيا وخسرانٌ مبين».(١)

فبَعْدَ أنْ عَرَفْنا أَيُّها الكِرَام فَضْلَ هَذِهِ الصِّفَة الكَرِيمة والخصلة الحميدة، وأنَّ فوائدها وعوائدها لَيْست قاصرةً عَلَى الفُقَرَاء، بَلْ تَتَعدَّى بدرجة أكبر إِلَى الأغنياء، وأَنَّهَا مِن أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ والإخاء، وهِي كَذَلِك من وَسَائِل القضاء عَلَى ما قَد يُوجَد بينهم مِن عداوة وحِقد وحَسَدٍ وبغضاءَ، فعَلَى مَن أَنْعَمَ عَلَيْه ربُّ العَالَمِينَ أنْ يجتهد فِي تَحْقِيقها وَيَحْرص عَلَى مجالسة الفُقَرَاء المساكين، ولْيَعْلمْ أنَّ هَذَا الفعل لَا يَقْدَحُ فِي مكَانته، ولَنْ يُذهِبَ هِيبتَه كما قَد يُلبس عَلَيْه إِبْلِيس اللعين، بَلْ مَا يزيده ذَلِك كمَا تَقدَّمَ إِلَّا رفعةً فِي الدَّارَين ومحبَّةً وتوقيرًا عند الآخرين، بإذْن أَرحَمِ الرَّاحِمِين، يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضعُ لَا يُصغِّر كَبِيرًا، وَلَا يَضع رفيعًا، وَلَا يُبطل لِذِي حقٍّ حقًّا، ولكنه يُوجِب لصاحبه فضلًا، ويُكسبه جلالًا وقدرًا».(٢)

فاللَّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يَجْعَلَنا وإِيَّاكم

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٩٧).

(٢) شرح السنة (١/ ١١٦)

هُدَاةً مُهتدين، وبِنَبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْتَدِينَ، وأنْ يُوفِّق الأغنياء لخدمةِ الدِّين وإعانة الفُقَرَاء والإحسان للمساكين من المُسْلِمِينَ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وربُّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

تذكير الأخيار أن
قبول الاعتذار من
شيم الكبار

تَذْكِيرُ الأَخْيَارِ أنَّ قَبولَ الاعتذارِ مِن شِيَمِ الكبار

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ تقويةَ أواصر المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ وتعزيز روابط الألفة والإخاءِ والحَثّ عَلَى اجتناب كلِّ سبب يؤدِّي إِلَى نشرِ العداوة فيمَا بينهم والشَّحْناء لَهُوَ مِن أهمِّ مقاصد الدِّين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانه، أنْ يَكُون هِينًا لِيّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجب المودّة والأُلْفَة بَيْن النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشّرع، ولِهَذا نَهَى النَّبِيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجب العداوة والبغضاء».(١)

وَلِذَا أَمَرَنا دينُنا الكَرِيم بِبَذْلِ كلّ الأَسْبَاب الَّتِي تُساهِم فِي تَحْقِيق

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٥٤٤).

هَذَا المَقْصدِ العظيمِ والهدفِ القويمِ، ومِن ذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ أَنَّهُ حَثَّنا عَلَى التحلِّي بخصلة كريمة وَصِفة جليلة؛ أَلَا وَهِيَ العفو؛ وهو: «التجاوُز عن الذنب وتَرْكُ العقاب عَلَيْه».(١)

بل لأَجْل دَفْع المُسْلِم وترغيبه بِهَذَا الخُلُق الجميل والأدب النبيل، وَعَد العَزِيز القدير مَن تَحَلَّى بِهِ بالأَجْر الكبير والخير الكَثِير؛ حَيْثُ قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: يَجْزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كَثِيرًا، وشَرَطَ اللهُ فِي العفوِ الإصلاحَ فيه، لِيَدُلَّ ذَلِك عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَان الجاني لَا يليق بالعفو عَنْه وكَانَت المَصْلَحَة الشرعية تقتضي عُقُوبَته، فإنه فِي هَذِهِ الحال لا يَكُون مأمورًا به.

وفِي جعل أجر العافِي عَلَى الله مَا يُهِيج عَلَى العفو، وأَنْ يُعامِلَ العَبْدُ الخَلْقَ بمَا يُحِبُّ أَنْ يُعامِلَه اللهُ به، فكمَا يُحِبُّ أَنْ يعفو الله عَنْه، فلْيَعْفُ عَنْهم، وكمَا يحب أن يسامحه الله، فلْيسامحْهم، فإنَّ الجزاءَ مِن جنس العمل».(٢)

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٧٢).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٦٠).

وهَذِهِ الخَصْلة الكَرِيمة لَا ينالها وَلَا يتحلَّى بِهَا أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام إِلَّا مَن وطَّن نفسَه وعوَّدَها عَلَى قَبُول عُذْر مَن أخطأ فِي حقِّه مِن الأَنَام، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب عَلَى العاقل إِذَا اعتَذَر إِلَيْه أخوه لِجُرمٍ مضى، أَو لتقصيرٍ سبق أَنْ يَقبل عُذْرَه ويجعله كمن لم يُذنب».(١)

فأصحابها هُم النُجباء، وبَيْنَ النَّاس هم العُقلاء؛ حَيْثُ عَرَفوا أنَّ السَّعادَة والطمأنينة الحَقِيقِيَّة هِي فِي العفو والصَّفْح عمَّنْ أخطأ فِي حقِّهم مِن البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي الصَّفْحِ والعَفْوِ والحِلْمِ، مِن الحَلاوة والطُّمَأنِينَة والسَّكِينة وشَرَف النَّفْسِ وعِزِّها ورِفْعَتها عن تَشَفِّيها بالانتقام، مَا لَيْسَ شيءٌ مِنْهُ فِي المقابلة والانتقام».(٢)

وأنَّ الخير لَيْسَ دَائِمًا فِي تقديم العقاب والزجر، وإِنَّما هُوَ فِي العفو وإيثار قبول العذر، وَهَذَا مَا يرفع العَبْدَ بَيْن النَّاس وعند العَزِيز المقتدر، فعن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا

(١) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص١٨٣).

(٢) مَدارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣١٩).

زَادَ الله عَبْدًا بِعفْوٍ إِلّا عِزًّا».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ وجهان؛ **أحدهما**: أَنَّهُ عَلَى ظاهِرِه، وأنَّ مَن عُرِف بالعفو والصفح سَادَ وعَظُم فِي القلوب وزَادَ عِزُّه وإكرامه.

والثاني: أنَّ المُرَاد أجرُه فِي الآخرة وعِزُّه هناك».(٢)

ويَعْلَمون أَيْضًا جيدًا أنَّ قبول اعتذار الآخرين مِن أَخْلَاق الكِرَام المتواضعين الَّذِينَ يحبُّهم ربُّ العَالَمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أساء إِلَيْكَ ثُمَّ جاء يعتذر مِن إساءته، فإنَّ التواضع يُوجب عَلَيْكَ قبول معذرته حقًّا كانت أو باطلًا، وتَكِلُ سَرِيرَته إِلَى الله تعالى، كمَا فعل رَسُول الله فِي المنافقين الَّذِينَ تخلفوا عَنْه فِي الغزو، فلمَّا قَدِم جاءوا يعتذرون إِلَيْه فقبل أعذارهم، ووكَّل سرائرهم إِلَى الله تعالى».(٣)

إنَّ أَوْلى مَن يَنْبَغِي أن يتحلَّى بِهَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدب القويم أَيُّها الأَحِبَّة الكرام هُوَ مَن يَحُثُّ النَّاس عَلَى العَمَل بتعاليم الإِسْلَام

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٤١).

(٣) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٣٧).

ويسعى فِي الإصلاح بين الأَنَام، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَفُوق النَّاس فِي العِلْم جديرٌ أنْ يَفُوقَهم فِي العمل».(١)

لِأَنَّهم عند النَّاس هُم القدوةُ، وفِي نظرهم الأُسْوَةُ، يَقُول الخطيب البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجب أن يَكُون طَلَبة الحديث أكملَ النَّاس أدبًا، وأشدَّ الخَلْق تواضُعًا، وأعظمَهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلَّهم طيشًا وغضبًا؛ لِدَوَام قَرْعِ أسماعهم بالأخبار المشتملة عَلَى محاسن أَخْلَاق رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه وسِيرَة السَّلَف الأَخْيَار مِن أهل بيته وأصحابه، وطرائق المُحَدِّثين ومآثر الماضين، فيأخذوا بأَجْمَلِها وأَحْسَنِها ويَصدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها».(٢)

ونَذْكُر كَذَلِك فِي هَذَا المقام أنَّ عَلَى مَنْ قصَّر أَو أَذْنَبَ فِي حق إِخْوَانه أنْ يُبادر إِلَيْهم بطلب العفو والاعتذار؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِي طريقة الأَخْيَار ومنهج أهل الفضل الكبار، وسيَقْوَى بذَلِك بينه وبينهم رباط المَحَبَّة والأُخُوَّة، وسيَسُدُّ كلَّ ما قد يحصل بين إِخْوَانه مِن نُفرةٍ وفجوة، وسيَحْمِي نفسه كَذَلِك مِن داء خطير ومرض عسير؛ أَلَا وهو العُجْب،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٨).

يَقُول ابنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو لم يكن فِي اعتذار المَرْء إِلَى أخيه خَصْلة تُحْمد إِلَّا نَفْي التعجب عَن النفس فِي الحال، لَكَانَ الواجب عَلَى العاقل أَلَّا يفارقه الاعتذار عند كل زلة».(١)

فبعدَ أنْ عَرَفْنا أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام فَضْلَ هَذِهِ الخصلة الحميدة والصِّفَة الرفيعة، وأَنَّهَا مِن شِيَم أصحاب النفوس الزكية والطريقة المَرْضِيَّة، فمَا أجمل أنْ نُساهِم جَمِيعًا فِي نَشْرها بين المُسْلِمِينَ، وأنْ نَكُون ممَّن يَقْبَل عذر مَن أساء إِلَيْه من الآخرين لتَسُودَ المَحبَّة والأُخُوَّة وكلُّ أنواع الخير، ولِنَقْضِيَ بإذن العَزِيز المقتدر عَلَى الحقد والحسد والبغض وكل طرق الشرِّ.

فاللَّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإيَّاكُم لكلِّ ما فِيهِ فلاحٌ ونجاحٌ فِي الدَّارين، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا كلَّ مَا يؤدِّي إِلَى الحِرْمَان والخُسْرَان، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيز الرَّحْمَن.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٨٦).

أيُّ الأنفس تريد
أن تصاحب؟!

أيُّ الأَنْفُس تُريد أنْ تُصاحِب؟!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصحبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الصُحبة مؤثِّرة فِي إصلاحِ الحال وإفسادِه؛ فمُعَاشَرَةُ الأَخْيَار تُورِث النجاحَ والفلاحَ، ومُخالَطَةُ الأشرارِ تُورِث الحِرْمان والخُسْران، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**الرّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ من يُخَالِلُ**».[1]

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه «الرَّجُلُ» يعني الإِنْسَان، «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» أيْ عَلَى عادَةِ صاحِبِه وطَرِيقَتِه وسِيرَتِه، «فَلْيَنْظُرْ» أي فلْيَتَأَمَّلْ وليَتَدَبَّرْ، «مَنْ يُخَالِلُ» مِن المُخَالَّة، وهِي المُصَادَقَة والإِخَاءُ،

(١) رَوَاه التِّرمِذِي (٢٣٧٨)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمَنْ رَضِيَ دينَه وخُلُقَه خَالَلَهُ، ومَن لَا؛ تَجَنَّبَهُ؛ فإنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَة، والصُّحْبَة مُؤَثِّرة فِي إصلاح الحال وإفسادِه».(١)

وَلِذَا كَان لِزامًا عَلَى المُسْلِم أن يَحْرِص أشدَّ الحرص عَلَى مُصَاحَبة ومُجالَسَة مَن كَان مِن أَصْحاب الأَنْفُس الطيبة؛ لأَنَّهَا تدعو صاحبَها للتَّحَلِّي بِكُلِّ خُلقٍ جميلٍ وأدبٍ نبيلٍ؛ فبالتَّالي فإنَّ فوائدَ ذَلِك وعوائدَه تَعُود عَلَيْه ويَسْتَفيد مِنْهَا، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفوائدُ الأصحاب الصَّالحين لَا تُعد وَلَا تُحْصَى، وحَسْبُ المَرْءِ أنْ يُعْتَبَرَ بقَرِينه، وأنْ يَكُون عَلَى دين خَلِيله».(٢)

وعَلَيْه كَذَلِك أنْ يَجْتَنِب مَن كَانت نَفْسُه خَبِيثةً؛ لأَنَّهَا تَجْعل صاحِبَها يتَّصِفُ بأَوْصاف ذَمِيمةٍ، وَأَفْعالٍ قَبِيحةٍ، ويُخشى عَلَى مَن خالَطَه أنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْه مَا بِهَا مِن داءٍ ويُصابَ بمَا تَغَلَّلَ فِيهَا مِن وَباءٍ، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهُم أيْ مُصَاحِبَةُ الأشرار مَضَرَّةٌ مِن جَمِيع الوجوه عَلَى مَن صَاحَبَهُمْ، وشَرٌّ عَلَى مَن خَالَطَهم، فكَمْ هَلَكَ بِسَبَبِهم أقوام، وكَم قَادُوا أصحَابَهم إِلَى المَهَالِك مِن حَيْثُ يَشْعُرون،

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٢).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢٠).

ومِن حَيْثُ لَا يَشْعُرون».(١)

فَلَا مُسَاواة أبدًا أَيُّها الأَفَاضِلُ بَيْن مَن امْتَلَأَتْ نَفْسُه مِن كُلِّ فَضْلٍ وخَيْرٍ، ومَن كَانَت نَفْسُه مَأْوًى لِكُلِّ عَيْبٍ وشَرٍّ؛ لِأَنَّ مَن طَابَتْ نَفْسُه طَابَ عَمَلُه، ومَن خَبُثَت نَفْسُه خَبُثَ عمله، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

يَقُول الإِمَام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُول تعالى ذِكْرُه لنبيه مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يا مُحَمَّد: لَا يَعْتَدِلُ الرديءُ والجَيِّد، والصَّالِح والطَّالِح، والمُطِيع والعَاصِي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾، يقول: لَا يَعْتَدِل العاصي والمُطِيع لله عند الله، وَلَوْ كَثُرَ أَهْل المَعَاصِي فعَجِبْتُ مِن كَثْرَتِهم؛ لِأَنَّ أَهْل طَاعَة الله هُمُ المُفْلِحون الفَائِزون بِثَوَاب الله يَوْم الْقِيَامَة وإنْ قَلُّوا، دُونَ أَهْلِ مَعْصِيَتِه وإنَّ أهل مَعَاصِيه هُمُ الأَخْسَرون الخَائِبون وإنْ كَثُرُوا».(٢)

فالأول: يَظْهَرُ الطِّيب والخَيْر الَّذِي فِي قَلْبه عَلَى جَوارِحه وتَتَأَثَّرُ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

(٢) تفسير الطَّبَرِي (٧/ ٧٩).

بِهِ أَعْمالُه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّيِّبُ يَتفجَّر مِن قَلْبِه الطِّيبُ عَلَى لِسَانِه وجَوَارِحه».(١)

والثاني: يتفجَّر مِن قَلْبه الخُبثُ والشَّرُّ فيَسْرِي ذَلِك عَلَى أَقْوالِه وأَفْعَالِه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخَبِيث يتفَجَّر مِن قَلْبه الخُبْثُ عَلَى لسانِه وجَوَارِحِه».(٢)

والأول: بفَضْل العَزِيز الحَمِيد دَائِمًا سَعِيدٌ وعَنِ الشُّرُور بَعِيدٌ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله سُبْحَانَه وتعالى جَعَل للسَّعَادة والشَّقَاوة عُنوانًا يُعْرَفَان به؛ فالسَّعيدُ الطَّيِّب لَا يليق بِهِ إِلَّا طَيِّب وَلَا يأتي إِلَّا طَيِّبًا وَلَا يَصْدُر مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ وَلَا يُلَابِسُ إِلَّا طَيِّبًا».(٣)

والثَّاني: دَومًا فِي همٍّ وشَقَاء وَلَا يَصْدر مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ ضَرَرٌ وشرٌّ ووَبَاءٌ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّقِيُّ الخَبِيثُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الخَبِيث وَلَا يَأتِي إِلَّا خبيثًا وَلَا يَصْدر مِنْهُ إِلَّا الخبيث».(٤)

---

(١) زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٣) زاد المعاد (١/ ٦٧).

(٤) زاد المعاد (١/ ٦٧).

والأول: أَيُّها الأَحِبَّة يُعْرف بين النَّاس بالأَخْلَاقِ الجَمِيلةِ والصِّفَاتِ الحَمِيدة مِن الكَرَمِ والجُودِ والشَّجاعةِ والبَذْلِ والعَطاءِ والوَفاءِ وغيرِ ذَلِك مِن صِفَات الأَتْقياءِ والأَصْفياءِ، وهو حريص أشدَّ الحِرْص عَلَى نَفْع المُسْلِمِينَ وبَذْل كلِّ خَير للآخرين، وهَذِه هِي صفات المُؤْمِنِينَ، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن فَضَائل الإِيمان أنَّ المُؤْمِنِينَ يَنْتفعُ بعضُهم بِبَعض، ويَدْعو بعضُهم لِبعضٍ، بِسَبَب المُشارَكة فِي الإِيمَان المُقْتضِي لِعَقْد الأُخُوَّة بيْن المُؤْمِنِينَ الَّتِي مِن فُروعها أنْ يَدْعو بعضُهم لبعضٍ، وأنْ يُحِبَّ بعضُهم بعضًا».(١)

والثاني: أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام قَدِ اشْتُهِرَ بَيْنهم بصفاتِ اللِّئامِ مِن الحِقْدِ والمَكْرِ والكَيْدِ والجُبْنِ والبُخْلِ، وغيرِ ذَلِك مِن الشُّرور والآثامِ، ومِن ذَلِك أَيْضًا الحَسَد المَذْموم الَّذِي يَجعل صاحبَه لَا ينفكُّ عَن الهُمُوم، يَقُول الإِمَام ابْن حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحَسَد مِن أَخْلَاقِ اللِّئامِ، وتَرْكُه مِن أَفْعَالِ الكِرَام، ولِكلِّ حريقٍ مُطْفِئٌ، ونَار الحسدِ لَا تُطْفَأ».(٢)

فمَا ظَهَر هَذَا الدَّاء وانْتَشَر هَذَا الوباء إِلَّا بِسَبَب عدمِ صَفَاء

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٥٤٧).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٣٤).

السَّرِيرة وخُبْثِ النُّفوسِ الشِّرِيرة، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سببُ الحسدِ خُبْثُ النَّفْسِ».(١)

ولْيَعْلَمْ مَن كَانت سرِيرتُه خبيثةً وطَويتُه قبيحةً ونَفْسه عن الخَيْر بعيدةً أَنَّهُ مُتوعَّدٌ بعقابٍ شديدٍ إِذَا لم يُبَادرُ بالتَّوْبَة والرُّجوع إِلَى العَزِيز الحميد، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنُّفوس الخبيثةُ لَا تَصْلح أنْ تَكُون فِي الجنَّة الطَّيِّبة الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مِن الخُبْث شيءٌ؛ فإنَّ ذَلِك مُوجِب للفَسَاد أَو غير مُمْكن».(٢)

فعَلَيْه قَبْل فَوَات الأَوَان إِذَا أراد النَّجاة أنْ يُسارِع فِي مُعالَجَة وتَطْهِير نَفْسه مِن هَذَا المرضِ الخطيرِ والشَّر الكبير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالجَنَّة لَا يَدْخلها خبيثٌ وَلَا مَن فِيهِ شَيْء مِن الخُبْث، فمَن تَطَهَّرَ فِي الدُّنيا ولَقِيَ اللهَ طاهِرًا مِن نجاساته دَخلَها بغَيْر مُعوِّقٍ، ومَن لَمْ يتطَهَّرْ فِي الدُّنيا فإنْ كَانت نجاستُه عينِيَّةً، كالكافر، لَم يَدْخلها بحال، وإنْ كَانت نجاستُه كَسْبِيَّةً عارِضةً دَخلَها بَعْدَمَا يتطهَّرُ فِي النَّار

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ١٦).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٤/ ٣٤٤).

مِن تِلْكَ النَّجاسة، ثُمَّ لَا يَخْرجُ مِنْهَا».[(١)]

وفِي الخِتَام أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام بَعْد أنْ عَرَفْنا الفَرْق بيْن الصِّنْفَين ومَا تتمَيَّزُ بِهِ كُلُّ نفسٍ ومَا آثارُها عَلَى الآخَرِين، فَعَلَيْنا أنْ نَعْلَم جَمِيعًا أنَّ مِن نِعَم الكَرِيم الغفَّار عَلَى عَبْده أنْ يُوفِّقَه لمُصَاحَبَة أَهْلِ الفَضْل الأَخْيَار، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن أعظم نِعَم الله عَلَى العَبْد المُؤمِن: أنْ يوفِّقَه لِصُحْبة الأَخْيَار».[(٢)]

ومِن الحِرمان والخُذلان أنْ يَبْتَلِيَ العَزِيزُ الرَّحْمَنُ عَبْدَه بمُرَافقة أَوْلِيَاء الشَّيطان، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عُقُوبَته أي سُبْحَانَه لِعَبْدِه: أنْ يَبْتَلِيَه بصُحْبة الأَشْرار».[(٣)]

فعَلَيْنا أنْ نَدْعو دَائِمًا الجَوَاد الجَبَّار أنْ يُوفِّقَنا لمُصَاحَبة الأَخْيَار وأنْ يُجَنِّبَنا مُخَالَطَة الأَشْرار، ثُمَّ لنجتهدْ فِي بَذْل كلِّ مَا يُعِينُنا عَلَى تَحْقِيق ما فِيهِ فلاحٌ ونجاحٌ لنا فِي الدَّارَين بإذْن أَرْحم الرَّاحِمِينَ، ومِن ذَلِك مُجالَسة ومُخالَطة أَصْحاب الأَنْفُس الطَّيِّبة الكَرِيمة، والبُعد واجتناب

---

(١) إغَاثَةُ اللَّهْفَانِ (١/ ٥٦).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

(٣) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٢١).

أصحاب النُّفوس الشريرة الخَبِيثة اللَّئِيمة.

فاللّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفقنا جَمِيعًا لما فِيهِ فَضْلٌ وخَيْرٌ وسُرُورٌ، ومِن ذَلِك أنْ يطهِّر أَنْفُسِنا مِن كلِّ العُيوب والشُّرور، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

المن بالصنيعة!

المَنُّ بالصَّنِيعَة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ التَّصدُّقَ عَلَى الفُقَرَاء والمحتاجين مِن أَفْضل الأَعْمَال الَّتِي يَتَقرَّب بِهَا العَبْد إِلَى ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الرَّاغِب الأَصْفَهَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّدَقَةُ مَا يُخْرِجه الإِنْسَان مِن مَالِه عَلَى وَجْه القُرْبة كالزَّكَاة، لكِنَّ الصَّدقة فِي الأَصل تُقَال للمُتَطَوِّع به، والزَّكَاة للواجِب، وقد يُسَمَّى الواجب صَدَقَةً إِذَا تَحَرَّى صاحبُها الصِّدْق فِي فِعْله».(١)

لكِنَّ هَذَا العَمَل الكَرِيم الَّذِي يُحِبُّه العَزِيز العليم، والَّذِي حَثَّ عَلَيْه نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم قَد يُفسِده

---

(١) المُفْردات فِي غَرِيب القرآن (ص٢٧٨).

صاحبه بفِعْلٍ ذَمِيمٍ وعملٍ مُشِينٍ؛ أَلَا وهو المنُّ عَلَى مَن أَحْسَنَ إِلَيْهِم مِن المَسَاكين، يَقُول الهَيْتَمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْمَنُّ: هو أنْ يُعَدِّدَ نِعْمَته عَلَى الآخِذ، أَو يَذْكُرَهَا لِمَن لَا يُحِب الآخِذُ اطِّلاعه عَلَيْه».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجُوز للإِنْسَان أنْ يَمُنَّ بالعَطِية، فيقول: أنا أَعْطيتُك كذا، أنا أَعْطَيتُك كذا، سواءٌ قالَه فِي مُواجَهَته أَو فِي غير مُواجَهته، مِثل أنْ يَقُول بين النَّاس: أعطيتُ فلانًا كذا، وأعطيتُ فلانًا كذا، لِيَمُنَّ بذَلِك عَلَيْه».(٢)

ناسيًا بذَلِك أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّه قد ارتكَبَ ذنبًا هُوَ مِن كِبَار الآثامِ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَحْرُم المَنُّ بالصَّدقة وغيرها، وهو كَبِيرة».(٣)

وأَنَّ هَذَا الفعلَ القبيحَ لَيْسَ مِن سِمَات الأَخْيَار الَّذِينَ يريدون بالصَّدقة وَجْهَ العَزِيز الغفَّار، بَلْ هُوَ مِن صِفَات الأَشْرار الَّذِينَ غَفَلوا أَنَّ المتفضِّل حَقِيقَةً عَلَى جَمِيع الخَلْق هُوَ الكَرِيم الجبَّار، يَقُول الهَيْتَمِي

(١) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣١٢).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٧٦).

(٣) المستدرَك عَلَى مَجْمُوعِ الفَتَاوَى (٣/ ١٦٦).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَمُنُّ إلَّا مَن غَفَل أَنَّ الله تعالى هُوَ المُعْطي والمتفضِّل».(١)

مُتغافلًا بفِعله المَذْموم عَن أمرٍ مَعْلوم أنَّ المَانَّ الحَقيقِيَّ هُوَ العَزِيزُ الوهَّاب، وما هُوَ إلَّا مِن الأَسْبَاب، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه الباري جَلَّوَعَلَا هُوَ المُنْعِم فِي نفس الأمرِ والعِبادُ وسائطُ، فَهُوَ المُنْعُم عَلَى عبدِه فِي الحَقِيقَة».(٢)

وَلِذَا فإنَّ مِن الأسماء الثابتة للعزيز الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة الإِخْوَان اسْمُ المنَّانِ، فعَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ كَان مع رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فقَال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لقد دَعَا الله بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».(٣)

يَقُول العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ) لَعَلَّه حَذَفَ المفعول اكتفاءً بعِلْم المَسْؤول، (بِأَنَّ لَكَ) تَقْدِيمُ الجَارِّ

---

(١) الزَّوَاجِر عن اقْتِرَاف الكَبَائِر (ص٣١٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُد (١٤٩٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

للاختِصَاص «الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ» أيْ كَثِيرُ العَطَاء مِن المِنَّة بمعنى النِّعْمة، والمِنَّةُ مَذْمومةٌ مِنَ الخَلْق لأَنَّه لَا يملك شَيْئًا».(١)

ويَقُول الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا «المَنَّان» فَهُوَ كَثِير العطاء».(٢)

ويَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «و«المنَّان» الَّذِي يجود بالنَّوَال قَبْل السؤال».(٣)

ولَا بُدَّ عَلَيْنَا أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام فِي هَذَا المَقَام الفَرْق الكبير الَّذِي بين مَنِّ العَبْد الضعيف عَلَى غيره مِن الأَنَام وبين مَنِّ العَزِيز العلَّام، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحَظَرَ الله عَلَى عِبَاده المَنَّ بالصنيعة، واخْتَصَّ بِهِ صِفَةً لنَفْسه؛ لأَنَّهُ مَنُّ العباد تكديرٌ وتَعْيِيرٌ ومَنُّ الله سُبْحَانَه وتعالى إفضالٌ وتذكيرٌ».(٤)

فعَلَى المُتصدِّق والمُحْسِن للآخرين أنْ يَجْتنب هَذَا الفعل القبيح، ولْيَعْلمْ جيدًا أَنَّهُ لَيْسَ مِن أَخْلَاق أهل الجود الكُرَماء وإنَّما هُوَ مِن

---

(١) عون المعبود (٤/ ٢٥٤).

(٢) شأن الدعاء (ص١٠٠).

(٣) النبوات (ص٨٧).

(٤) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

صفات البُخَلاء، يَقُول القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لِأَنَّه لا يَكُون أي المَنُّ غالبًا إِلَّا عن البُخل والعُجْب والكِبْر ونِسْيان مِنَّةِ الله تعالى فيمَا أَنْعم بِهِ عَلَيْه، فالبخيل يُعظِّم فِي نَفْسه العطيَّةَ، وإنْ كَانت حقيرة فِي نفسها، والعُجْبُ يَحْمله عَلَى النظر لنفسه بِعَين العَظَمة، وأنَّه مُنعِم بِمَاله عَلَى الْمُعطَى له، ومتفضِّلٌ عَلَيْه، وإن كَان لَهُ عَلَيْه حقٌّ يجب عَلَيْه مراعاته، والكِبْر يَحْمله عَلَى أنْ يَحْتقر المعطَى له، وإن كَان فِي نفسه فاضلًا».(١)

وعَلَيْه أنْ يَحْذر أشدَّ الحذر مِن التحلِّي بِهَذَا الخُلُق الذَّمِيم الَّذِي نَهَانَا عَنْه العَزِيز العظيم؛ حَيْثُ قَال الحكيم العليم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِی یُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا یُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡیَوۡمِ ٱلۡـَٔاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَیۡهِ تُرَابࣱ فَأَصَابَهُۥ وَابِلࣱ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدࣰاۖ لَّا یَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَیۡءࣲ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا یَهۡدِی ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِینَ﴾ [البقرة:٢٦٤].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ المنَّة والأذى مُبطِلان لأَعْمَالكم، فتَصِير أَعْمَالُكم بِمَنْزلةِ الَّذِي يَعْمل لمُرَاءَاةِ النَّاس وَلَا يُرِيد بِهِ اللهَ والدَّارَ الآخِرَة، فَهَذَا لَا شكَّ أنَّ عَمَلَه مِن أصلِه مَردودٌ؛

---

(١) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

لِأَنَّ شَرْط العَمَل أن يَكُون لله وحده، وَهَذَا فِي الحَقِيقَة عملٌ لِلنَّاسِ لَا لله، فأَعْمَالُه باطلةٌ وسَعْيُه غير مَشْكور، فمَثَله المُطابِق لحاله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهُو الحَجَر الأَمْلَس الشَّديد، ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾ أي: مَطر غزير، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ أي: لَيْس عَلَيْه شَيْء مِن التُّرَاب، فكذَلِك حال هَذَا المُرَائي، قلبُه غليظ قاسٍ بمنزلة الصفوان، وصَدَقته ونحوها مِن أَعْمَالِه بمَنْزلة التُّراب الَّذِي عَلَى الصَّفْوان، إِذَا رآه الجاهِل بحاله ظَنَّ أَنَّهُ أرض زكيَّة قابِلة للنَّبات، فإِذَا انكشفت حَقِيقَة حاله زال ذَلِك التراب وتبَيَّنَ أَنَّ عَمَلَه بمَنْزلة السَّرَاب، وأَنَّ قَلْبَه غيرُ صالحٍ لنَبَات الزَّرْع وزَكَائه عَلَيْه، بَلْ الرِّيَاء الَّذِي فِيهِ والإرادات الخبيثةُ تَمْنع مِن انتفاعه بشيء مِن عمله؛ فلِهَذا ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مِن أَعْمَالهم الَّتِي اكتسبوها؛ لِأَنَّهم وَضَعوها فِي غير موضعها وجَعَلوها لمَخْلوق مثلهم، لَا يَمْلك لهم ضَرَرًا وَلَا نَفْعًا، وانصرفوا عن عبادةِ مَن تنفعهم عبادته، فصَرَفَ الله قلوبهم عن الهِدَاية، فلِهَذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾»(١).

والَّذِي جاء فِي حقِّ المتَّصِف بِهِ الوعيدُ الشديدُ كمَا أَخْبَرَنا بذَلِك

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١١٣).

رَسُول العَزِيزِ المجيدِ، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**».(١)

يَقُول الإمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمنَّان: فَعَّالٌ مِنَ المَنِّ، وقد فَسَّره فِي الحديث فقال: «الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ» أيْ إلَّا امتنَّ بِهِ عَلَى المُعْطَى لَهُ ».(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المنَّان: الَّذِي يَمُنُّ بمَا أعطى، إِذَا أحسن إِلَى أحد بشيءٍ جَعَل يَمُنُّ عَلَيْه: فعلتُ بك كذا وفعلت بك كذا، والمنُّ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوب؛ لِأَنَّ عَلَيْه هَذَا الوعيد».(٣)

وعَلَى المتصدِّق أَيْضًا أن يَعْلم أنَّ المنَّ المَنْهِي عَنْه كمَا يقع بالقول، فإنه يَكُون كَذَلِك بالقلب، يَقُول الإمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمنُّ نوعان؛ أحدهما: مَنٌّ بقلبه مِن غير أنْ يصرِّح بِهِ بلسانه، وَهَذَا إنْ لم يُبْطِلِ الصَّدَقة فَهُوَ مِن نُقْصان شُهُود مِنَّة الله عَلَيْه فِي إعطائه المال

---

(١) رَوَاه مسلم (١٠٦).

(٢) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ٢٨٨).

وحرمانِ غيرِه، وتوفيقِه للبَذْل ومَنْع غيره منه، فللّه المِنَّة عَلَيْه مِن كلِّ وَجْه، فكَيْف يَشْهَد قلبُه مِنَّةً لغيره.

والنوع الثاني: أنْ يَمُنَّ عَلَيْه بلسانه، فيَعْتدي عَلَى مَن أَحْسَنَ إِلَيْه بإحسانه ويُرِيَه أَنَّهُ اصْطَنعه، وأنَّه أَوْجَبَ عَلَيْه حقًّا وطَوَّقه مِنَّةً فِي عُنُقِه، فيَقُول: أَمَا أعطيتُك كذا وكذا؟ ويُعَدِّد أَيَادِيَه عنده». [١]

فلْيحرصِ المُسْلِم المُنْفق لِمَاله أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ يَكُون عمله دَائِمًا خالصًا لوجه العَزِيز الوهَّاب، ولْيبتعدْ أَيْضًا عن كلِّ مَا يَقْدح فِي صَدَقتِه إِذَا أراد أنْ يَنَال بِسَبَبها الأجرَ والثَّوَاب، ومِن ذَلِك أنْ يَجْتنب المَنَّ عَلَى الفُقَرَاء والمساكين؛ لِأَنَّه فِعْل مُشِين ولَيْس مِن أَخْلَاقِ الصَّالِحِين المُتَّقِين، ولْيحمدْ دومًا ربَّ العَالَمِينَ أنْ جَعَلَه مِن المُقْتَدِرين المُنْفِقين لَا مِن المُحتاجين السائِلين، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومُوجِب ذَلِك أيِ الوقوع فِي المَنِّ كلِّه الجهلُ، ونسيان منَّة الله تعالى فيمَا أَنْعم بِهِ عَلَيْه؛ إِذْ قَد أَنْعَمَ عَلَيْه مِمَّا يُعطي، ولم يَحْرِمه ذَلِك، وجَعَله ممَّنْ يُعطِي، ولَمْ يَجْعلْه ممَّن يسأل». [٢]

---

(١) طريق الهجرتين (ص٥٤١).

(٢) المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ مِن تَلْخِيصِ كِتَاب مُسْلم (١/ ٣٠٤).

ولا يَسْتَحقرْ مَا يُقدِّمه مِن مَعْرُوف مهمَا قلَّ حجمه ونَقَصَ قَدْرُه عملًا بمَا أوصاه بِهِ نبيُّه، فعن عَدِي بنِ حاتِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اتّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».(١)

يَقُول الشَّيخ السَّعْدِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: أنَّ مِن أعظم المنجِّيات مِن النار، الإحسانَ إِلَى الخَلْق بالمال والأقوال، وأنَّ العَبْد لَا يَنْبَغِي لَهُ أنْ يحتقر مِن المَعْرُوف ولو شَيْئًا قليلًا، والكَلِمَة الطيبة تَشْمل النصيحةَ للخَلْق بتَعْليمهم مَا يَجْهلون، وإرشادهم إِلَى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلام المُسِرَّ للقلوب، الشَّارِحَ للصُّدُور، المُقَارِن للبَشَاشَة والبِشْرِ، وتَشْمل الذِّكْر لله والثَّنَاءَ عَلَيْه، وذِكْر أحكامه وشرائعه، فكلُّ كلامٍ يُقرِّب إِلَى الله ويَحْصل بِهِ النَّفْع لعِبَاد الله، فَهُوَ داخلٌ فِي الكَلِمَة الطيبة».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْعلنا وإيَّاكم

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٥٧).

هداةً مُهْتَدين، وفِي سبيله مِنَ المُنْفِقين، وعَلَى الفُقَرَاء والمساكين مِن المتصدِّقين، وأنْ يُجَنِّبنا جَمِيعًا كلَّ خُلُق ذَمِيم وفِعْل مُشِين، ومِن ذَلِك المنُّ عَلَى المحتاجين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأَرْحم الرَّاحِمِين.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

السمت الصالح

السَّمْتُ الصالح

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبِه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى كل مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ يَحْرِص أشدَّ الحرص عَلَى التأسِّي بأهل الفَضْل والصَّلاح مِن العُلَمَاء وغَيْرهم مِن أهل الخَير الأَتْقياء الَّذِينَ عُرِفوا بالتَّمَسُّك بِمَنهج الأَنْبياءِ، يَقُول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلنَّاسِ الاقْتِداء بأَهْل الفَضلِ والصَّلاحِ فِي جَمِيع أحوالهم؛ فِي هيئَتِهم وتَوَاضُعِهم للخَلْقِ ورَحْمَتِهم وإنصافِهم مِن أنْفُسِهم، وفِي مَأْكْلِهم ومَشْرَبِهم واقتصادِهم فِي أمورهم تَبَرُّكًا بذَلِك».(١)

ومِمَّا عُرف بِهِ هَؤُلَاءِ الأَخْيَار عَبْرَ التاريخ وفِي سائر الأَمْصَار

---

(١) عُمْدَةُ القَارِي (٢٢/ ١٥٤).

أنَّهم يتَّصِفون بِكُلِّ مَا فِيهِ مَدْح وفضيلة ويَبْتعدون عن كلِّ ما فِيهِ قَدْح ورذيلة؛ لِأَنَّهم يَعْلمون أنَّ حُسْنَ أدبِ المُسْلِم هُوَ مِن أَسْبَاب سعادته، وسُوءَ خُلُقِه مِن علامات شقاوته، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأدبُ المَرْء عنوانُ سعادته وفلاحِه، وقِلَّةُ أدبِه عنوانُ شقاوته وبَوَارِه».(١)

ومن الصِّفَات الجَمِيلَة والأَخْلَاق الحميدة الَّتِي يتحلَّى بِهَا هَؤُلَاءِ الأعلام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام «السَّمْت الصالح»، يَقُول القاضي عيَّاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِفَتْح السِّين، هُوَ حسن الهَيئة والمَنْظر فِي الدين والخير لَا فِي الجمال والملبس، والسَّمْت أَيْضًا القَصْد والطريق والجهة».(٢)

ولا غَرَابة فِي ذَلِك وَلَا عَجَب؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الكِرَام يقتدون بهَدْي أَنْبِيَاء العَزِيز العلَّام، عَلَيْهم الصَّلَاة والسلام، فعن عَبْد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالِاقْتِصَادَ، جُزْءٌ من خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».(٣)

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ٢٢٠).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُد (٤٧٧٦) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَقُول العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ"، بفَتْح الهَاء وسُكُون الدَّال المهملة، أيْ الطريقة الصَّالِحَة "وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ"، بفَتْح السين المهملة وسُكُون الميم، هُوَ حُسْن الهَيئة والمنظر، وأصله الطريق المنقاد "وَالِاقْتِصَادَ" أيْ سُلُوك القَصْد فِي الأمور القَوْلِية والفِعْلِية والدخول فِيهَا برِفْق عَلَى سبيلٍ يُمْكن الدوام عَلَيْه. "جُزْءٌ من خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا من النُّبُوَّةِ" أيْ إنَّ هَذِهِ الخِصَالَ مَنَحَها اللهُ تعالى أَنْبِيَاءَه فاقْتَدَوا بِهِم فِيهَا وتَابَعُوهم عَلَيْها، وليس معنى الحديث أنَّ النُّبُوَّةَ تَتَجزَّأُ، أَو أنَّ مَن جمع هَذِهِ الخصال كَان فِيهِ جزءًا مِن النبوة، فإنَّ النبوة غيرُ مُكْتَسَبة بالأَسْبَاب، وإنَّمَا هِي كرامة مِن الله تعالى لِمَن أرادَ إكرامَه بِهَا مِن عباده، وقد خُتِمَت بمُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ عَلَى العاقل أنْ يَكُون حَسَنَ السَّمْت طويلَ الصَّمْت، فإنَّ ذَلِك مِن أَخْلَاق الأَنْبِيَاء، كمَا أنَّ سُوءَ السَّمْت وتَرْكَ الصَّمْت مِن شِيَم الأَشْقِياء».(٢)

لِذَا فإنَّ الحِرص عَلَى الاتصاف بِهَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدبِ القويم

(١) عون المعبود (١٣/ ٩٤).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص٢٥).

دون تكلُّف وَلَا تَنَطُّعٍ مِن الأمور المستحَبَّة والمَطْلوبة فِي الشَّرْع وبيْن النَّاس، يَقُول الإِمَام ابن مُفْلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُسَنُّ أنْ يُتعلم الأدب والسَّمْت والفَضْل والحَيَاء وحُسْن السِّيرة شَرْعًا وعُرْفًا».(١)

وهو مِمَّا يَنْبَغِي أنْ يَكُون عَلَيْه كل مسلم؛ لِأَنَّ هَذَا مِن سِمَاتِه وصِفَاته، يَقُول الشَّيْخ بكر أبَوْ زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد تَوَارَدَت مُوجِبات الشَّرْع عَلَى أنَّ التحلِّيَ بمَحَاسِنِ الأدب ومكارمِ الأَخْلَاق والهَدْيِ الحَسَن والسَّمتِ الصالح؛ سِمَةُ أهل الإِسْلَام».(٢)

وهو كَذَلِك من العلامات الَّتِي تُميِّزُه عن الأَشرار مِن الفُسَّاق وأهل النِّفَاق، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، والفِقْهُ فِي الدِّينِ**».(٣)

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسنُ السَّمت صلاحُ الظاهرِ الَّذِي يَكُون عن صلاح القلب، والفِقْه فِي الدِّين يتضمَّنُ

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٤٤٥).

(٢) حلية طالب العلم (ص٥).

(٣) رَوَاه التِّرمِذِي (٢٦٨٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مَعرفة الدِّين ومَحَبَّته، وذَلِك ينافِي النفاق».(١)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسْن السَّمت وَالْفِقْه فِي الدِّين مِن أَخَصِّ عَلَامَات الإِيمان، وَلنْ يجمعهمَا الله فِي مُنَافِق؛ فإن النِّفَاق يُنَافِيهِمَا ويُنَافِيَانِه».(٢)

فعَلَى المُسْلِم إِذَن أَنْ يسأل أولًا العَزِيز الحكيم أَنْ يَرْزقه التحلِّي بِهَذَا الأدب الكَرِيم، ثُمَّ يُجَاهِد نَفْسه عَلَى الاتِّصَاف بِهَذَا الخُلق القويم، ومن ذَلِك أَنْ يَحْرِص عَلَى مجالسة ومصاحبة مَن عُرِف بالتخلُّق بِهِ مِن الصَّالِحِين، وَهَذَا كَان هَدْيَ مَن سَبَقَنا مِن المتَّقين الأوَّلِين، يَقُول الإِمَام مُحَمَّد بْنُ سِيرِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانوا يتعلمون الهَدْيَ كمَا يتَعَلَّمون العِلْم».(٣)

ويَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كَان جماعة مِن السَّلَف يَقْصِدون العَبْد الصالحَ للنَّظر إِلَى سَمْتِه وهَدْيه، لَا لِاقْتِبَاسِ عِلْمه.

وذَلِك أنَّ ثَمْرة عِلْمه هَدْيُه وسَمْتُه، فافْهَمْ هَذَا وامْزِجْ طَلَبَ الفِقْهِ

(١) جامع الرسائل (١/ ١٣٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٥).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٩).

والحديث بمُطالَعة سِيَر السَّلف والزُّهاد في الدُّنْيا لِيَكُون سَبَبًا لِرِقَّةِ قَلْبِك». (١)

ويؤيِّد مَا ذَكَره هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةُ الأَعْلامُ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام مَا جاء عن إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّد البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، [ت:٢٦١-٢٧٠هـ]؛ حَيْثُ قال: «كَان يَجْتمع فِي مَجْلس أحمد زُهَاءُ خمسة آلافٍ أَو يَزِيدون؛ نحو خمسمائة يَكْتبون، والباقون يَتعلَّمون مِنْهُ حُسْنَ الأدب والسَّمت». (٢)

وإنَّ أَوْلى مَن يَنْبَغِي عَلَيْهم أنْ يَحْرصوا عَلَى التحلِّي بِهَذَا الخُلُق النَّبيل والأدبِ الجميلِ هُم طَلَبَةُ العِلْم وحَمَلَةُ الشريعة؛ لِأَنَّ مَن يَفُوق النَّاسَ فِي العلم، الأَجْدَرُ بِهِ أنْ يتقدَّمَهم ويَكُونَ أفضلَ مِنْهُم فِي العمل، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يَفُوقُ النَّاسَ فِي العِلم جديرٌ أنْ يَفُوقَهم فِي العَمَل». (٣)

ويَقُولُ الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ حَقًّا عَلَى مَن طَلَبَ العِلم أَنْ يَكُون لَهُ وَقارٌ وسَكِينةٌ وخَشْيةٌ، وأنْ يَكُون مُتَّبِعًا لِأَثَرِ

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٧١).

(٢) سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاَءِ (١١/ ٣١٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠).

مَن مَضَى قَبْلَه». (١)

ويَقُول الخطيب البَغْدَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ أنْ يَكُون طَلَبَة الحدِيث أَكْمَلَ النَّاس أدبًا، وأشدَّ الخَلْق تواضُعًا، وأعظمَهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلَّهم طَيْشًا وغضبًا؛ لِدَوام قَرْعِ أسماعِهم بالأخبار المشتَمِلة عَلَى محاسِنِ أَخْلَاق رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه وسِيرَة السَّلَف الأَخْيَار مِن أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدِّثين ومآثِر الماضِين، فيأخذوا بأَجْمَلِها وأحسنِها ويَصدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها». (٢)

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَحْبَابُ أنْ نَبْذُل مَا يُعيننا عَلَى تَحْقِيق هَذَا الخُلُق الكَرِيم وغيرِه مِن الآداب، بأنْ نَسْأله أوَّلًا مِن العَزِيز الوهَّاب، ثُمَّ نجتهد فِي تَحْقِيق مَا يُيَسِّرُه مِن أَسْبَابٍ مَع الحذر مِن التكلُّف والتنطُّع المذموم؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ طريق الفُضَلاء ومِنْهَج العقلاء النبلاء، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مِن شِيَم العاقلِ الحِلْمَ والصمتَ والوقارَ والسكينةَ والوفاءَ والبَذْلَ والحكمةَ والعِلمَ والوَرَعَ والعَدْلَ والقوةَ، والحَزْمَ والكِيَاسةَ والتميزَ والسمتَ والتواضُعَ والعَفْوَ والإِغْضَاءَ

---

(١) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ (٦/ ٣٢٤).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٧٨).

والتَّعَفُّفَ والإحسانَ».(١)

وهو مِن أَسْبَاب النجاح والفلاح فِي الدَّارَين وأَيْضًا مِن وَسَائِلِ كَسْب محبَّةِ واحترامِ الآخرين، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَا استُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيا والآخرة بمِثل الأدب، وَلَا استُجْلِبَ حِرمانَها بمِثل قِلَّة الأدب».(٢)

فاللّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا فِيهِ فَضْلٌ وخَيْر ومِن ذَلِك التحلِّي بالسَّمت الصَّالح، وأن يُجنِّبَنا كلَّ ما فِيهِ فِتنةٌ وشَرٌّ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِين

---

(١) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص١٢٣).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

داء الرشوة!

داءُ الرِّشوة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الأمور الواقِعَةِ بيْن بَعْض أَهْل الإِسْلَام فِي هَذَا الزَّمان أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام مَا ذَكَره رَسُولُ العَزِيزِ العلَّامِ؛ حَيْثُ أَخْبَرنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام أَنَّهُ سيأتي وقتُ لَا يُبالي فِيهِ الكَثِيرُ مِن الأَنَام أَأَمْوالُهم تَكُون مِن حَلال أَم مِن حرام، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ من حَرَامٍ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يَكُون لِضَعْفِ الدِّين

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (١٩٧٧).

وعُموم الفِتَن».(١)

ويَقُولُ الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجْه الذَّم مِن جِهة هَذِهِ التَّسْوِية بيْن الأَمْرَين، وإلَّا فأَخْذُ المال مِن الحلال غيرُ مَذْموم مِن حَيْثُ هو، وَهَذَا مِن مُعْجزاته، فإنَّه إخْبار عن أمرْ غَيْبِيٍّ وقَد وَقَع عَلَى وفْقِ مَا أَخْبَرَ».(٢)

ومِن الأَعْمَال المُشِينة والأَفْعَال الذَّميمة الَّتِي نَرَى أَنَّهَا قَد انْتَشَرَت فِي أمَّتِنا بشَكْل كَبِير مع أنَّ رَسُولَ العَزِيزِ القديرِ قَد حَذَّرَنا مِنها أشدَّ التَّحْذِير: «الرِّشْوَةُ». يَقُول الفَيَّومِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرِّشوةُ بالكسر وقيل مُثَلَّثَةُ الرَّاءِ مَا يعطيه الشخصُ الحاكِمَ وغيرَه ليَحْكم لَهُ أَو يَحْمِله عَلَى مَا يريد».(٣)

ويَقُولُ الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرِّشْوَة: مَا يُعطَى لإبطال حقٍّ، أَو لإحقاقِ باطلٍ، فيعطِي الرَّاشي لينالَ باطلًا، أَو ليَمْنع حقًّا يَلْزَمه، ويأخذ الآخِذُ عَلَى أداء حق يَلْزمه، فَلَا يؤدِّيه إِلَّا برِشوة يأخذها، أَو عَلَى

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٢٠١).

(٢) فَيْض القَدِير (٥/ ٣٤٦).

(٣) المصباح المنير فِي غريب الشَّرْح الكبير (١/ ٢٢٨).

باطل يجب عَلَيْه تَرْكه، وَلَا يَتْركه إِلَّا بها».(١)

فَهَذَا الدَّاءُ الخَطِير الَّذِي قَد أُصِيبَ بِهِ الكَثِير قَد تَسبَّبَ أَيُّها الأَفَاضِلُ بعواقِبَ وَخِيمةِ وأمراضٍ جَسِيمة؛ حَيْثُ إِنِّ ضررَه لم يَقْتصر عَلَى الأفراد بَلْ تَعدَّى شرُّه إِلَى المُجْتَمعات، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا فَشَا فِي قَوْم الرِّشوة هَلَكوا، وصار كلُّ واحدٍ مِنْهُم لَا يَقُول الحقَّ، وَلَا يَحْكم بالحقِّ، ولا يَقُوم بالعدل إلا إِذَا رُشِي، والعياذ بالله».(٢)

فممَّا نَتجَ عَن هَذَا الفعل المُشِين مَا نراه اليَوْم مِن فَسَادِ أَخْلَاقِ الكَثِيرين وزيادة نسبة المُنحرفِين وضَياع الأمانة بين عددٍ مِن المُسْلِمِينَ، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا دَخَلَت الرِّشوة مِن الباب خَرَجَت الأمانة مِنَ الْكُوَّةِ(٣)».(٤)

إِنَّ المُصَاب بِهَذَا الدَّاء، سواءٌ كَان آخِذًا أَو معطيًا، قَد فَتَنَتْه

---

(١) شرح السُّنَّة (١٠/ ٨٨).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٣٠٢).

(٣) ثُقب فِي جدار.

(٤) الكُنَى والأسماء للدُّولَابِي (٧٨١).

الدُّنْيا بشهواتها وغرَّته بنَزَوَاتِها، حَتَّى أَنْسَته أنَّه عَنْها راحِلٌ، ولِمَلَذَّاتِها وزخرفها مهمَا امتدَّ أجَلُه وطال عمرُه تارِكٌ، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِه الآية الكَرِيمة فِيهَا التَّزْهِيد فِي الدُّنْيا بفَنَائها وعدم بَقَائها، وأَنَّهَا مَتَاعُ الغُرُورِ، تَفْتِنُ بزُخْرُفِها، وتَخْدَعُ بغرورها، وتَغُرُّ بمحاسِنِها، ثُمَّ هِي مُنْتَقِلة، ومُنْتَقَلٌ عَنها إِلَى دار القَرَار، الَّتِي توفَّى فِيهَا النفوس مَا عَمِلَت فِي هَذِهِ الدَّار، مِن خيرٍ وشرٍّ».(١)

فأَنْسَته أنَّه قَد وَقَع بفعله هَذَا فِي مُنكَر قَد نَهاه عَنه العَزِيزُ المقتدِرُ؛ حَيْثُ قَال جلَّ جلاله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨].

يَقُول الإِمَام البَغَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أيْ: لَا يأكل بعضُكم مالَ بَعْضٍ بالباطل؛ أيْ مِن غير

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٦٠).

الوَجْه الَّذِي أَبَاحَه الله، وأصلُ الباطلِ الشيءُ الذَّاهِب، والأكُل بالباطل أنواعٌ، قَد يَكُون بطريق الغَصْب والنَّهْب، وقد يَكُون بطريقِ اللهو، كالقمار وأُجْرة المُغَنِّي ونحوهما، وقد يَكُون بطريقِ الرِّشْوَة والخيانة، ﴿وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾ أيْ تُلْقوا أُمُورَ تِلْكَ الأموال بينكم وبين أَرْبابِها إِلَى الحُكَّام، وأصلُ الإدلاء إرسالُ الدَّلْوِ وإلقَاؤه فِي البئر؛ يقال: أَدْلَى دَلْوَهُ إِذَا أَرْسَله، ودَلَاهُ يَدْلُوه إِذَا أخرج».(١)

ويَقُول الإِمَام الذَّهَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ لَا تُدْلُوا بأموالكم إِلَى الحُكَّام، أيْ لَا تُصَانِعوهم بِهَا وَلَا تَرْشُوهم ليَقْتَطِعوا لَكُم حَقًّا لغَيْرِكم وأنتم تَعْلمون أَنَّهُ لَا يَحِل لكم».(٢)

وأَنَّهُ داخِلٌ بِسَبَب عملِه الذَّمِيمِ فِي لَعْنِ رَسُولنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة وأتمِّ التسليم، فعن عَبْد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: **«لَعَنَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي»**.(٣)

ويَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيِ البُعْد مِن مَظَانِّ الرَّحمة

---

(١) تفسير البَغَوِي (١/ ١٥٩).

(٢) الكبائر (ص١٣١).

(٣) رَوَاه ابن ماجة (٢٣١٣) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومَوَاطنها نازِلٌ وواقِعٌ عَلَيْهما».(١)

ويقُول الإِمَام الذَّهَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: فالرَّاشِي هو الَّذِي يُعطِي الرِّشوة والمُرْتشِي هو الَّذِي يأخذ الرِّشْوَة، وإنَّمَا تَلْحق اللَّعنةُ الراشيَ إِذَا قَصدَ بِهَا أَذِيَّة مُسْلِم أَو يَنَال بِهَا ما لَا يستحق، أمَّا إِذَا أَعْطى لِيَتَوَصَّلَ إِلَى حقٍّ لَهُ ويَدْفع عن نَفْسه ظُلمَا فإنَّه غيرُ داخِلٍ فِي اللعنة، وأمَّا الحاكِم فالرِّشْوَة عَلَيْه حرامٌ؛ أَبْطَلَ بِهَا حَقًّا أَو دَفَعَ بِهَا ظُلْمًا».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرِّشْوَةُ مَلْعونٌ آخِذُها، ومَلْعونٌ مُعْطيها إِلَّا إِذَا كَان الآخِذ يَمْنَع حقَّ النَّاس إِلَّا برشوة، فحينئذٍ تَكُون اللعنة عَلَى هَذَا الآخِذ لَا عَلَى المُعْطي؛ لِأَنَّ المُعطي إِنَّمَا يُريد أَنْ يُعطي لِأَخْذ حقِّه، وَلَا سبيل إِلَى ذَلِك إِلَّا بدَفْع الرِّشْوَة، فَهُوَ مَعْذور. كمَا يوجد والعياذ بالله الآن فِي بَعْض المسؤولين فِي الدُّوَل الإِسْلَامِيَّة؛ مَن لَا يُمْكِن أَنْ يَقْضي مَصَالح النَّاس إِلَّا بهَذِه الرِّشْوَة والعياذ بالله فيَكُون آكلًا للمال بالباطل، مَعَرِّضًا نَفْسه

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ٣٦٧).

(٢) الكبائر (ص١٣٢).

للَّعْنة. نسأل الله العافية».(١)

وأنَّه كَذَلِك مُتوَعَّدٌ بعقابٍ شديد إنْ لَم يَتُبْ ويُطَهِّر نَفْسه مِن هَذَا الدَّاء العُضَال والمَرَض القتَّال، فعن جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ**».(٢)

يَقُول الإِمَام المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا وَعِيدٌ شديدٌ يُفِيد أنَّ أَكْل أموال النَّاس مِن الكَبَائِر».(٣)

أَلَا يَعْلم الآخذ للرشوة أَنَّهُ قَد شَابَهَ بِفِعْله هَذَا أَحْبَارَ اليهودِ الَّذِينَ كَانوا يأكلون أموال النَّاس بالباطل؟! الَّذِينَ قال عَنْهم جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢].

يَقُول عَبْد الله بْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السُّحت الرِّشوة».(٤)

ويَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَان الحاكم مِنْهم إِذَا

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٣٠٢).

(٢) رَوَاه الدَّارَمِي فِي سُنَنِه (٢٧٧٦)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ١٧).

(٤) رَوَاه الطَّبَرِي فِي تفسيره (٦/ ٢٣٩).

أتاه أَحَدٌ برشوة جعلها فِي كُمِّه فيُرِيها إيَّاه ويَتكلَّم بحاجته فيَسْمَع مِنْهُ وَلَا يَنْظر إِلَى خَصْمه فيَسْمع الكَذِب ويأكل الرِّشْوَة».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ أيْ: المالِ الحَرَامِ، بمَا يأخذونه عَلَى سَفَلَتهم وعَوَامِّهم مِن المعلومات والرَّوَاتب، الَّتِي بِغَير الحق، فجَمَعوا بيْن اتِّبَاع الكَذِب وأَكْل الحَرَام».(٢)

إنَّ مِمَّا يَتعجَّبُ مِنْهُ المَرْء أَيُّها الأَفَاضِلُ أن الشَّيْطانَ اللَّعِين قَد زيَّن لِبَعض المُسْلِمِينَ هَذَا العَمَل المُشِين حَتَّى أَصْبح بعضُهم يَقُول إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح هُوَ مِن قَبِيل الهَدِيَّة ولَيْس فِيهِ مَعْصية وَلَا مُخَالَفة لأَوَامر ربِّ البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا اسْتِحْلَالُ السُّحْت بِاسْم الهَدِيَّة وُهو أَظْهَرُ مِن أنْ يُذْكَر كرِشوة الحاكم والوالي وغيرهمَا فإنَّ المُرْتَشي مَلْعُون هُوَ والرَّاشِي؛ لِمَا فِي ذَلِك مِن المَفْسَدة، ومَعْلُوم قَطْعًا أنَّهما لَا يَخْرُجان عن الحَقِيقَة وحَقِيقَة الرِّشْوَة بمجرد اسم الهَدِيَّة».(٣)

---

(١) تفسير البَغَوِي (٢/ ٣٩).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٢٣٢).

(٣) إعلام المُوَقِّعِينَ (٣/ ٩٥).

فلْيَعْلم مَن لبَّس عَلَيْه الشَّيْطان أنَّ الهديَّة والرِّشوة وإنْ كانَتا فِي الصُّورة سِيَّيْنِ، فهُمَا فِي الحُكْم والقَصْد تَخْتَلِفَان، يَقُول الإمَام ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفرق بين الهَدِيَّة والرِّشْوَة وإنْ اشْتَبَها فِي الصورة القَصْدُ؛ فإنَّ الرَّاشِي قَصْدُه بالرِّشْوَة التوصُّل إِلَى إِبْطَالِ حقٍّ أَو تَحْقِيق باطِلٍ، فَهَذَا الرَّاشِي المَلْعُون عَلَى لِسَان رَسُولِ الله، فإنْ رَشَا لدَفْع الظُّلْم عن نَفْسه اخْتُصَّ المُرْتَشِي وَحْده باللَّعْنة، وأمَّا المُهْدِي فقَصْده اسْتِجْلابُ المودَّةِ والمَعْرفةِ والإحسانِ، فإن قصد المكافأة فَهُوَ مُعاوِض وإنْ قَصَدَ الرِّبح فَهُوَ مُسْتَكْثِر».(١)

فَعَلَيْكَ يَا مَن ابتُليت بِهَذَا الدَّاء الخطير والوباء العسير سواءٌ كنت آخِذا أَو مُعْطِيًّا، أنْ تُبادِر قَبْل فَوَات الأَوَانِ بالتَّوْبَة والغُفْرَان والرُّجُوع إِلَى العَزِيز المنَّان، واحْذَرْ كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ تَتهاوَن فِي هَذَا العَمَل الحَرَام الَّذِي هُوَ مِن تَزْيِين وتَلْبيس الشَّيْطان، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَلامُك مَكْتوبٌ وقَوْلك مَحْسوبٌ، وأَنْتَ يَا هَذَا مَطْلوبٌ، ولَكَ ذُنُوب ومَا تتوب، وشمس الحياة قَد أَخَذت فِي

---

(١) الروح (ص٢٤٠).

الغُروب، فمَا أَقْسَى قَلْبَكَ مِن بيْن القُلُوبِ!»(١)

وعَلَى مَن ولَّاهم ربُّ العَالَمِينَ أَمْر المُسْلِمِينَ أنْ يَبْذلوا كلَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَمْنع مِن فُشُوِّ هَذَا الشَّر الَّذِي قَد عمَّ واشْتُهِرَ وبيْن الرَّعِيَّة قَد كَثُر وانْتَشَرَ؛ فأدَّى ذَلِك إِلَى فَسَاد القِيَمِ والأَخْلَاق وزِيادة المُنْكَر.

ولْيَعْلموا أَيْضًا أنَّهم سيَقِفُون أَمَامَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وسيَسْأَلهم عن أَنْفُسهم وعَن رعِيَّتهم ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَالٍ، فعَن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاس رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**.»(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْه ومَا هُوَ تَحْت نَظَرِه، فَفِيهِ أَنَّ كلَّ مَن كَان تَحْت نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطَالَب بالعدل فيه، والقيام بِمصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْياه ومُتَعَلِّقَاته».(٣)

---

(١) التبصرة (٢/ ٢٧٢).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةٌ فِي الدَّارَيْن وسُرُورٌ، وأنْ يُجَنِّبَنا جَمِيعًا الوقوع فِي الرِّشوة والرِّبا وكلِّ أنواع الشرور، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

التذكير بما للكلمة الطيبة من فضل كبير

التَّذْكِير بمَا للكَلِمة الطَّيِّبة مِن فَضْلٍ كَبِيرٍ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ التَّحَلِّي بمَحَاسِن الأَخْلَاق والاتِّصَاف بجميل الآداب أَيُّها الأَحْبَابُ لَهُوَ مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تُعِين العَبْدَ بإذْن الكَرِيم الوهَّاب عَلَى تحصيل الخير والتوفيق لكلِّ صَوَاب، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَا اسْتُجْلِبَ خير الدُّنْيا والآخرة بِمْثل الأدب، وَلَا اسْتُجْلِبَ حرمانها بمِثْل قِلَّة الأدب».(١)

ومِن هَذِهِ الصِّفَات الجَمِيلَة والخصال الكَرِيمة الَّتِي يَنْبَغِي أنْ تُصاحِب كلَّ مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام هُوَ أنْ يَكُون فِي تعامُله مع الأَنَام طيِّب الكلام، يَقُول الإِمَام ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلامُ الطيِّبُ

---

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (٢/ ٣٩٠).

مَنْدُوب إِلَيْه، وهو مِن جَلِيل أَفْعَال البِّر».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكَلِمَة الطَّيِّبَة تَكُون طَيِّبَة فِي أسلوبها، وفِي موضوعها، وفِي إلقائها، وفِي نَواحٍ أُخْرَى، فإِذَا رأيتَ شخصًا وتَكَلَّمْتَ معه بكَلامٍ طَيِّب مِثل: السَّلَام عليكم، حيَّاكم الله، صبَّحَكم الله بالخير؛ فهَذِه كَلِمة طيِّبة لكنْ بشرط أَلَّا يَكُون ذَلِك مُمِلًّا؛ بمعنى أنْ تَبْقى معه مدة وأنت تقول مثل هَذَا الكلام؛ لأَنَّهُ إِذَا كَان مُمِلًّا انْقلَبَ إِلَى غير طَيِّب، ولكلِّ مَقَامٍ مقَالٌ».(٢)

فالكَلِمَة الطيبة أَيُّها الأَحِبَّة هِي من أَسْبَاب نَشْر المَحَبَّة والأُلْفة بين المُسْلِمِينَ، وهِي كَذَلِك مِمَّا يُدْخل بإِذْن الكَرِيم الشَّكورِ عَلَى القلوبِ الفرحَ والسُّرُورَ؛ وَلِذَا أَمَرَ العَزِيزُ الكَرِيمُ عبادَه بالحرص عَلَيْها كمَا جاء فِي القرآن العظيمِ؛ حَيْثُ قَال العليمُ الحكيمُ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:٨٣].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِنَ القَوْل الحَسَن أَمْرُهم أي النَّاس بالمَعْرُوف، ونَهْيُهم عن المُنْكر، وتعليمهم العلم، وبَذْل

---

(١) شرح ابْنِ بَطَّالٍ عَلَى صَحِيحِ البُخَارِيِّ (٩/ ٢٢٥).

(٢) شرح الأربعين النووية (ص٢٦٦).

السلام، والبَشَاشَة وغير ذَلِك مِن كلِّ كَلام طيِّب.

ولمَّا كَان الإنْسَان لَا يَسَعُ النَّاس بمَالِه، أُمِرَ بأَمْرٍ يَقْدِر بِهِ عَلَى الإحسان إِلَى كلِّ مخلوق؛ وهو الإحسان بالقول، فَيَكُون فِي ضِمْن ذَلِك النَّهْي عن الكلام القَبِيح لِلنَّاسِ حَتَّى للكُفَّار، ولِهَذَا قَال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]»(١).

وفِي عدم عَمَلِ العِبَاد بهَذِه الوصيَّة الرَّبَّانيَّة مَفَاسِد ظاهرةٌ جَليَّة، ومِن ذَلِك أَنْ يَقَعَ التَّشَاحُن والتَّبَاغُض بَيْن المُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَا يُريده إبْلِيسُ اللعينُ، يَقُول رب العَالَمِينَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء:٥٣].

يَقُول الإمَام ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَأْمُرُ تعالى رَسُولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يأمر عباد الله المُؤْمِنِينَ، أَنْ يقولوا فِي مُخَاطَبَاتِهم ومحاوراتهم الكلامَ الأحسنَ والكَلِمَة الطيبة؛ فإنَّه إِذْ لم يفعلوا ذَلِك نَزَغَ الشَّيْطَان بينهم وأَخْرَجَ الكلامَ إِلَى الفِعَال ووَقَعَ الشَّرُّ والمُخَاصَمَة والمُقَاتَلَة، فإنَّ الشَّيْطَان عدوٌّ لآدمَ وذُرِّيَّتِه مِن حِينِ امتنع مِنَ السجود لآدم، فعَدَاوَتُه

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٥٨).

ظاهرة بيِّنة؛ وَلِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُل إِلَى أَخِيه المُسْلِم بحَدِيدة، فإِنَّ الشَّيْطَان ينزِغ فِي يَدِه؛ أيْ: فربَّمَا أصابَهُ بِهَا». (١)

اعلمْ رعاك الله أيُّها المُسْلِم أنَّ فوائد وعوائد الكَلِمَة الطيِّبَة كَثِيرةٌ، مِنْهَا ما هُوَ راجع عَلَيْكَ، فهِي وإن كانت تبدو لك يَسِيرَةً فَإِنَّ محاسنُها كَثِيرة؛ ومِن ذَلِك أَنَّهَا مِن الأَسْبَاب الَّتِي تُبعد عن النار بإذن العَزِيز الوهَّاب، فعن عَديِّ بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اتّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**». (٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: ««اتَّقُوا النَّارَ» أيْ نار جَهَنَّم، «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» فإنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تتصدَّقون بِهِ لِفَقْدِه حِسًّا أَو شَرْعًا «فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» تُطيِّب قلبَ الإِنْسَان بأنْ تَتَلَطَّف بِهِ بالقول والفعل، فإِنَّهَا سبب للنجاة من النار». (٣)

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: أنَّ مِن أعظمِ المُنجِّيَات مِن النار، الإحسانُ إِلَى الخَلْق بالمال والأقوال، وأنَّ العَبْد

---

(١) تفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٣/ ٤٦).

(٢) رَواه البُخَارِي (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣١).

لَا يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَحْتَقِر مِن المَعْروف وَلَوْ شَيْئًا قليلًا، والكَلِمَة الطيبة تَشَمل النصيحة للخَلْق بتعليمهم مَا يَجْهلون، وإرشادِهم إِلَى مصالِحِهم الدِّينِية والدُّنْيَوية.

وتَشْمل الكلامَ المُسِرَّ للقلوب، الشَّارِحَ للصُّدُورِ، المُقَارِن للبَشَاشَة والبِشْرِ، وتَشْمل الذِّكْر لله والثَّنَاءَ عَلَيْه، وذِكْرَ أَحْكامه وشرائعه.

فكلُّ كلامٍ يُقرِّب إِلَى الله ويَحْصُل بِهِ النَّفْعُ لعباد الله، فَهُوَ داخل فِي الكَلِمَة الطيبة».(١)

ومَن اتَّصَف بِهَا إنْ كَان مِن أهل الإِسْلَام واحْتَسَبها عِنْدَ الوهَّاب العلَّام فسَيَفُوزُ بإذْن العَزِيزِ المَنَّانِ بغُرَفٍ فِي الجِنَانِ كمَا أَخْبَرَ بذَلِك نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعن أبي مالكٍ الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ**».(٢)

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٢٥٧).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ٣٤٣)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صحيح الجامع (٢١٢٣).

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"يُرَى" بالبناء للمفعول أي يَرَى أهلُ الجنَّة "ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا" لِكَوْنِها شَفَّافة لَا تَحْجب مَا وراءها. قالوا: لمن هِي يَا رَسُول الله؟ قَال "أَعَدَّهَا الله" أيْ هَيَّأَها "لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ" فِي الدُّنْيا للعِيَال والفُقَرَاء والأَضْياف والإِخْوَان ونَحْوِهم، "وَأَلَانَ الْكَلَامَ" أيْ تَمَلَّق لِلنَّاسِ واستعطفهم »[١]

وهِي كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِنَ الصَّدَقات الَّتِي يُقدِّمها العَبْد بيْن يَدْي ربِّ البَرِيَّات، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».[٢]

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَوَجْه تشبيهِهِ عَلَيْه السَّلَام الكَلِمَةَ الطيبةَ بالصدقةِ بالمالِ، هُوَ أنَّ الصَّدَقة بالمال تَحْيا بِهَا نَفْس المتصدَّق عَلَيْه ويَفْرح بها، والكَلِمَة الطيبة يفرح بِهَا المؤمن ويَحْسُن موقعها مِن قلبه، فاشْتَبَها مِن هَذِهِ الجِهَة».[٣]

وتأثيرُها كَذَلِك يَظْهَر أَيُّها المُسْلِم عَلَى مَن بَيْنك وبَيْنَه شَحْنَاءُ

---

(١) فَيْض القَدِير (٢/ ٣٤٣).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٢٨٢٧) ومسلم (١٠٠٩).

(٣) شرح ابْنِ بَطَّالٍ عَلَى صحيح البُخَارِي (٩/ ٢٢٥).

وبَغْضَاءُ، فكَمْ مِن إِنْسَان كَان يُعَدُّ مِن أشدِّ الأعداء فأصبح بعد ذَلِك مِن أعزِّ الأصحاب والأصدقاء بِسَبَب تأثير هَذَا السلاح الكَرِيم والخُلق القويم بفضل العَزِيز الحكيم، وَهَذَا يَكُون بَعْد العَمَل بمَا أَوْصى وأَخْبَرَ بِهِ الخبيرُ العليمُ؛ حَيْثُ قَال سُبْحَانَه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

يَقُول الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ﴾ أيْ: لَا تستوي الحَسَنَة الَّتِي يَرضى الله بها، ويُثِيب عَلَيْها، وَلَا السَّيِّئَة الَّتِي يَكْرَهها الله ويُعَاقِب عَلَيْها، وَلَا وَجْهَ لتَخْصِيص الحَسَنَة بِنَوع مِن أنواع الطَّاعَات، وتَخْصِيص السَّيِّئة بِنَوع مِن أنواع المَعَاصِي، فإنَّ اللَّفْظ أَوْسَعُ مِن ذَلِك».(١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أيْ: فإِذَا أساء إِلَيْكَ مُسيءٌ مِن الخَلْق، خُصُوصًا مَن لَهُ حقٌّ كَبِير عَلَيْكَ، كالأقارب والأصحاب، ونحوهم، إساءةً بالقول أَو بالفعل، فقَابِلْه بالإحسان إِلَيْه، فإنْ قَطَعَك فَصِلْهُ، وإنْ ظَلَمَكَ، فاعْفُ عَنْه، وإِنْ

---

(١) فَتْح القَدِير (٤/ ٥١٦).

تَكَلَّمَ فِيكَ غائبًا أَو حاضرًا، فَلَا تُقابِلْه، بَل اعْفُ عَنْه، وعَامِلْه بالقول اللَّيِّنِ، وإنْ هَجَرَكَ وتَرَكَ خِطَابَك، فَطيِّبْ لَهُ الكلام، وابْذُل لَهُ السلام، فإذا قَابَلْتَ الإساءة بالإحسان، حَصَلَ فائدة عظيمة». (١)

ويَقُول الإمَام ابْنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ وهو الصديق، أيْ: إِذَا أحسنتَ إِلَى مَن أساء إِلَيْكَ قادَتْه تِلْكَ الحَسَنَة إِلَيْه إِلَى مُصَافَاتِك ومَحَبَّتك، والحُنُوّ عليك، حَتَّى يصير كأَنَّهُ وليٌّ لَكَ حَمِيمٌ؛ أيْ: قَرِيب إِلَيْكَ مِن الشَّفَقة عَلَيْكَ والإحسان إِلَيْكَ». (٢)

فهَذِه أَيُّها الأَفَاضِلُ الأَخْيَار مِن أهمِّ الثِّمَار الَّتِي سيَجْنِيها بإذن العَزِيز الجبَّارِ كلُّ مَن يَتحلَّى بِهَذِه الصِّفَة الحَمِيدة والخَصْلة السَّدِيدة، فعَلَى مَن اتَّصَفَ بِهَا أَنْ يَشْكُرَ المَنَّانَ عَلَى أَنْ رَزَقَه هَذِهِ النِّعْمَة العَظِيمة والمِنْحَة الكَرِيمة، ولْيجتهدْ دومًا بفعلها وحثِّ المُسْلِمِينَ عَلَى التَّخلُّقِ بها.

ومَن كَان عَنها فِي تقصيرٍ أَيُّها الأَحْبَابُ فلْيسْأَلْها أوَّلًا مِن

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٩).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٤/ ١٠٢).

الكَرِيم الوهَّاب، ثُمَّ لِيَبذُلْ مَا يُساعده عَلَى تَحْقِيقها مِن وَسَائِل وأَسْبَابٍ، ولْيَحْذرِ المُسْلِم أشدَّ التَّحْذِير مِن الاتِّصَافِ بضِدِّها؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِن خِصَال أهلِ الإِيمَان كَمَا أَخْبَرَنَا بذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ الرَّحْمَنِ، فعن عَبْد الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ»، بالتشديد، الوقَّاع فِي أَعْراضِ النَّاس بنَحْوِ ذَمٍّ أَو غِيبَة، «وَلَا اللَّعَّانِ» الَّذِي يُكثِر لَعْنَ النَّاسِ بمَا يُبْعِدُهم مِن رحمة ربِّهم إمَّا صريحًا أَو كناية، «وَلَا الْفَاحِشِ» أيْ ذِي الفُحْشِ فِي كلامه وفِعَاله، «وَلَا الْبَذِيءِ» أيْ الفاحِش فِي مَنْطِقِه وإنْ كَان الكلامُ صِدقًا».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يدل عَلَى أنَّ هَذِهِ الأمور نَقصٌ فِي الإِيمَان، وأَنَّهَا تَسْلُب عن المؤمن حَقِيقَة الإِيمَان وكمال الإِيمَان، فَلَا يَكُون طعَّانًا يطعن فِي النَّاس بأنسابهم أَو بأعراضهم أَو بشكلهم وهَيئاتهم أَو بآمالهم، وَلَا باللَّعَّان الَّذِي لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٩٧٧)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٢١).

اللعنة؛ قُلْ كَلِمَةً لَعَنَكَ اللهُ، قُلْ كَذَا لَعَنَك الله، لمَاذَا تقول كذا أَو يَقُول لأولاده: لعنكم الله هاتوا هَذَا، أَو مَا أشبه ذَلِك، فالمؤمن لَيْسَ باللعان، وَلَا بالفاحش الَّذِي يَفْحُش فِي كلامه بصُرَاخ أَو نحو ذَلِك، وَلَا بالبذيء الَّذِي يَعْتَدي عَلَى غيره؛ فالمؤمن مؤمن مسالم لَيْسَ عنده فُحشٌ فِي قوله وَلَا فِي فعله، وَلَا غير ذَلِك؛ لأَنَّهُ مؤمن».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يُقرِّبُنا إِلَيْه ومِن ذَلِك التَّحلِّي بالأَخْلَاق الفاضلة والصِّفَات الكَرِيمة، ومِنْهَا طِيب الكلام وحُسْن معاملة الأَنَام، وأن يُجنِّبَنا سُبْحَانَه كلَّ مَا يُبعدنا عَنْه، ومِن ذَلِك الاتِّصَافُ بِكُلِّ ما هُوَ مذمومٌ ومُشين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٠١).

التذكير بما للدعاء من فضل كبير

التَّذْكِير بمَا للدُّعاءِ مِن فَضْل كَبِير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ دُعَاء ربِّ الأَرْض والسَّمَوات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات لَهُوَ مِن أفضل القُرُبات، وأشرفِ الطاعات، وأرفعِ العبادات الَّتِي تُقرِّبنا مِن ربِّ البَرِيَّات، فعن النُّعْمَان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**».[1]

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِه الصِّفَة المُقْتضية للحصر مِن جهَة تعريف المُسْنَد إِلَيْه، ومِن جِهة تعريف المُسْنَد، ومِن جهة ضميرِ الفَصْل تَقْتَضي أَنَّ الدُّعاء هُوَ أَعَلَى أنواع العبادة

---

(١) رَوَاه التِّرمِذِي (٣٢٤٧) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأرفعِها وأشرَفِها».(١)

لأَنَّهُ طريق الصَّالِحِين، ومَسلَك المُتَّقِينَ، ومَطِيَّةُ العَارِفين بربِّ العَالَمِينَ، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا أراد الله بعبد خيرًا أَلْهَمَه دعاءه والاستعانة به، وجَعَل استعانَتَه ودُعاءَه سَبَبًا للخَيْر الَّذِي قضاه له».(٢)

وهو أَيُّها الأَفَاضِلُ سلاحُ المؤمن وزادُه فِي دنياه؛ حَيْثُ يلجأ إِلَيْه لِجَلْب ما فِيهِ سعادةٌ وخيرٌ، ودَفْع كلِّ ضَرَرٍ وشرٍّ بإذْن وعَوْنِ العَزِيزِ المقتدرِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء مِن أَنْفَعِ الأدوية، وهو عدوُّ البلاء، يَدفَعُهُ ويُعَالِجُه، ويَمْنَع نُزُولَه، ويرفعُهُ أَو يخفِّفُه إِذَا نَزَلَ، وهو سلاح المؤمنِ».(٣)

والقائم بِهِ أَيْضًا أَيُّها الأَحْبَابُ يُحقق مَا أمره بِهِ العَزِيز الوهاب؛ حَيْثُ قَال الكَرِيم التواب: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

يَقُول الإِمَام ابن كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا مِن فَضْله تَبَارَك وتعالى

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص٣٣).

(٢) اقْتِضَاء الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم (ص٣٥٨).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٥).

وكَرَمِه أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَه إِلَى دعائه، وتَكَفَّل لَهُم بالإجابة». (١)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا مِن لُطْفه بعباده، ونعمته العظيمة؛ حَيْثُ دَعَاهم إِلَى ما فِيهِ صلاح دينهم ودنياهم، وأَمَرَهم بدعائه، دعاءَ العبادة، ودعاءَ المسألة، ووَعَدَهم أنْ يَسْتَجِيب لَهُم». (٢)

فالمُوَفَّقُ مِن العباد مَن يَسَّرَ لَهُ العليمُ الكَرِيمُ تَحْقِيقَ هَذَا العَمَلَ العظيمَ، والمحرومُ هُوَ مَن عَجَزَ عن دعاءِ الخبيرِ العليمِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ**». (٣)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««أَعْجَزُ النَّاسِ» أيْ مِن أَضْعَفِهم رأيًا وأعماهم بصيرةً، «مَنْ عَجزَ عَنِ الدُّعَاءِ» أيِ الطلب مِن الله تعالى، لَا سِيَّمَا عند الشدائد، لِتَرْكه مَا أَمَرَه الله به، وتَعَرُّضِه لغَضَبِه بإهماله ما لَا مَشَقَّةَ عَلَيْه فِيهِ». (٤)

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٤/ ٨٦).

(٢) تفسير السَّعْدِي (ص٧٤٠).

(٣) رَوَاه ابْنُ حِبَّانَ (٤٤٩٨)، وصَحَّحهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦٠١).

(٤) فَيْض القَدِير (١/ ٣٥٠).

ومع مَا بَاءَ بِهِ هَذَا العَاجِز مِن الحِرْمَان والخُسْرَان فسَيَلْحقُه أَيْضًا الغَضَب مِن العَزِيزِ الرَّحْمَنِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ**».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِأَنَّ تَرْكَ السؤالِ تَكبُّرٌ واستغناءٌ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ للعَبْدِ».(٢)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يدل عَلَى أنَّ رِضَاه فِي سُؤَالِه وطَاعَتِه، وإِذَا رَضِيَ الربُّ تبارك وتعالى فكلُّ خيرٍ فِي رضاه كمَا أنَّ كلَّ بلاءٍ ومُصِيبة فِي غَضَبِه».(٣)

ويَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدعاء مِن العَبْد لرَبِّه مِن أهمِّ الواجبات وأعظمِ المَفْرُوضاتِ؛ لِأَنَّ تَجَنُّبَ مَا يَغْضَبُ اللهُ مِنْهُ لَا خِلافَ فِي وُجُوبِه».(٤)

فالعاقل اللَّبِيب أَيُّها الأَحِبَّة هُوَ مَن يَحْرص عَلَى دعاءِ ربٍّ كريمٍ،

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٣٧٣)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الألْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢١).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٩).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص٣٦).

الَّذِي مِن أسمائه جَلَّ وَعَلَا القريب المُجِيب؛ حَيْثُ قَال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ مِمَّا صَدَرَ مِنكم، مِن الكفر والشِّرك والمَعَاصِي، وأقلِعوا عَنْها، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إِلَيْه بالتَّوْبَة النَّصُوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أيْ: قريب ممَّن دَعَاه دُعاءَ مسألةٍ، أَو دعاءَ عبادةٍ، يجيبه بإعطائه سُؤْلَه، وقَبُول عبادتِه، وإثابَتِه عَلَيْها، أجلَّ الثَّوَاب».(١)

أَلَيْسَ أَجْدَرَ بعَبْدٍ ضعيفٍ عاجزٍ أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ يلجأَ دَائِمًا إِلَى مَن حثَّه عَلَى سؤاله ووَعَدَه تكرُّمًا وفضلًا مِنْهُ سُبحَانَه بالإجابة؟! حَيْثُ قَال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: هل يجيب المُضْطَرِبَ الَّذِي أَقْلَقَتْه الكُرُوبُ وتَعسَّرَ عَلَيْه المطلوبُ واضْطُرَّ للخَلَاص مِمَّا هو فِيهِ

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٨٣).

إِلَّا الله وحده؟! ومَن يَكشف السوء؛ أيْ: البَلاءَ والشرَّ والنِّقْمةَ، إِلَّا الله وَحْده؟ ومَن يَجْعلكم خلفاء الأرض يمكِّنُكم مِنها ويَمُدُّ لَكُم بالرزق ويُوصِل إليكم نِعَمَه وتَكُونون خلفاءَ مَن قَبْلَكم كَمَا أَنَّهُ سيُمِيتُكُم ويَأْتِي بقَوْم بعْدَكم أَإِلَهٌ مَع الله يفعل هَذِهِ الأَفْعَال؟! لَا أحد يفعل مع الله شَيْئًا مِن ذَلِك حَتَّى بإقراركم أَيُّها المشركون، وَلِهَذا كانوا إِذَا مَسَّهم الضُرُّ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصين لَهُ الدِّين لِعِلْمِهم أَنَّهُ وحده المقتَدِر عَلَى دفعه وإزالته، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أيْ: قليل تَذَكُّرُكم وتَدَبُّرُكم للأمور الَّتِي إِذَا تَذَكَّرْتُموها ادَّكَرْتُم ورَجَعْتم إِلَى الهُدَى، ولكنَّ الغفلةَ والإعراضَ شاملٌ، لكم فلذَلِك مَا ارْعَوَيْتُم وَلَا اهْتَدَيْتُم». (١)

يَقُول ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْهُ ... أَنا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِ إِذْ ... يَدعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ». (٢)

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٠٨).

(٢) النونية (ص١٠٨).

ويَقُول الإِمَام الخَطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أي سُبْحَانَه الَّذِي يجيب المُضْطَرَّ إِذَا دعاه، ويُغِيث المَلْهوف إِذَا نَادَاه».(١)

إنَّ عَلَى الدَّاعي أَيُّها الكِرَام إِذَا أرادَ أنْ يَقْطِف بإذْن العَزِيزِ العلَّامِ ثَمَرَةَ هَذِهِ العبادةِ الجليلةِ أنْ يَجْتَنِبَ كلَّ مَا يَقْدَح فِيهَا مِن المَعَاصِي والآثام، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**»(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله «ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يا رَبِّ، يَا رَبِّ إِلَى آخره» مَعْناه والله أعلمُ أَنَّهُ يُطِيلُ السفرَ فِي وُجُوهِ الطاعات كحَجٍّ وزيارة مستحَبَّة وصِلَة رَحِم، وغير ذَلِك. قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**» هُوَ بضَمِّ الغين وتخفيف الذَّال المكسورة، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ**

(١) شأن الدعاء (ص٧٢).

(٢) رَوَاه مسلم (١٠١٥).

لِذَلِك» أيْ مِن أين يُسْتجاب لِمَن هَذِهِ صفتُه؟ وكيف يُستجاب له؟!»(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا الكلام أَشَار فِيهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدابِ الدعاء، وإِلَى الأَسْبَاب الَّتِي تَقْتَضي إجابتَه، وإِلَى مَا يمنع مِن إجابته».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك؟!» بَعِيد أنْ يَستجيب الله لِهَذَا الرَّجُل، الَّذِي هُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ، يَمُدُّ يَدَيْه للسماء: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، ومع ذَلِك يَبْعُدُ أَنَّ الله يستجيب له؛ لأَنَّهُ يأكل الحَرَام».(٣)

وعَلَيْه أنْ يَحْذر كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن استعجال الإجابة بعد دعائه الكَرِيمَ المقتدرَ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا أَو فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**».(٤)

---

(١) الشَّرْح النووي عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٧/ ١٠٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص١٠٥).

(٣) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٤٧٤).

(٤) رَوَاه البُخَارِي (٥٩٨١) ومسلم (٢٧٣٥).

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال بَعْض العُلَمَاء: قوله: «مَا لَمْ يَعْجَلْ» يَعْنى يَسْأَم الدعاء ويتركه، فيكون كالمانِّ بدعائه، وأَنَّهُ قَد أتى مِن الدعاء مَا كَان يستحق بِهِ الإجابة، فيصير كالمُبْخِل لربٍّ كريمٍ، لَا تُعْجِزُه الإِجَابَة، وَلَا يُنْقِصُه العَطَاء، وَلَا تَضرُّه الذُّنُوبُ».(١)

ولْيعلمْ أَنَّهُ سيَقْطِف ثَمَرَةَ دعائه فِي دُنياه أَو فِي أُخْراه إِذَا أَخَذَ بالأَسْبَاب وابتعدَ عَن كلِّ مَا يُخالِف الحقَّ والصواب بإِذْن وعَوْن العَزِيزِ الوهَّابِ، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْه مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قالوا: «إِذَنْ نُكْثِرُ؟» قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ».**(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ» أَيْ مَعْصية قَاصِرة، «وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ» أَيْ سيِّئَة متعدِّيَة «إِلَّا

---

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١٠٠).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد (٣/ ١٨)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي صحيح الترغيب (١٦٣٣).

أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا» أيْ بتلكَ الدَّعوة «إِحْدَى ثَلَاثٍ» أيْ مِنَ الخصال؛ «إمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ» أيْ بخُصُوصها أو مِنْ جِنسها فِي الدُّنْيا فِي وَقْتٍ أَرَادَه إنْ قَدَّر وُقُوعها فِي الدُّنيا، «وإمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا» أيْ تِلْكَ المطلوبة أَو مثلها أَو أحسنَ مِنها، أَو ثوابها وبَدَلَها، «لَهُ» أيْ لِلدَّاعي، «فِي الآخِرَةِ» أيْ إنَّ لمْ يُقدِّر وقوعها فِي الدُّنْيا، «وَإِمَّا أَنَّهُ يَصْرِفُ» أيْ يدفع «عَنْهُ مِنَ السُّوءِ» أيِ البَلاء النازِل أَو غيره فِي أَمْر دينه أَو دنياه أَو بدنه «مِثْلَهَا» أيْ كميةً وكيفيةً، إنْ لمْ يُقَدِّر لَهُ وقوعها فِي الدُّنْيا، والحاصل أنَّ مَا لم يقدر لَهُ فِيهَا أحد الأمرين إمَّا الثَّواب المدخر، وإمَّا دفع قدرها من السوء وفِيهِ زيادة عَلَى الحديث السابق إن مَا لم يقدر يدفع عَنْه من السوء مثله. «قالوا» أي بَعْض الصَّحَابَة «إِذَنْ» قَال ابن حجر: أيْ إِذَا كَان الدعاء لَا يُرَدُّ مِنْهُ شيءٌ وَلَا يَخِيبُ الدَّاعي فِي شَيْء مِنْهُ «نُكْثِرُ» أيْ مِن الدعاء العظيم فوائده «قَال» أيِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللهُ أَكْثَرُ» بالمُثَلَّثَةِ فِي الأكثر، وفِي نسخة بالمُوَحَّدَةِ؛ فمعناه الله أكبر مِن أَنْ يُسْتَكْثَرَ عَلَيْه شيءٌ، وأمَّا عَلَى الأوَّل فقَال الطيبي: أي الله أكثر إجابةً مِن دعائكم، والأَظْهر عندي أنَّ معناه فَضْل الله أَكْثرُ أيْ مَا يُعْطيه مِن فَضْله وَسَعَةِ كرمِه أكثرُ مِمَّا يُعْطيكُم فِي مُقابَلَة دعائِكم، أَو الله أغلبُ فِي الكثرة؛ يعني فَلَا تُعْجِزُونَه فِي الاستكثار، فإنَّ خزائنَه

لَا تَنْفَد وعطاياه لَا تفنى».(١)

فَعلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَفَاضِلُ أنْ نَحرِص عَلَى القيام بهَذِه العبادة الكَرِيمة مع الاعتناء بآدابها ومَا يُستحبُّ فِيهَا؛ كمراعاة الأوقات الَّتِي يُستحب فِيهَا الدعاء، وكذَلِك رَفْع اليدين عنده، وأَيْضًا صِدْق الالتِجَاء والطَّلَب والتَّضرُّع إِلَى العَزِيز الكَرِيم، وأنْ نَحْذر أَشَدَّ الحَذَرِ من الاعتداء والتجاوُز فيه، يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعاء لَيْسَ كله جائزًا، بَلْ فِيهِ عُدْوان مُحرَّم، والمشروع لَا عدوان فِيهِ، وأنَّ العُدْوان يَكُون تارة فِي كثرة الألفاظ وتارة فِي المعاني».(٢)

وأنْ نَصْبر وَلَا نَسْتَعجل الإجابَة والثمرة، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتُ مِن البلاء أنَّ المؤمن يدعو فَلَا يجاب، فيُكرِّرُ الدعاء، وتطول المدَّة، وَلَا يَرى أَثرًا للإجابة، فيَنْبَغِي لَهُ أنْ يَعْلم أنَّ هَذَا مِن البلاء الَّذِي يحتاج إِلَى الصبر، ومَا يَعْرِضُ للنّفْسِ مِن الوَسْواس فِي تأخيرِ الجَوَابِ مَرَضٌ يَحْتاجُ إِلَى طِبٍّ».(٣)

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٥/ ١٣٤).

(٢) مَجْمُوعُ الفتَاوَى (٢٢/ ٤٧٤).

(٣) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٨٢).

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أن يُوفِّقَنا جَمِيعًا لتَحْقِيق مَا يَنْفعنا فِي الدَّارَين، ومِن ذَلِك أنْ نَكُون لَهُ فِي كل وقتٍ مِن الطَّائِعين، وعَلَى دعائه مِن الحَرِيصين، وعَلَى نِعَمِه مِن الشَّاكِرِين وعَنْ مَعْصِيته مِن التَّائِبين المُسْتَغْفِرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

التذكير بما لصلاة الوتر من فضل كبير

التَّذْكِير بمَا لِصَلاة الوِتْر من فَضْل كَبِير

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الإكثارَ مِن التَّطوُّع والمُسْتَحبَّات مِن الصَّلَوَات مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْرِص عَلَيْه أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات، يَقُول الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّطوُّع اسمٌ لِمَا شُرِّع زيادةً عَلَى الفَرْضِ والواجباتِ».(١)

فهِي وإنْ لمْ تَكُن سَبَبًا فِي رِفعة الدرجاتِ فسَتَكُون بإذْن ربِّ البريات مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تُعِين عَلَى جبْر مَا نَقَصَ مِن الواجبات، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ**

---

(١) التعريفات (ص٨٤).

أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عز وجل انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُون سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العِرَاقِي فِي شَرْح التِّرْمِذِي لَا تَعَارُض بَيْنه وبَيْن الحديث الصحيح أنَّ «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»،(٢) فحديثُ الباب محمولٌ علَى حقِّ الله تعالى، وحديثُ الصحيحِ محمولٌ عَلَى حقوقِ الآدميين فيمَا بينهم، فَإِنْ قِيلَ فَأَيُّهمَا يُقدَّمُ مُحَاسَبَةُ الْعِبَادِ عَلَى حَقِّ الله تَعَالَى أو مُحَاسَبَتُهُمْ عَلَى حُقُوقِهِمْ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ وَظَوَاهِرُ الْأَحَادِيثِ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَقَعُ أَوَّلًا الْمُحَاسَبَةُ عَلَى حُقُوقِ الله تَعَالَى قَبْلَ حُقُوقِ الْعِبَادِ».(٣)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن فَضْل الله ورحمتِه ونعمته وإحسانِه أنْ شَرَعَ لَنَا النَّوَافِلَ خلف الصَّلَوَات وقَبْلها وفِي كلِّ وقت إِلَّا الأوقات المَنْهِيِّ عَنْها؛ وذَلِك لِأَنَّ الإِنْسَان لَا بُدَّ أنْ يَكُون فِي صَلَاتِه

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٤١٣)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رَوَاه مسلم (١٦٧٨) مِن حديث عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (٢/ ٣٨٣).

خَلَلٌ فيَكْمُلُ بهَذِه النَّوَافِلِ، فالظُّهْر لَهُ أربعُ رَكَعات قَبْلَها بتَسْلِيمين وركعتان بعدها، وصلاةُ العصر لَيْسَ لها راتِبَة، لكنْ لَهَا سُنَّة مُطْلَقة كمَا قَال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**».(١) صلاة المَغْرب لَهَا رَاتِبَةٌ بَعْدَها رَكْعتان وسُنَّةٌ مُطْلَقة قَبْلها، صَلاة العِشَاء بَعْدَها ركعتان، الفجرُ قبلها ركعتان، صلاةُ الليل، صلاةُ الوتر، صلاةُ الضحى؛ كل هَذِهِ النوافل يزداد بِهَا أجر المصلِّي ويَكْمُل بِهَا النَّقْص الَّذي حَصَلَ فِي الفريضة، وهَذِه مِن نِعْمَة الله عز وجل، نَسْأل اللهَ أنْ يُعِينَنا وَإيَّاكم عَلَى ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عِبَادَته».(٢)

وكذَلِك يَنْبَغِي أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الأَفَاضِلُ أنَّ التَّهاوُن بالنوافل قَد يؤدِّي بالعَبْد إِلَى الإخلال بالفروض الَّتِي أَمَرَه بِهَا ربُّ الأَرْض والسَّموات؛ لِأَنَّ المستحبَّات هِي سِرَاج الواجباتِ، يَقُول الإِمَام الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن المَنْدُوبات ما هُوَ واجبٌ بالكلِّ؛ فَيُؤَدِّي تَرْكُهُ مُطْلقًا إِلَى الإخلال بالواجب، بَلْ لَا بدَّ فِيهِ مِن العَمَل بِهِ لِيَظهَرَ للنَّاس فيعملُوا به، وَهَذَا مَطْلُوبٌ ممَّن يُقتدى به، كمَا كَان شأنُ

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٦٠١) ومسلم (٨٣٨) مِن حديث عبد الله بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٥/ ١٠٤).

السلف الصالح».(١)

إنَّ مِن أعظمِ الصَّلَوَات المستحَبَّة الَّتِي يَنْبَغِي للعبد أنْ يَحْرِص عَلَيْها أشدَّ الحرص أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام صلاةَ الوتر، وهِي كَذَلِك مِن أفضلِ مَا يَتَقَرَّب بِهِ العَبْد إِلَى العَزِيزِ المقتدرِ، ولِشَرَفِ مكَانتها بَيْن النوافلِ والمستحَبَّات لَمْ يكن نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام يترُكُها فِي الحَضَر ولا حَتَّى فِي السَّفَر، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذَلِك لَم يكن يَدَعُها هِي والوتر سَفَرًا وحَضَرًا، وكَان فِي السفر يواظِب عَلَى سُنَّة الفجر والوتر أشدَّ مِن جَمِيع النوافل دون سائر السُّنَنِ، ولم يُنْقَل عَنْه فِي السَّفَر أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى سُنَّةً راتبة غيرهما».(٢)

بَلْ كَثِيرًا مَا حثَّ أُمَّته عَلَى المُحَافظة عَلَيْها والحِرْص عَلَى أدائها، فعن عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا، فإِنّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**».(٣)

يَقُول الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُرِيد بِهِ قيامَ الليل، فإنَّ الوِتْرَ يُطْلَق عَلَيْه

(١) الموافقات (٤/ ١٠٨).

(٢) زاد المعاد (١/ ٣١٥).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤١٦)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كمَا يُفْهَم مِن الأحاديثِ؛ فلذَلِك خَصَّ الخِطَاب لأهل القرآن «فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ» أيْ واحدٌ فِي ذاته لَا يَقْبَل الانْقِسَام، ووَاحِد فِي صِفَاتِه فَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا مِثْل له، وواحد فِي أَفْعَاله فَلَا شريكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ، «يُحِبُّ الْوِتْرَ» أيْ يُثيبُ عَلَيْه ويَقْبَله مِن عامِلِه».(١)

وَهَذَا لَا يَعني أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أَنَّهَا واجِبَة، فجُمهور العُلَمَاء عَلَى أَنَّهَا مِن السُّنَن والمُستَحَبَّات. يَقُول الإِمَام ابْنُ قُدَامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوتر غيرُ واجبٍ، وبِهَذَا قَال مَالِكٌ والشَّافِعي».(٢)

ويَقُول الحَافِظ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجِب شَيْء مِن الصَّلَوَات فِي كل يَوْم وليلة غيرُ الخمس، خلافًا لِمَن أَوْجَبَ الوِتر أَو رَكْعَتَي الفجر، أَو صلاة الضحى، أَو صلاة العيد، أَو الركعتين بعد المغرب».(٣)

لكن هَذَا لَا يُفهَم مِنْهُ أَنَّهُ يُتهاوَنُ فِي أمرِها، وَلَا أنْ يَجْعل المُسْلِمَ يَتَساهل فيها؛ فالسَّلف الصَّالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ كَانوا يَذُمُّون أشدَّ الذَّمِ مَن تَهَاوَن فِي صلاة الوتر واعتاد عَلَى تَرْكها، يَقُول الإِمَام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) عون المعبود (٤/ ٢٠٥).

(٢) المغني (١/ ٤٥٢).

(٣) فتح الباري (١/ ١٠٧).

«مَن تَرَك الوِتر عمدًا فَهُوَ رَجُلُ سوءٍ، وَلَا يَنْبَغِي أنْ تُقْبَل لَهُ شهادة».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأراد المبالغة فِي تأكيده لِمَا قَد وَرَدَ فِيهِ مِن الأحاديث فِي الأَمْر بِهِ والحثّ عَلَيْه، فخَرَّجَ كلامُه مَخْرَج كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلَّا فَقَدْ صَرَّح فِي رواية حَنْبَل فقال: الوتر لَيْسَ بمنزلة الفرض».(٢)

ويَقُول البَاجِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا تَرْكُ المَنْدوبِ إِلَيْه بمَا كَان مِنْهُ يتكرر ويتأكَّد كالوتر وركعتي الفجر وتحيَّةِ المسجد وما قَد واظب عَلَيْه النَّاس، فإنْ أَخَلَّ أَحَدٌ بفِعْله مرَّةً أَو مِرارًا لعذرٍ أَو غيرِ عُذرٍ، فَلَا يَسقط بذَلِك عدالته، وأمَّا مَن أَقْسَمَ أَلَّا يفعل، أَو تركه جملةً، فإنَّ ذَلِك يُسقط شهادَتَهُ».(٣)

فَعَلَيْكَ أَيُّها المُسْلِم أنْ تَحْرص أشدَّ الحِرْص عَلَى أداء هَذِهِ الصَّلَاة الكَرِيمة، وأنْ تُؤَدِّيَها قبْل أنْ تَنَام إِنْ خَشِيت أَلَّا تُصَلِّيَها فِي آخر الليل؛ عملًا بوصية رَسُولِ العَزِيزِ الجليلِ، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) المغني (١/ ٤٥٢).

(٢) المغني (١/ ٤٥٣).

(٣) المنتقى شرح الموطأ (٥/ ١٩٣).

أنَّ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**من خَافَ أَلَّا يَقُوم مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِك أَفْضَلُ**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فِيهِ دليلٌ صريحٌ عَلَى أَنَّ تأخيرَ الوتر إِلَى آخرِ الليل أفضلُ لِمَنْ وَثَقَ بِالِاستيقاظِ آخرَ الليل، وأَنَّ مَن لَا يَثِقُ بذَلِك فالتَّقديمُ لَهُ أفضلُ، وَهَذَا هُوَ الصوابُ».(٢)

ويَنبغي أَنْ تُؤَدِّيَها وَلَوْ ركعةً واحدةً عَلَى الأقل، وتُجاهِدَ نفسك مع مرورِ الأيام أَنْ تَزِيدَ فِيهَا لِمَا فِي ذَلِك مِن خيرٍ كَبِيرٍ عند العَزِيزِ القديرِ، فعن أبي أيوب الأنصاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ**».(٣)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أقلُّ الوتر ركعةٌ، وأَنَّ الركعةَ الفردة

---

(١) رَوَاه مسلم (٧٥٥).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٦/ ٣٥).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُد (١٤٢٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُٱللَّهُ.

صلاةٌ صحيحةٌ، وهو مَذْهبُنا ومَذْهب الجمهور».(١)

وإنْ غلَبَكَ النومُ فلَمْ تُصلِّهَا، أَو أنك نَسِيتَها ثُمَّ تَذَكَّرْتَها بعد خروج الوقت، فلَكَ عَلَى الصحيح أنْ تَقضِيَها عند استيقاظك ووقت تَذكُّرِك لهَا، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ**».(٢)

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى مشروعية قضاء الوتر إِذَا فاتَ، وقد ذَهَبَ إِلَى ذَلِك مِن الصَّحابة عَلِيُّ بن أبي طالبٍ، وسَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ، وعَبْد الله بنُ مَسْعُودٍ، وعَبْد الله بْنُ عُمَرَ، وعُبَادة بْنُ الصَّامت، وعامرُ بنُ رَبِيعَة، وأَبُو الدَّرْدَاء، ومُعَاذ بْنُ جَبَلٍ، وفَضَالَةُ بن عُبَيْدٍ، وعَبْد الله بنُ عبَّاسٍ، كذا قَال الْعِرَاقِيُّ».(٣)

فاللّهَ اللّهَ أَيُّها الأَفَاضِلُ والأَخْيَار فِي اغتنام مَا بقي من الأوقات والأعمار فيمَا يُحب الكَرِيم الغفارُ من الخيرات وسائر القربات، والحِرْصَ أَشَدَّ الحِرْصَ عَلَى اجتناب مَا يُغضب العَزِيزَ الجبَّارَ مِن

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٦/ ١٩).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (١٤٣١)، وصَحَّحهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٣/ ٥٨).

المحرَّمَات وكلِّ المُنْكَرات، يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنْبَغِي للإِنْسَان أَنْ يَعْرف شرف زمانه، وقَدْر وقته، فَلَا يُضيِّع لحظةً فِي غير قُرْبة، ويُقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل».(١)

وعَلَى العَبْد أَيُّها الأَحْبَابُ إِذَا أراد أن يُوفَّق لعملِ الطاعات أن يَصْدُق ويُخْلص النِّيَّة أوَّلًا للعزيزِ الوهَّابِ، ثُمَّ يجتهد فِي بذل مَا يعينه عَلَى ذَلِك من أَسْبَاب، وليعلمْ أنَّ بِقَدْر إخلاص النية يَكُون التوفيقُ للعبد مِن ربِّ البريَّة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعَلَى قَدْر نية العَبْد وهِمَّتِه ومُرادِه ورغبته فِي ذَلِك يَكُون توفيقه سُبْحَانَه وإعانته، فالمَعُونة مِن الله تنزل عَلَى العباد عَلَى قَدْر هِمَمِهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخُذْلان ينزل عَلَيْهم عَلَى حسب ذَلِك، فالله سُبْحَانَه أحكمُ الحاكمين وأعلمُ العَالَمِينَ يَضَع التوفيق فِي مواضعه اللائقة به، والخذلان فِي مواضعه اللائقة به، هُوَ العليم الحكيم».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أَنْ يُوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يحبه ويرضاه، ومن ذَلِك الحِرْصُ عَلَى كل أنواع الخير والبِرِّ، ومن

---

(١) صَيْدُ الخَاطِرِ (ص٢).

(٢) الفَوَائِدُ (ص٩٧).

ذَلِك الصَّلَوَاتُ المستحباتُ، وأنْ يُجنِّبَنا جَمِيعًا كُلَّ مَا يُبغضه ويأباه مِن المُحَرَّمَات والمُنْكَرات وكل أنواع الشر، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

التحذير من مسابقة الإمام في الصلاة

التَّحْذِير مِن مُسابَقَة الإِمَامِ فِي الصَّلاةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَشْرح صَدْرَ أَهْلِ الإِيمَان ويُسْعد أَوْلِيَاء الرَّحْمَن أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَانِ ما نَرَاه اليَوْم مِن إقْبالِ المُسْلِمِينَ عَلَى بُيُوتِ الكَرِيم المَنَّانِ، يَقُول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التَّوْبَة:١٨].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَصَفَهم بالإِيمَان النَّافِع، وبالقِيامِ بالأَعْمَال الصَّالِحَة الَّتِي أُمُّها الصَّلَاة والزَّكَاة، وبِخَشْية الله الَّتِي هِي أَصْل كلِّ خَيْر، فهَؤُلَاءِ عُمَّارُ المَسَاجد عَلَى الحَقِيقَةِ وأهلُها الَّذِينَ هُم أَهْلُها».(١)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٣٢١).

فحَرِيٌّ بِكُلِّ مُسْلِم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنْ يَفْرَحَ بتَوَافُدِ الأَنَام إِلَى مكَانٍ هُوَ مِن أَحَبِّ البِقَاع إِلَى العَزِيزِ العلَّامِ، فعن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا»؛ لأَنَّهَا بُيُوت الطَّاعَات وأَسَاسُها عَلَى التَّقْوى، قَوْلُه «وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا»؛ لأَنَّهَا مَحَلُّ الغِشِّ والخِدَاع والرِّبَا والأَيْمَانِ الكَاذِبة، وإِخْلَاف الوَعْد، والإِعْرَاض عن ذِكْر الله، وغير ذَلِك مِمَّا فِي معناه».(٢)

لكنَّ الفَرَح والسُّرُور بِهَذَا الإِقبال عَلَى بُيُوت العَزِيز المُتعَالِ قَد يَنْتَابُه بَعْض الحُزْن؛ وسَبَبُ ذَلِك أَنَّ بَعْض المُصَلِّينَ قَد يُخالِفون فِي صَلَاتِهم هَدْيَ وأَمْرَ خَيْرِ المُرْسَلِينَ، ومِن ذَلِك أَيُّها الأَفَاضِلُ أَنَّنا نَرَى اليَوْمَ فِي كَثِيرٍ مِن المَسَاجد قَد فَشَت بَيْن عَامِرِيها ظاهِرَةٌ قَد حَذَّرَنا مِنها أشدَّ التَّحْذِير نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام؛ أَلَا وَهِيَ مُسَابَقة بَعْض المَأْمُومِين فِي صَلَاتِهم للإِمَامِ، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) رَوَاه مسلم (٦٧١).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٥/ ١٧١).

رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا** »(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِيهِ وُجُوب مُتابَعَة المَأْمُوم لِإِمَامه فِي التَّكْبِيرِ والقِيَامِ والقُعُودِ والرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وأَنَّهُ يَفْعَلها بَعْدَ الإِمَام »(٢)

ويَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّي الإِمَامُ إِمامًا لِيُؤْتَمَّ بِهِ، ويُقْتَدَى بِهِ عَلَى وَجْهِ المتابَعة».(٣)

إِنَّ عَلَى مَن يُسابِق فِي صَلَاة الجَمَاعَة الإِمَامَ أَنْ يَعْلَمَ أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أَنَّ فِعْلَه هَذَا هُوَ حَرَامٌ باتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الإِسْلَام، يَقُول شَيْخ الإِسْلَام ابْنُ تَيمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا مُسَابَقَةُ الإِمَامِ فحَرَامٌ باتِّفَاق الأَئِمَّة لَا يَجُوز لِأَحَدٍ أَنْ يَرْكَعَ قَبْل إمامِه وَلَا يرفعَ قَبْله وَلَا يَسْجدَ قَبْله».(٤)

وأَنَّهُ كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِن أَسْبَابِ بُطْلانِ الصَّلَاة،

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٣٧١) ومسلم (٤١١) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٤/ ١٣٢)

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٣/ ١٩٣).

(٤) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (٢٣/ ٣٣٦).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا مُسَابَقته الإمَامَ، والتَّقدُّمُ عَلَيْه فِي رُكوعٍ أَو سجودٍ، أَو خَفْضٍ أَو رَفْعٍ، فإنَّ ذَلِك حرامٌ، مُبْطِلٌ للصَّلاةِ، فيُؤْمَرُ المَأْمُومُون بالاقتداء بإمامِهم، ويُنْهَوْنَ عن المُوَافَقة والمُسَابَقة والتَّخَلُّفِ الكَثِير».(١)

وأنَّ صاحِبَه إِذَا لَمْ يَتْرُكْ هَذَا الفِعْل غَيْرَ السَّدِيدِ فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بوعيد شديد، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ الله رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟**»(٢)

يَقُول الإِمَام ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِيه: دَلِيل صَرِيحٌ عَلَى تَحْرِيم تَعمُّدِ رَفْعِ المَأمومِ رَأْسَه قَبْلَ الإِمَامِ فِي ركوعِه وسجودِه؛ فإنَّه تَوَعَّدَ عَلَيْه بالمَسْخِ، وَهُوَ مِن أَشَدِّ العُقُوبَاتِ.

وإنَّمَا اخْتَصَّ الحمارَ بالذكر دون سائر الحيوانات عَلَى الرِّوَايَة الصَّحِيحة المَشْهورةِ والله أعلم لِأَنَّ الحمارَ مِن أَبْلَدِ الحيواناتِ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص٩٤).

(٢) رَواه البُخَارِي (٦٥٩) ومسلم (٤٢٧) واللفظ له.

وأَجْهَلِها، وبِهِ يُضْرَب المَثَل فِي الجَهْلِ».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَهَذَا تهديدٌ لِمَن سابَقَ الإِمَامَ، وَلَا تهديدَ إِلَّا عَلَى فعلٍ مُحَرَّمٍ، أَو تَرْكِ واجِبٍ».(٢)

اعلمْ أَيُّها المُصلِّي أَنَّ شُهُودَ الجَمَاعَة مَع الإِمَامِ نِعْمةٌ عظيمةٌ ومِنَّةٌ كريمةٌ قد يَسَّرَها لَكَ الكَرِيمُ العلَّامُ، فاحرصْ أَشَدَّ الحِرْصِ، إِذَا أَردْتَ أَنْ تَنالَ عَلَيْها الأَجْرَ والثَّوابَ أَنْ تَعْمَلَ بمَا أَوْصاك رَسُول العَزِيزِ الوهَّابِ، فعن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صلَّى بِنَا رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فلمَّا قَضى الصَّلَاة أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فقَال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ**».(٣)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فِيهِ تَحْرِيمُ هَذِهِ الأمورِ ومَا فِي مَعْناها، والمُرادُ بالانصراف السلامُ».(٤)

---

(١) فتح الباري فِي شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابن رجب (٤/ ١٦٣).

(٢) مَجْمُوعُ الفَتَاوَى (١٥/ ١١١).

(٣) رَوَاه مسلم (٤٢٦).

(٤) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٤/ ١٥٠).

فاحْذَرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن مُسابَقَة الإِمَامِ؛ فإنَّ هَذَا الفعل يُنافِي أحكامَ الإتْمَامِ، وهُو مِن العَجَلة الَّتِي يُحِبُّها الشَّيْطَان الَّذِي يسعى جاهِدًا لإفساد صَلَاتك وإيقَاعِك دَائِمًا فِي الآثامِ، فعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**التَّأنّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**».(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي التَّأَنِّي «مِنَ اللهِ» أيْ: مِمَّا يرضاه ويُثِيبُ عَلَيْه، «وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» أيْ: هُوَ الحامِل عَلَيْها بِوَسْوَسَتِه؛ لِأَنَّ العَجَلة تَمْنع مِن التَّثَبُّتِ والنَّظَر فِي العواقِب».(٢)

ويَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلِهَذَا كَانَت العَجَلة مِن الشَّيْطَان، فإِنَّهَا خِفَّة وطَيْشٌ وحِدَّة فِي العَبْد تَمْنعه مِن التثبُّت والوَقَار والحِلم، وتُوجب لَهُ وَضْع الأشياء فِي غيرِ مواضِعِها، وتَجلِب عَلَيْه أنواعًا مِن الشُّرور وتَمْنعه أنواعًا مِن الخير، وهِي قرينُ الندامة؛ فقلَّ مَن استعجل إِلَّا نَدِم، كَمَا أنَّ الكَسَل قرينُ الفَوْتِ والإضاعة».(٣)

---

(١) رَوَاه أبو يَعْلَى فِي مُسْنِده (٤٢٥٦)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (١٧٩٥).

(٢) فَيْض القَدِير (٣/ ٢٤٧).

(٣) الروح (ص٢٥٨).

وعَلَى الإِمَام كَذَلِك أنْ يَقُوم بما عَلَيْه نَحْو المُصَلِّينَ مِن مسؤوليات؛ فيُذَكِّرَهم ويَحُثَّهم عَلَى العَمَل بهَدْيِ رَسُولِ ربِّ البريَّات، ويتَعَاهَدَهم بالحِكْمة والرِّفْقِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ والتَّوجِيهاتِ، خاصَّةً عندمَا يَرَى مِنْهُم مَا يُنافِي الصَّلَاة مِن مُخالَفَات؛ لأَنَّهُ يُسأل عن ذَلِك يَوْم وُقُوفه بين يَدَيْ ربِّ الأَرْض والسَّمَوات. يَقُول الإِمَام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الإِمَام راعٍ لِمَن يُصلِّي بِهِم، فمَا أَوْلى بالإِمَام النصيحة لِمَن يُصلِّي خَلْفَه، وأنْ يَنهاهُم عَن المُسَابَقة فِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وأَلَّا يَرْكَعوا ويَسْجدوا مَع الإِمَام، بَلْ يَأْمُرُهم بأنْ يَكُون ركوعُهم وسجودُهم ورَفْعُهم وخَفْضُهم بَعْدَه، وأنْ يُحْسِن أَدَبهم وتَعْليمهم إذْ كَان راعِيًا لَهُم».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَ أئمَّة مَساجِد المُسْلِمِينَ لكلِّ ما فِيهِ خيرٌ لَهُم وللمُصَلِّينَ، وأنْ يَجْعَلَهم هُدَاةً مُهْتَدِين، ولِهَدْيِ خَيْرِ المُرْسَلِين مِنَ المُتَّبِعِينَ الدَّاعِينَ، وأنْ يَجْعَل المَأْمُومِين بالِاقْتِدَاء بالأَئمَّة مِن الحَرِيصِين وعَلَى مُسابَقَتهم مِن المُبتَعِدِين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يَعْلَى (١/ ٣٥٩).

إياك من التنفير
أيها الداعية!

إيَّاكَ مِن التَّنفيرِ أَيُّها الدَّاعيةُ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن السَّلْبِيَّات الَّتِي نَرَاها اليَوْمَ أَيُّها الأَفَاضِلُ فِي بُلْدَانِنا الإِسْلَامِيَّة عَلَى بَعْضِ مَن حَمَلَ لِوَاء الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر بيْن النَّاسِ اتِّصَافهُم بالغِلْظةِ واستعمالَهُم الشِّدَة فِي غَير مَوْطِنِها، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي للعالِمِ إِذَا رأى مَن يُخِلُّ بواجِبٍ أَو يَفْعل مُحَرَّمًا أن يَتَرَفَّقَ فِي إرشادِه ويَتلطَّفَ بِهِ».(١)

حَيْثُ فرَّطَ هَؤُلَاءِ، بِسَبَب مَا صَدَرَ ومَا يَصْدُرُ منهم، فِي أصلٍ مهمٍّ جِدًّا فِي هَذَا الباب؛ أَلَا وهُو الرِّفْقُ واللِّينُ عِنْدَ دَعْوَةِ ونُصْحِ الآخَرِين،

---

(١) فَيْض القَدِير (٥/ ٤٦١).

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرِّفْقُ سبيلُ الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكر؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِيَكُنْ أَمْرُك بالمَعْرُوف بِالْمَعْرُوفِ ونَهْيُك عَن المُنْكر غيرَ مُنْكر».(١)

ولا يُسْتَغْرَبُ صُدُورِ هَذَا الأمرِ مِن بَعْض هَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفْنا أحوالَهم وتَتَبَّعنا أَخْبارَهم؛ لأَنَّهُ كمَا يُقال إِذَا عُرف السَّبَبُ بَطُلَ العَجَب، فالبَعْضُ مِنهم أَيُّها الأَحِبَّة قَد وَلَجَ مَيْدانَ الدَّعْوةِ بِلَا زادٍ وَلَا عَتَادٍ، والبعضُ الآخَرُ قد يَكُون لَهُ شَيْءٍ مِن العِلم، لكِنْ تنقصُه الحكمة؛ وَلِذَا يظهر عَلَيْه التَّسَرُّعُ والاندفاع عند أَمْرِه بالمَعْرُوف وعِنْدَ نَهْيِه عن المُنْكَر، وكِلَا الصِّنْفَين قَد غَلَبَت عَلَيْهمَا العاطفةُ غَيْرُ المُقَيَّدَةِ بضَوابطِ الشَّرْع؛ لِذَا نراهما أَيُّها الكِرَام لَا ينظران لحالة المَدْعُوِّين وَلَا إِلَى عَوَاقِب الأمورِ، فيَنْتُجُ عن أَفْعَالهمَا فِي الغالِبِ مَا ضَرَرُهُ أكثرُ مِن نَفْعِه، ومِن أَخْطَرِ وأَضَرِّ مَا يُجنَى بِسَبَب أَفْعَالهمَا تنفيرُ النَّاس والمدعوِّين عن دِينِ ربِّ العَالَمِينَ، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَاري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ مِنْكُم مُنَفِّرِينَ**».(٢)

---

(١) الأَمْرُ والنَّهْي عن المُنْكَر لِابْنِ تَيْمِيَّة (ص٢٨).

(٢) رَواه البُخَارِي (٦٧٠) ومسلم (٤٤٦) واللفظ له.

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ» أَيْ مَنْ يَلْقَى النَّاسَ بالغِلْظَة والشِّدَةِ فيَنْفِرون مِن الإِسْلَام والدِّين».(١)

إنَّ مِمَّا يُحْزِن المؤمِنَ كذَلِك أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أَنَّ دُعاة الانفتاحِ والتَّبرُّجِ والاختلاطِ وغيرِها مِن المُنْكَرات قَد استغلُّوا اليَوْمَ النَّظْرةَ السَّيِّئَةَ لبعضِ عوامِّ المُسْلِمِينَ لأهل الاستقامة والدين، والَّتِي للأسفِ تَسَبَّبَ فِيهَا أحيانًا بَعْضُ الدعاة المُنَفِّرِين؛ فأَثَّرُوا عَلَى بَعْضِ العوامِّ وضعفاءِ النفوسِ فصَرَفوهم عن الطريقِ المستقيمِ والمَنْهجِ القَوِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قوَّةَ إِلَّا بالله العليِّ العظيمِ.

فأَيْنَ أنتَ يَا مَن تَسَبَّبْتَ فِي تَنْفيرِ بَعْض المُسْلِمِينَ عَن دِينِ ربِّ العَالَمِينَ مِن وَصِيَّة خيرِ المُرْسَلِين، الَّتِي أمر فِيهَا الدُّعَاةَ والمُصْلِحين بالرِّفْق واللِّينِ ونَهاهم عن الشِّدَّةِ والغِلْظة مع المَدْعوِّين؟! فعن أبي موسى الأَشْعَرِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**».(٢)

يَقُول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَا تُنَفِّرُوا» مِن النِّفَار، وهو

---

(١) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (٥/ ٩١).

(٢) رَوَاه مسلم (١٧٣٤).

الشُّرُود والهُرُوب، ومِنه نُفُور الدَّابة ونِفَارها؛ أي لَا تُشَدِّدوا عَلَى النَّاسِ وتخوِّفوهم فتُبَغِّضوا إِلَيْهم الإِسْلَامَ وتَصُدُّوهم عَنْه». (١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث الأمرُ بالتبشيرِ بفَضْلِ الله وعظيمِ ثَوَابِه وجزيلِ عطائِه وسَعَةِ رحمتِه، والنَّهْيُ عن التَّنفيرِ بذِكْرِ التخويفِ وأنواع الوعيد مَحْضَةً مِن غَيْرِ ضَمِّها إِلَى التَّبْشير، وفِيهِ تأليفُ مَن قَرُبَ إسلامُه وتَرْكُ التشديدِ عَلَيْهم، وكذَلِك مَن قَارَب البلوغَ مِن الصِّبْيَانِ، ومَن بَلَغَ، ومَن تَابَ مِن المَعَاصِي، كلُّهم يُتلطَّفُ بِهِم ويُدْرَجون فِي أنواع الطَّاعَة قليلًا قليلًا، وقد كَانت أمور الإِسْلَام فِي التكليف عَلَى التدريج فمَتَى يُسِّرَ عَلَى الدَّاخلِ فِي الطَّاعَة أَو المُرِيد للدُّخول فِيهَا سَهُلَت عَلَيْه، وكَانت عاقبتُه غالبًا التزايُدَ مِنْهَا، ومَتَى عَسَرَت عَلَيْه أَوْشَكَ أَلَّا يَدْخُلَ فِيهَا، وإنْ دَخلَ أَوْشَكَ أَلَّا يدومَ أو لَا يَسْتحْلِيَها». (٢)

فاعلمْ يَا مَن عِنْدك الحِرْصُ عَلَى نَفْعِ الآخرين أَنَّ الرِّفقَ واللُّطفَ عِند الدَّعْوةِ والتَّذْكِيرِ والتعليمِ مِن أهمِّ الأَسْبَاب الَّتِي تَجعل دعوتَك

---

(١) مشارق الأنوار (٢/ ٢٠).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٤١).

مقبولةً عند الآخرين، سواءٌ كانوا مِن الغافِلين أَو الجاهِلين بإذْن أرحمِ الرَّاحِمِينَ، يَقُول الإمَام أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللُّطفُ بالجاهلِ قَبْل التعليم أَنْفَعُ لَهُ مِن التَّعنُّف، ثُمَّ لَا وَجْهَ للتعنُّف لِمَن لَا يَعْلم؛ إنَّمَا يُعنَّفُ مَن خالَفَ مع العِلْم».(١)

واعلمْ أيضًا أنَّ تنفيرَ المَدْعوِّين بالقَوْل أَو الفِعْل لَيْسَ أبدًا مِن هَدْيِ المُتَّقِينَ وَلَا مِن صِفَاتِ المُصْلِحين، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتنفيرُ لَا يَنْبَغِي؛ فَلَا تُنَفِّرَ النَّاس بَلْ لِنْ لَهُم، حَتَّى فِي الدعوة إِلَى الله عزَّ وجلَّ، لَا تَدْعُهم إِلَى الله دَعْوَةَ مُنَفِّرٍ، لَا تَقُلْ إِذَا رأيتَ إِنْسَانًا عَلَى خطأ: يَا فلان، أنتَ خالَفْتَ، أنتَ عَصَيْتَ، أنتَ فِيكَ ... إِلَى آخره، هَذَا يُنَفِّرُهم، ويَزيدُهم فِي التَّمَادِي فِي المَعْصية، ولكنِ ادْعُهم بهَوْنٍ ولِينٍ حَتَّى يَأْلَفك ويَأْلَفَ مَا تَدْعو إِلَيْه، وبِذَلِك تَمْتَثِلُ أَمْرَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قوله: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»».

فخُذْ هَذَا الحديثَ أَيُّها الأخُ، خُذْهُ رَأْسَ مالٍ لك «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّروا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، سِرْ إِلَى الله عزَّ وجلَّ عَلَى هَذَا الأصل، وعَلَى هَذَا الطريق، وسِرْ مع عِبَاد اللهِ عَلَى ذَلِك تَجِدِ الخَيْرَ

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٤/ ٢٣٣).

كلَّه، واللهُ المُوَفِّقُ».(١)

بل هُوَ مِن الأَخْلَاق السَّيِّئَة والصِّفَات القَبِيحَةِ الَّتِي أَمَرَ العَزِيزُ العلَّامُ رَسُولَنا عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام باجتنابِها عند معامَلَة الأَنَامِ، فكَانت وصيةً لَهُ ولِمَن بَعْدَه مِن الدُّعاة لِدِين الإِسْلَامِ؛ حَيْثُ قَال العليمُ الحكيمُ لِنَبِيِّه الكَرِيمِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيْ: برحمةِ اللهِ لَكَ ولأصحابِك، مَنَّ الله عَلَيْكَ أنْ أَلَنْتَ لَهم جانِبَك، وخَفَضْتَ لهُم جَناحَك، وتَرَقَّقْت عَلَيْهم، وحَسَّنْتَ لهُم خُلُقك، فاجتمَعوا عَلَيْكَ وأَحَبُّوك، وامتَثَلُوا أَمْرَك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أَيْ: سَيِّء الخُلُقِ ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أيْ: قاسِيَه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرهم ويُبَغِّضهم لِمَن قامَ بِهِ هَذا الخُلُق السيِّء.

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٥٩١).

فالأَخْلَاقُ الحَسَنة مِن الرئيس فِي الدين، تَجْذب النَّاسَ إِلَى دِينِ الله وتُرَغِّبُهم فيه، مع مَا لصاحبه مِن المَدْح والثَّواب الخاصّ، والأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ من الرئيس فِي الدين تُنَفِّرُ النَّاسَ عن الدين وتُبَغِّضُهم إِلَيْه، مع مَا لصاحبها مِن الذَّمِّ والعقاب الخاصّ، فَهَذَا الرَّسُول المعصوم يَقُول الله لَهُ مَا يقول، فكيف بغيره؟!

أَلَيْسَ مِن أَوْجَبِ الواجِبات، وأهمِّ المُهِمَّات، الاقتداءُ بأَخْلَاقه الكَرِيمة، ومُعامَلَة النَّاس بمَا يعامِلهم بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِن اللِّين وحُسْن الخُلُق والتأليف؛ امتثالًا لأَمْرِ الله، وجَذْبًا لعباد الله لِدِين الله؟»(١)

واحْذَرْ أَيُّها الدَّاعية أَشَدَّ الحَذَرِ كَذَلِك أنْ تَكُون ليِّنًا رفيقًا فَقَطْ عند دَعْوة الآخرين، وشديدًا غليظًا عند نُصْحِك ودعوتِك لأهلِك وغِيرهم مِن الأقربين؛ بَلْ إنَّ أهلَك وأقربَ النَّاس إِلَيْكَ هُم أَوْلى النَّاسِ برِفْقِك وبِرِّك وحُسْنِ معامَلَتِك، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا**

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».[(١)]

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِي ذَلِك تَنْبيهٌ عَلَى أَعَلَى النَّاس رتبةً فِي الخير، وأحقُّهم بالاتِّصاف به هُوَ مَن كَان خَيْرَ النَّاسِ لأهلِه؛ فإنَّ الأهلَ هُم الأَحِقَّاءُ بالبِشْر وحُسْن الخُلُق والإحسانِ وجَلْبِ النَّفْع ودَفْع الضر، فإذَا كَان الرَّجُل كَذَلِك فَهُوَ خيرُ النَّاس، وإنْ كَان عَلَى العكس مِن ذَلِك فَهُوَ فِي الجانب الآخر مِن الشرِّ، وكَثِيرًا مَا يقع النَّاس فِي هَذِهِ الوَرْطَة فترَى الرَّجُل إِذَا لِقَي أهْلَه كَان أسوأَ النَّاس أَخْلَاقًا وأشَحِّهم نفسًا وأقلِّهم خيرًا، وإِذَا لَقِيَ غيرَ الأهلِ مِن الأجانبِ لَانَتْ عريكَتُه وانبَسَطت أَخْلَاقُه وجَادَتْ نفسُه وكَثُرَ خيْرُه، وَلَا شكَّ أنَّ مَن كَان كَذَلِك فَهُوَ محرومُ التوفيقَ زائغٌ عَن سواءِ الطريقِ، نسألُ اللهَ السلامةَ».[(٢)]

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يرزُقَنا جَمِيعًا عِنْدَ مُعامَلَةِ الآخَرين الرِّفْقَ واللِّينَ، وأنْ يُوفِّقَ الدُّعَاةَ الصَّادِقِين المُصْلِحين فِي كلِّ مكَانٍ لكلِّ مَا فِيهِ خَيْرٌ وصَلَاحٌ للإسلامِ والمُسْلِمِينَ، وأنْ

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (٣٨٩٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٦/ ٢٦٠).

يَحْفظَهم مِن شرِّ الكائدين ومَكْرِ الحاقِدِين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

أقلام اليوم!

أَقْلَامُ اليَوْمِ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَيُّها الأَفَاضِلُ التطوُّرَ والتنوُّعَ الكبيرَ الَّذِي نَرَاه فِي وَسَائِلِ الاتِّصالِ والإعْلَام بِشتَّى أنواعِها؛ المَسْمُوعة مِنْها والمَرْئِيَّة والمَكْتوبةِ.

ونُلاحِظُ كَذَلِك أنَّ غالِبَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ أصبَحُوا يُجِيدُون اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الوَسَائِلِ ويَعْرِفُون طريقَةَ استخدامِها، بَلْ نَرَى أنَّ الصِّغَارَ يُحْسِنون التَّعامُلَ مَعَها حَتَّى أكثَرَ مِنَ الكِبَارِ.

ومِمَّا نَتَج عَن هَذِهِ الظَّاهِرَة أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات كثرةُ مَا يُكتَب ويُدوَّن مِن آراءٍ وكِتَاباتٍ، سواءٌ فِي الجرائد أَو المجلاَّت، وحتَّى

مَا يُرسَل بيْن النَّاسِ عَبْر رسائلِ الجوَّالات.

وَهَذَا الَّذِي نراه ونُعايشه أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام هُوَ مِصْدَاق مَا ذَكَرَه لَنَا نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام؛ حَيْثُ أَخْبَرَنا أنَّ مِن علاماتِ السَّاعَةِ أنْ يَظْهر القَلَم وتَكْثُر الكِتَابة بين الأَنَامِ، فعَنْ عمرِو بْنِ تَغْلِبَ العَبْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمالُ، وَيَكْثُرَ وَتَفْشُو التِّجارَةُ، وَيَظْهَرُ الْقَلمُ.**» (١)

يَقُول البَرْزَنْجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:١٠١٣): «وفُشُوُّ القَلم كِنايةٌ عَن كَثْرة الكَتَبَة وقِلَّة العُلَمَاء، يَعني يَكْتَفُونَ بتَعَلُّم الخطّ ليُخَالِطوا الحُكَّامَ».(٢)

يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي الحديثِ إشارةٌ قويةٌ إِلَى اهتمامِ الحكوماتِ اليَوْمَ فِي أغلبِ البلادِ بتعليمِ النَّاسِ القراءةَ والكِتَابَةَ، والقضاءِ عَلَى الأُمِّية حَتَّى صارت الحكوماتُ تتباهى بذَلِك، فتُعْلِنَ أنَّ نِسبة الأُمِّية قَد قلَّت عندها حَتَّى كادت أنْ تُمْحَى، فالحديثُ عَلَمٌ

(١) رَواه النَّسَائِيُّ فِي الكُبْرَى (٦٠٨٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦٤٧).

(٢) الإشاعة لأَشْرَاطِ السَّاعَةِ (ص١١٤).

مِن أَعْلَامِ نُبُوَّتِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأبي هُوَ وأمِّي. وَلَا يُخَالِف ذَلِك كما قَد يَتَوَهَّمُ البعض ما صحَّ عَنْه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غيرِمَا حديثٍ أنَّ مِن أَشْرَاط السَّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلم ويَظْهر الجَهْل؛ لِأَنَّ المَقصود بِهِ العِلم الشَّرعي الَّذِي بِهِ يَعرف النَّاسُ ربَّهم ويَعْبدونه حقَّ عبادته، وليس بالكِتَابَة ومَحْو الأُمِّية كمَا يَدُل عَلَى ذَلِك المُشاهَدَة اليومَ، فإنَّ كَثيرًا مِن الشعوبِ الإِسْلَامِيَّة فضلًا عن غيرها، لم تَسْتفدْ مِن تَعلُّمِها القراءةَ والكِتَابَةَ عَلَى المَنَاهج العَصْرية إِلَّا الجهلَ والبُعْدَ عن الشريعة الإِسْلَامِيَّة، إِلَّا مَا قلَّ ونَدُر، وذَلِك مِمَّا لَا حُكْمَ لَهُ».(١)

إنَّ المُسْلِمِينَ اليَوْم أَيُّها الأَحِبَّة لَيْسوا سواءً فِي التعامُل مع هَذَا التطوُّر المَلْحوظ فِي وَسَائِل الكِتَابَة، فأهدافُهم مِنْهَا مُتباينَة ونِيَّاتُهم مُخْتَلِفة، فهُم أَيُّها الكِرَام عَلَى أقسام:

ففِئةٌ مِنْهُم ولله الحمد يَسْتَخْدِمونها فيمَا يَعُود بالنَّفع والخيرِ عَلَى الأَنَام، فنَرَى أنَّ مِنْهُم مَن جَعَلَها مِنْبَرًا للتعريف بالإِسْلَام والدعوةِ إِلَيْه وَرَدِّ الشبهات الَّتِي تُثَارُ حَوْلَ دِين العَزِيزِ العلَّامِ.

---

(١) السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٦/ ٦٣٥).

وجماعةٌ مِنْهُم جعَلوها مَطِيَّةً لِهَدْم القِيَم ونَشْر الرذيلة ومحارَبَة الفضيلةِ، ورَبْطِ العَلَاقَات المُحرَّمَة بين الرِّجَال والنِّسَاء، وتَزْيِين المَعَاصِي والآثامِ مِن شُرْب المُسْكِرات وتَعَاطِي المخدِّرات، وغير ذَلِك مِن المُنْكَرات والمُلْهِيات.

ومِنهم مَن بَاعَ قَلَمَه بثَمَنٍ بَخْسٍ لمُنظَّماتٍ دُوَليةٍ تَزْعم أَنَّهَا حقوقية، مِنْهَا كافرة غربية، وبعضها حَتَّى إلحادية، فأصبح فِي جرائدِ وصُحُفِ المُسْلِمِينَ يَدعو لمَا تَسْعى إِلَيْه هَذِهِ المنظمات مِن فسادٍ وإفْسادٍ ويُزيِّنُ ويُدَافِع عن أفكارها الهَدَّامة الَّتِي مِنها ما هُوَ كُفْر وإلحاد؛ فتَسَبَّبَ فِي إضلالِ وانْحرافِ كَثِيرٍ من العِبَادِ.

وطائفةٌ مِنْهُم استغلَّت أقلامَها وقُدْرَتها عَلَى الكِتَابَة وزَخْرَفَة الكَلَام وحُسْن صياغَتِه، فجَعَلَتْها وَسِيلَةً لنَشْر البِدَع والمُحْدَثَات وتَزْيين المُنْكَرات والخُرَافات، فسَاهَمَت فِي إبعاد المُسْلِمِينَ عن سُنَّة وهَدْيِ خَيْرِ المُرْسَلِين.

وجماعةٌ مِنْهُم سَخَّرت قَلَمَها للطَّعن فِي العُلَمَاء الأَعْلَام، وذَلِك برَمْيِهِم بمَا لَيْسَ فيهم مِن عُيُوب ونَقَائِصَ؛ ومِن ذَلِك أَنَّهم لَا يَفْقَهون وَاقِعَ الأُمَّة ومَا يَدُور فِي الخَفَاء، بَلْ حَتَّى إِنَّ بَعْض هَؤُلَاءِ قَد بَلَغَ بِهِم

الأَمْرُ لِاتِّهام العُلَمَاء الأَتْقِياء بأنَّهم للحُكَّامِ عُملاءُ، وَلَا يُفْتُون وَلَا يتكلمون حَتَّى يُؤْذَنَ لَهم ويُطْلَبَ مِنهم، يَقُول الشَّيْخ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَئِنْ كَان فِي الخُرُوج عَلَى الحكَّام مِن الشَّر مَا بَرْهَنَ عَلَيْه تَواطُؤُ النصوصِ الشَّرعية مع الأخبارِ الواقعيةِ، كَمَا ظهر مِن صنيع حُدَثَاءِ الأَسْنَان فِي كل الأزمان، فشرٌّ مِنْهُ الخروجُ عَلَى العُلَمَاء بإهْدَارِ حقِّهم، وعَدَمِ اعْتمَادِ فَتَاوَاهُم إِلَّا مَا وَافَق أَهْوَاءَ الحَرَكِيِّين، واسْتِصْغَارِ شَأْنِهم فِي السياسة، ورَمْيِهم بعُلَمَاء بَيْتِ الوضوء، ومَا أَشْبَهَهَا مِن الأَلْقاب الَّتِي يَنْبِز بِهَا المُبْتَدِعَةُ صَاغِرًا عَن صاغِرِ العُلَمَاءَ السلفيين كابرًا بعد كابرٍ، وفِي هَذَا إهدارٌ للشريعة بتجريحِ حمَلَتِها وشُهُودِها، واللهُ المَوْعِدُ».(١)

وبعضُهم استأجَرَ قَلَمَه للأشرارِ والفُجَّارِ، فسَاهَمَ مَعهم فِي نَشْر الشائعات وما لَا يَثْبُتُ مِن أَخْبَارٍ؛ لِزَعْزَعَةِ مَا يَعيشُه النَّاسُ مِن أَمْنٍ واستقرارٍ، وتَسَبَّبَ كَذَلِك فِي التحريشِ بين المُسْلِمِينَ ونَشْر العَدَاوةِ والبَغْضاءِ بَدَلَ المَحبَّة والإخاءِ. يَقُول الإِمَام البَغوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التحريشُ: إيقاعُ الخصومةِ والخشونةِ بينهم، أيْ بين النَّاسِ».(٢)

(١) مَدَارِك النَّظر للشَّيْخ عَبْد المَلِك الرَّمَضَانِي (ص٢٣٢).

(٢) شَرح السُّنَّة (١٣/ ١٠٤).

فكَان جُنْدًا وعَوْنًا لإِبْلِيسَ اللَّعين الَّذِي مِن أهمِّ أهدافِه الاجتهادُ فِي التحريش بين المُسْلِمِينَ، فعن جَابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».(١)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: فِي إغْرَاءِ بعضِهم عَلَى بعض، والتحريضِ بالشرِّ بين النَّاس مِن قَتْلٍ وخُصُومةٍ، والمعنى: لكنَّ الشَّيْطَانَ غيرُ آيِسٍ مِن إغْراءِ المُؤْمِنِينَ وحَمْلِهم عَلَى الفِتَن، بَلْ لَهُ مَطْمعٌ فِي ذَلِك».(٢)

فعَلَى مَن تولَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ أنْ يَقُومَ بمَا يَجِب عَلَيْه تِجَاهَ هَؤُلَاءِ المُفْسِدِينَ والمُنْحَرِفين، فيَمْنَعَهم مِن نَشْر وبَثِّ هَذِهِ الانْحِرَافاتِ والمُنْكَراتِ فِي الجَرَائدِ والصُّحُفِ والمَجلَّات؛ لأَنَّهُ سيَقِفُ يَوْم القِيامَة أَمَامَ الكَبِيرِ المُتَعَالِ وسيَسْألُه عَن نَفْسِه وعن رَعِيَّتِه ومَا كَان مِنْهُم جَمِيعًا مِن أَعْمَال، فعن عَبْد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛**

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٨١٢).

(٢) مِرْقَاة المَفَاتِيح (١/ ٢٣٤).

فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ.» (١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هُوَ الحافِظ المُؤتَمَن المُلْتَزِم صَلاحَ مَا قَامَ عَلَيْه وَمَا هُوَ تَحْت نَظَرِه، ففِيهِ أَنَّ كلَّ مَن كَان تَحْتَ نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطالَب بالعَدْل فِيهِ، والقِيامِ بمَصَالِحِه فِي دِينِه ودُنياه ومُتَعلِّقاتِه».(٢)

وعَلَى المُسْلِم أَنْ يَحْذر أَشَدَّ الحَذَر مِن الثَّناء عَلَى المُبْطِلِين أَو أَنْ يَكُون عَوْنًا للمُفْسِدين؛ لِأَنَّ هَذَا الأَمْرَ قَد نَهَانَا عَنه ربُّ العَالَمِينَ، فقَال أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

يَقُول ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يَأمُر الله تعالى عبادَه المُؤْمِنِينَ بالمُعاوَنَة عَلَى فِعلِ الخيرات، وهو الْبِرُّ، وتَرْكِ المُنْكَرات، وَهُوَ التَّقْوَى، ويَنْهَاهم عنِ التناصُر عَلَى الباطِلِ».(٣)

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

(٣) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (٢/ ١٢).

ويقول الشَّيخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ وهو التجرُّؤ عَلَى المَعَاصِي الَّتِي يَأْثَم صاحبها، ويُحْرَج. ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ وهو التَّعدِّي عَلَى الخَلْق فِي دِمَائِهم وأموالِهِم وأعراضِهم، فكلُّ مَعصيَة وظُلمٍ يَجب عَلَى العَبْدِ كَفُّ نَفْسِه عَنْه، ثُمَّ إعانَةُ غيرِه عَلَى تَرْكِه».(١)

وعَلَى مَن وَقَعَ فِي هَذِهِ الآثامِ، وكَان سَبَبًا فِي إغواءِ وإضلالِ بَعْضِ الأَنَام، أنْ يُبادرَ فَوْرًا بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى العَزِيزِ العلَّامِ، وأنْ يجتهدَ فِي إصلاحِ مَا كَان قَبْل فَوَات الأَوَانِ، يَقُول ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُك مكتوبٌ وقولُك محسوبٌ، وأنت يَا هَذَا مطلوبٌ، ولك ذُنُوبٌ ومَا تتوبُ، وشمسُ الحياةِ قَد أَخَذَت فِي الغروبِ، فمَا أَقْسَى قلبَك مِن بين القلوبِ!»(٢)

وعَلَيْنَا أنْ نَعْلم فِي خِتَام هَذَا المَقَالِ أنْ جَمِيع مَا نقوله ونَنْشُره هُوَ مكتوبٌ عند الكبيرِ المتعالِ، فلْيجتهدْ كلٌّ منَّا أنْ يَكْتبَ ويَنْشرَ مَا يَكُون سَبَبًا فِي جَمْع الحَسَناتِ الَّتِي ستَنْفَعُه يَوْم القِيَامَةِ بإذْنِ ربِّ البرياتِ، ولْيحذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ يَكتبَ شَيْئًا يَعُودُ عَلَيْه بالندمِ

---

(١) تَفسِير السَّعْدِيِّ (ص٢١٨).

(٢) التَّبْصِرَة (٢/ ٢٧٢).

والحسراتِ يَوْم وُقُوفِه بينَ يَدَيْ ربِّ الأَرْضِ والسَّمواتِ، يَقُولُ الإِمَام ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن أَيْقَنَ أَنَّهُ مَسْؤولٌ عمَّا أَلَّفَ وعمَّا كَتَب لم يَعْمل الشَّيءَ وضِدَّه، ولمْ يَسْتفرِغْ مجهودَه فِي تَثْبيتِ الباطلِ عِنْدَه».(١)

ويَقُول الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَا مِنْ كاتِبٍ إِلَّا سَتَبْقَى ... كِتَابَتُه وَإِنْ فَنِيَتْ يَـدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَـرَاهُ(٢)

فاللّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا جَمِيعًا لكلِّ مَا فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعَلَنا مَفاتِيحَ للخيرِ مَغَاليقَ للشَّرِّ، وأنْ يَحْفظَ المُسْلِمِينَ فِي الأَقْطارِ والأَمْصارِ مِن كَيْدِ الفُجَّار ومَكْرِ الأشرارِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وهو العزيزُ الجبَّارُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص٥٩).

(٢) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٣١).

إماطة الأذى
عن الطريق

إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ بَذْلَ المَعْرُوف لِلْمُسْلِمِينَ والإحسانَ إِلَى الآخرين مِن الأَعْمَالِ الَّتِي يُحِبُّها ربُّ العَالَمِينَ؛ حَيْثُ قَال أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يَشْمل جَمِيع أنواعِ الإحسانِ؛ لأَنَّهُ لم يُقيِّدْه بشيءٍ دونَ شيءٍ، فيَدْخُلُ فِيهِ الإحسانُ بالمال...

ويَدْخلُ فِيهِ الإحسانُ بالجاهِ، بالشفاعاتِ ونحو ذَلِك، ويَدخلُ فِي ذَلِك الإحسانُ بالأمرِ بالمَعْرُوف، والنَّهْي عن المُنْكَر، وتعليمِ العِلْم النَّافِع، ويَدْخلُ فِي ذَلِك قَضَاءُ حوائجِ النَّاس، مِن تفريجِ كُرُباتِهم

وإزالةِ شِدَّاتِهم، وعِيَادَةِ مَرْضاهم، وتَشْييع جنائزِهم، وإرشاد ضالِّهم، وإعانةِ مَن يَعْمل عملًا، والعملِ لِمَن لَا يُحْسنُ العَمَل، ونحو ذَلِك مِمَّا هُوَ مِن الإحسان الَّذِي أَمَرَ الله به »[(١)]

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الإحسانُ إِلَى عِبَادِ الله: فأنْ تُعامِلَهم بما هُوَ أحسنُ؛ فِي الكلام، والأَفْعَال، والبَذْل، وكَفِّ الأذى، وغير ذَلِك، حَتَّى فِي القول؛ فإنك تُعامِلُهم بالأحسن».[(٢)]

ومِن صُورِ الإحسان الَّتِي يحبُّها العَزِيزُ العلَّامُ أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام هِي إماطةُ الأذى عن طريقِ أهل الإِسْلَام، يَقُول الإِمَام ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِمَاطةُ الأذى عن الطريقِ، وهو مَا يؤذِي فِيهَا كالشَّوْكِ والحَجَرِ والنَّجَاسَةِ ونحوِها».[(٣)]

لِأَنَّ هَذَا العَمَلَ الكَرِيمَ والفعلَ القويمَ أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَانُ هُوَ مِن شُعَبِ الإِيمَان، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ**

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩٠).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ١٣).

(٣) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (١/ ٣٤).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». (١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ««وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» أَيْ تَنْحِيَتُهُ وإبْعَادُه، والمُرَادُ بالأَذَى كُلُّ مَا يُؤْذِي مِن حَجَر أَو مَدَر قِطَع الطِّين اليَابِس أَو شَوْكٍ أَو غيره». (٢)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا الحديثُ مِن جُمْلَة النصوص الدَّالَّة عَلَى أَنَّ الإِيمَان اسم يَشْمل عقائِدَ القَلْبِ وأَعْمَالِه، وأَعْمَالِ الجوارِحِ، وأقوالِ اللسانِ، فكُلُّ مَا يُقَرِّب إِلَى الله، ومَا يحبه ويرضاه، مِن واجبٍ ومستحَبٍّ، فإنَّه داخلٌ فِي الإِيمَان.

وذَكَرَ هُنَا أعلَاه وأَدْنَاه، ومَا بين ذَلِك، وهو الحياء، ولعلَّ ذِكْرَ الحَيَاءِ لأَنَّهُ السببُ الأقوى للقيام بجَمِيع شُعَبِ الإِيمَان، فإنَّ مَن استَحْيَا مِن الله لِتَوَاتُر نِعَمِه، وسَوَابِغ كَرَمِه، وتَجَلِّيه عَلَيْه بأسمائه الحسنى والعَبْدُ مع هَذَا كَثِيرُ التقصيرِ مع هَذَا الربِّ الجليلِ الكبيرِ، يَظْلم نَفْسه ويَجْنِي عَلَيْها أَوْجَبَ لَهُ هَذَا الحياءُ التَّوَقِّيَ مِنَ الجرائِمِ،

(١) رَوَاه البُخَارِي (٩) ومسلم (٣٥) واللفظ له.

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ٦).

والقيامَ بالواجباتِ والمستحَبَّاتِ.

فأعَلَى هَذِهِ الشُعَبِ وأَصْلُها وأَسَاسُها قوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» صادقًا مِن قلبِه، بحَيْثُ يَعْلم ويُوقِن أَنَّهُ لَا يَسْتحقُّ هَذَا الوصفَ العظيمَ وهو الألوهِيةُ إِلَّا اللهُ وَحْدَه؛ فإنَّه هُوَ ربُّه الَّذِي يُربِّيه ويُرَبِّي جَمِيع العَالَمِينَ بفضلِه وإحسانِه، والكلُّ فقيرٌ وهو الغنيُّ، والكلُّ عاجزٌ وهو القويُّ، ثُمَّ يَقُوم فِي كلِّ أحوالِه بعُبُودِيَّتِه لرَبِّه، مُخْلصًا لَهُ الدين؛ فإنَّ جَمِيع شُعَبِ الإِيمَان فروعٌ وثمراتٌ لِهَذَا الأَصْلِ.

ودلَّ عَلَى أنَّ شُعَب الإِيمَان بعضُها يَرْجع إِلَى الإخلاص للمعبودِ الحقِّ، وبعضُها يَرْجع إِلَى الإحسانِ إِلَى الخَلْقِ.

ونَبَّهَ بإماطَةِ الأذى عَلَى جَمِيع أنواعِ الإحسانِ القَوْلِيِّ والفِعْلِيِّ؛ الإحسانِ الَّذِي فِيهِ وصولُ المنافع، والإحسانِ الَّذِي فِيهِ دَفْع المضارِّ عن الخَلْق».(١)

لِذَا كَان نبيُّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام يُوصي بِهِ أصحابَه الكرامَ، فعن أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ يَا نَبِيَّ الله، عَلِّمْنِي شَيْئًا

(١) بَهْجَة قُلُوبِ الأَبْرَار (ص١٧٩).

أَنْتَفِعُ بِهِ. قَالَ: «**اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**».(١)

يَقُول الْمُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي إِذَا رأيتَ فِي مَمَرِّهم مَا يُؤْذي كَشَوْكٍ وحَجَرٍ فَنَحِّهِ عَنْهم نَدْبًا؛ فإِنَّ ذَلِكَ مِن شُعَب الإِيمَان».(٢)

لِأَنَّ هَذَا العَمَلَ الجليل والفِعل النَّبِيل مِن الصَّدَقات الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا العَبْدُ إِلَى ربِّ البرياتِ، فعن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَكُون إِماطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيقِ صَدَقَةً؟ قيل: مَعْنَى الصَّدقة إِيصالُ النَّفْع إِلَى المُتَصَدَّقِ عَلَيْه».(٤)

ويَقُول الْمُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"وَتُمِيطُ"، بِضَمِّ أَوَّلِه، تُنَحِّي "الْأَذَى" أيْ مَا يُؤْذي المَارَّة مِن نَحْو شَوْكٍ وحَجَرٍ "عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" عَلَى المُسْلِمِينَ».(٥)

---

(١) رَوَاه مسلم (٢٦١٨).

(٢) التَيْسِير بِشَرْحِ الجَامِع الصَّغِير (١/ ١٧٠).

(٣) رَوَاه البُخَارِي (٢٨٢٧) ومسلم (١٠٠٩) واللفظ له.

(٤) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٥٩١).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٤).

وفَضْلُه كَبِيرٌ وخَيْرُه كَثِيرٌ، كَمَا أخبرنا بذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ القديرِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**».[(١)]

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يَتَنَعَّمُ فِي الجنَّة بمَلَاذِّها بِسَبَب قَطْعِه الشجرةَ».[(٢)]

ويَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ» أيْ يَتَنَعَّمُ بملاذِّها أَو يَمْشِي ويَتَبَخْتَرُ «فِي شَجَرَةٍ» أيْ لأَجْلِ شَجَرَةٍ «قَطَعَهَا من ظَهْرِ الطَّرِيقِ» احتِسَابًا لله».[(٣)]

وفِي الختام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام عَلَيْنَا جَمِيعًا أنْ نَحْرِص أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى مدِّ يَدِ العَوْن والإحسانِ لأهل الإِسْلَام بالقَوْل والفِعل وعَلَى حسب الطاقة والإمكَان، ومِن ذَلِك إزالةُ الأذى عن الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ مِن شُعَب الإِيمَان والذي سيَنْفعُنا يَوْمَ القِيَامَةِ بإذْنِ العَزِيزِ

---

(١) رَوَاه مسلم (١٩١٤).

(٢) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧١).

(٣) التَيْسِير بِشَرْحِ الجَامِع الصَّغِير (٢/ ٢٩٥)

الرَّحْمَنِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».**(١)

يَقُول العَيْنِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «فيه: فضيلةُ إماطةُ الأذى عن الطريقِ، وهِي أدنى شُعَبِ الإِيمَانِ، فإذَا كَان اللهُ عز وجل يَشْكر عبدَه ويَغْفر لَهُ عَلَى إزالة غُصنِ شَوْكٍ مِن الطريقِ، فَلَا يَدْري مَا لَهُ من الفضلِ والثَّوَابِ إِذَا فَعَل مَا فوق ذَلِك».(٢)

وعَلَيْنَا أنْ نَحْذر كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن أنْ نَرْتكبَ أيَّ فِعل مُشِين فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى الآخرين، ومِن ذَلِك إلقاءُ مَا يُؤذي فِي طريقِ المُسْلِمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «طَرْحُ الشوكِ فِي الطريق والحجارةِ والكُنَاسةِ والمِياهِ المُفْسِدةِ للطُّرُق وكلِّ مَا يؤذي النَّاسَ؛ تُخشى العُقُوبَة عَلَيْه فِي الدُّنْيا والآخرة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وإِذَا كَان هَذَا مِن المَحَاسن

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٢٣٤٠) ومسلم (١٩١٤) واللفظ له.

(٢) عُمْدَة القَارِي (٥/ ١٧٢).

(٣) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (٦/ ٦٠٠).

ومِنَ الصَّدقات، فإنَّ وَضع الأذى فِي طريق المُسْلِمِينَ مِن مساوئ الأَعْمَال، فهؤُلَاءِ النَّاسُ الَّذِينَ يُلْقُون القُشُور فِي الأسواق، فِي مَمَرَّات النَّاس؛ لا شكَّ أنَّهم إِذَا آذَوْا المُسْلِمِينَ فإنَّهم مَأْزُورُونَ».(١)

ويَنْبَغِي أنْ نَعْلم كَذَلِك أنَّ بَذْل الإحسانِ لِلْمُسْلِمِينَ بشتَّى أنواعه هُوَ مِن أهمِّ الوَسَائِل الَّتِي تَجْلب المَحَبَّةَ والإخاءَ وتَدْفع الشَّحناءَ والبغضاءَ وغيرَ ذَلِك مِن الشُّرورِ بإذْنِ العَزِيزِ الغفورِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإحسانُ يُفْرح القلبَ، ويَشْرح الصدرَ، ويَجْلب النِّعَمَ، ويَدْفع النِّقَمَ، وتَركُه يُوجِبُ الضَّيْمَ والضِّيقَ، ويَمْنعُ وُصولَ النِّعَمِ إِلَيْه؛ فالجبْنُ تَرْكُ الإحسانِ بالبَدَنِ، والبخلُ تَرْكُ الإحسانِ بالمالِ».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا لكلِّ ما فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعَلَنا ممَّن يَحْرِصُ عَلَى كلِّ خيرٍ، وأنْ يُجَنِّبَنا وإيَّاكم كلَّ ما فِيهِ ضَرَرٌ وشرٌّ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والعزيزُ المقتدرُ.

وَصلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ١٥٨).

(٢) طريق الهجرتين (ص٤١٩).

قصات شعر بعض
الشباب اليوم!

قَصَّاتُ شَعْرِ بَعْضِ الشَّبَابِ اليَوْمَ!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يُحْزِن كلَّ مُؤْمنٍ غَيُورٍ عَلَى دينه، حَرِيصٍ عَلَى شبابِ أُمَّته، مَا يَرَاه اليَوْمَ مِن تَلَبُّس بَعْض شَبَاب المُسْلِمِينَ بِبَعض العَادَات السِّيئةِ والأَعْمَالِ القَبِيحَةِ، والَّتِي قَلَّدُوا فِيهَا أعداءَ الدِّين مِن الكُفَّار والمُفْسِدِينَ، وَهَذَا كله ما هُوَ إِلَّا مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَنا بِهِ سَيِّدُ المُرْسَلِين وخَاتَم النَّبِيِّين عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَو دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**». **قُلْنَا: يَا رَسُول اللهِ، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!»**[1]

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٣٢٦٩) ومسلم (٢٦٦٩) واللفظ له.

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمُرادُ بالشِّبر والذِّرَاع وجُحرِ الضَّبِّ التَّمثيلُ بشِدَّةِ المُوَافَقَة لَهم، والمُرادُ المُوافَقَة فِي المَعَاصِي والمُخالَفَات لَا فِي الكُفْر، وفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظاهِرة لرَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَدْ وَقع مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».(١)

ويَقُول الحَافِظ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والَّذِي يَظْهر أَنَّ التَّخْصيصَ إِنَّمَا وَقعَ لِجُحْرِ الضبِّ لشِدَّةِ ضِيقِه ورَدَاءته، ومع ذَلِك فإِنَّهم لِاقْتِفَائِهم آثارَهم واتِّباعِهم طرائِقَهم لَوْ دَخلُوا فِي مِثْل هَذَا الضِّيقِ الرَّدِيء لَتَبِعُوهم».(٢)

ومِنَ الأَفْعَال الذَّمِيمة الَّتِي قلَّد فِيهَا هَؤُلَاءِ الشَّبَابُ أعداءَ الإِسْلَامِ، والَّتِي أصبحَت اليَوْمَ مِن المظاهرِ السَّلبيةِ الَّتِي فَشَت بشكلٍ كَبيرٍ فِي مُجْتَمعاتِنا الإِسْلَامِيَّةِ؛ مَا يفعله بَعْضُ أبناء أُمَّتِنا فِي شَعْر رؤُوسهم، حَيْثُ أصبحوا يَظهرون عَلَيْنَا كل يَوْم بقَصَّاتٍ غرِيبة، وتَسْرِيحاتٍ عجيبة، حتى أصبحَت رؤُوس بعضهم كأَنَّهَا لوحاتُ رَسْمٍ، فكلَّ يَوْم يُغيِّرون شَكْلَها ويُزيِّنونها بمَا يَرَوْنه عَلَى بَعْض الفنانين، أو اللاعبين،

---

(١) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ٢٢٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٨).

أو المُمَثِّلين، وغيرِهم مِن المُفْسِدِينَ.

بل وَصَلَ الأَمْر بِبَعض هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ بتَقْليدِ هَؤُلَاءِ المُنْحرفين فيمَا يفعلونه فِي لِحَاهم، مِن إطالتها وإطالة الشَّوارب مَعَها، مَعَ تحديدِها، مَنْظرٌ يَنْدَى لَهُ الجَبِينُ ويُحْزِن كلَّ مَن يحبُّ الخيرَ لِلْمُسْلِمِينَ، ويَفْرَح بِهِ جِدًّا أعداءُ الدِّين.

أَلَا يَعْلم هَؤُلَاءِ المُغْترِّين بهَؤُلَاءِ المُفْسِدِينَ أَنَّ مَا يفعلونه فِي شُعُورِهم لَا يَخْلو مِن أَنْ يَكُون مِن القَزَع المُحرَّم الَّذِي نَهَانَا عَنْه نبيُّنا الكَرِيم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَهَى عَنِ الْقَزَعِ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقَزَعُ أربعة أنواع:

أحدُها: أنْ يَحْلق مِن رأسه مَوَاضِع مِن هَا هُنَا وهَا هُنَا مأخوذٌ مِن تَقَزُّعِ السَّحابِ، وهو تَقَطُّعُه.

الثاني: أَنْ يَحْلق وَسَطَه ويَتْرك جوانِبَه كمَا يَفْعله شَمَامِسة النَّصارى.

---

(١) رَوَاه البُخَارِي (٥٩٢٠) ومسلم (٢١٢٠) واللفظ له.

الثالث: أنْ يَحْلق جوانِبَه ويَتْرك وَسَطه كمَا يَفْعله كَثِيرٌ مِن الأَوْبَاش والسَّفل.

الرابع: أنْ يَحْلق مُقدِّمَه ويَتْرك مُؤخِّرَه، وَهَذَا كلُّه مِن القَزَع، والله أعلم».(١)

ويَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خِلافَ أنَّه إِذَا حُلِق مِن الرَّأس مواضعُ، وأُبْقِيَتْ مَواضعُ أَنَّهُ القَزَع المَنْهِيُّ عَنْه، لِمَا عُرِف مِن اللُّغة كمَا نَقَلْنَاه، ولتفسير نافع لَهُ بذَلِك».(٢)

ألَمْ يَبْلغ هَؤُلَاءِ الشَّبَاب تَحْذِيرُ خيرِ المُرْسَلِين وسيِّدِ وَلَدِ آدمَ أَجْمَعِينَ مِن التَّشبُّهِ بأعداءِ الدين؟! فعن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**».(٣)

يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا الحديث أقلُّ أحوالِه أنْ يَقْتَضِي تحريم التَّشَبُّهِ بِهِم، وإنْ كَان ظاهرُه يَقْتضي كُفْر المُتَشَبِّه

---

(١) تحفة المودود (ص١٠٠).

(٢) المفهم (٥/ ٤٤١).

(٣) رَوَاه أَبُو دَاوُد (٣٨٧٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بِهم كمَا فِي قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١]».(١)

ويقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففِيهِ دَلالَةٌ عَلَى النَّهْي الشديدِ والتهديدِ والوعيدِ عَلَى التشبُّهِ بالكفارِ فِي أقوالِهم وأَفْعَالِهم ولِباسِهم وأعيادِهم وعباداتِهم، وغير ذَلِك من أمورهم الَّتِي لم تُشَرَّع لَنا وَلَا نُقَرَرْ عَلَيْها».(٢)

أَلَا يَدْري هَؤُلَاءِ أَيْضًا أنَّ مُشابَهَة الكفَّارَ فِي الظاهر تُؤدِّي إِلَى مُوافَقَتِهم فِي الباطنِ وتُورِثُ مَحَبَّتَهم والتَّعلُّقَ بهم؟! يَقُول شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُشابَهَة فِي الظاهر تُورِثُ نَوْعَ مودَّةٍ ومَحبَّةٍ ومُوالاةٍ فِي الباطن، كمَا أنَّ المَحَبَّة فِي الباطنِ تُورِثُ المُشابَهَة فِي الظاهر، وَهَذَا أَمْرٌ يَشْهد بِهِ الحِسُّ والتجربةُ».(٣)

ويقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشابَهَة فِي الزِّي الظاهر تَدْعو إِلَى الموافقة فِي الهَدْي الباطن كمَا دَلَّ عَلَيْه الشَّرْعُ والعقلُ والحسُّ؛ وَلِهَذَا جاءت الشريعة بالمَنْع مِن التَّشبُّه بالكفارِ والحيواناتِ

---

(١) اقتِضاءُ الصِّراطِ المُستَقِيم (١/ ٢٧٠).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ١٤٩).

(٣) اقْتِضَاء الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم (١/ ٥٤٩).

والشياطينِ والنِّسَاءِ والأعرابِ».(١)

أين دَوْرُ الآباء؟! وأين مَن لَهُ سُلْطةٌ عَلَى هَؤُلَاءِ من الأَوْلِيَاء؟! عمَّا نراه ونُشَاهدُه مِن انحراف هَؤُلَاءِ الشَّبَاب عن الطريقِ المستقيمِ، وارتِبَاطِهم بتقاليدِ المُفْسِدِينَ وعادات المُنْحرِفين، ومَيْلِ أعداء الدِّين بِهم عن كلِّ فَضِيلة، ورَبْطِهم بِكُلِّ رذيلة؛ أفَلَا يَعْلمُ مَن لَهُ سلطة عَلَى هَؤُلَاءِ الشَّبَاب أنَّهم سيُسْألون عَنْهم يَوْم وقوفِهم أَمَامَ العَزِيزِ الوهَّابِ؟! فعن عَبْد الله بْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**».(٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هُوَ الحَافِظ المُؤْتَمَن المُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْه وما هُوَ تَحْت نَظَرِه، فَفِيهِ أنَّ كلَّ مَن كَان تَحْتَ نَظَرِه شَيْء فَهُوَ مُطَالَب بالعدل فيه، والقيام بِمصَالِحِه فِي دِينِه ودُنْيَاه ومُتَعَلِّقَاته».(٣)

---

(١) الفروسية (ص١٢٢).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٣) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٢/ ٢١٣).

فعَلَيْهم الحرص عَلَى رَبْط شَبَابِ المُسْلِمِينَ بمَا ينفعهم فِي الدَّارين؛ مِن التمسُّكِ بتعاليمِ الدِّين، واتِّباعِ هَدْيِ خيرِ المُرْسَلِين، واقْتِفَاءِ أَثَرِ الصَّالِحِين، وتَحْذِيرِهم مِن خَطَر الكُفَّار والمنافقين ومَكْر المنحرفين المُفْسِدِينَ، وحَثِّهم أَيْضًا عَلَى الحرصِ عَلَى مُصاحَبة الصَّالِحِين؛ لِأَنَّ مصاحبَتَهم تُورِث الفَلَاح والنَّجَاح، ومُخَالَطَةَ الأشرارِ تُورِثُ الحِرْمَان والخُسْرَان، فعن أبي موسى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ**[١] **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**».[٢]

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ تَمْثِيلُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليسَ الصالحَ بحامِلِ المِسْكِ والجَلِيسَ السُّوءَ بنَافِخِ الكِيرِ، وفِيهِ فَضِيلةُ مُجَالَسَة الصَّالِحِين وأهلِ الخيرِ والمُرُوءَةِ ومكارِمِ الأَخْلَاقِ والوَرَعِ والعِلْمِ والأدبِ، والنَّهْي عن مُجَالَسَة أهلِ الشرِّ وأهلِ البِدَعِ،

---

(١) يُعْطِيَكَ. الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٨).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

ومَنْ يَغتَابُ النَّاسَ، أَو يَكْثُر فُجْرُه وبطالَتُه ونحو ذَلِك مِن الأنواعِ المذمومةِ».(١)

ولْيَعْلمْ كلُّ مَن قَصَّر فِي تربيةِ وتَوْجيهِ الأَبْنَاء مِن الآباء أنَّ عوائدَ ذَلِك تَعُودُ كذَلِك إِلَيْه وتَرْجعُ سَلْبًا عَلَيْه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أَفْسَدَ الأبناءَ مِثْلُ تَغَفُّلِ الآباءِ وإهمالِهِم واسْتِسْهَالِهِم شَرَرَ النارِ بينَ الثيابِ، فأَكْثَرُ الآباءِ يَعْتمدون مع أولادِهم أَعْظَمَ مَا يَعْتمدُ العَدُوُّ الشديدُ العداوةَ مَع عَدُوِّه، وهُم لَا يَشْعرون، فكَمْ مِن والدٍ حَرَم وَلَده خَيْرَ الدُّنْيا والآخرة وعَرَّضه لِهَلاكِ الدُّنْيا والآخرة، وكلُّ هَذَا عواقبُ تفريطِ الآباء فِي حقوقِ الله، وإضاعتِهم لها وإعراضِهم عمَّا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهم مِن العِلم النَّافِع والعَمَل الصالح حَرَمَهم الانتفاعَ بأولادِهم وحَرَم الأولادَ خَيْرَهم ونَفْعَهم لَهُم، هُوَ من عُقُوبَة الآباء».(٢)

ونَذْكُر كَذَلِك المَرْأَةَ المُسْلِمَة فِي هَذَا المَقَام أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّ عَلَيْها أنْ تَحْرص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى التمسُّكِ بتعاليم دِينِها، وتُحافِظ

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٦/ ١٧٨).

(٢) تحفة المَوْدُود (ص٢٤٢).

أَشَدَّ المُحافَظَة عَلَى عِفَّتِها وحِجَابِها، وأَلَّا تَغْتَرَّ بالشعارات الكاذبة الَّتِي ظاهرُها الخيرُ وهِي تَحْملُ فِي طَيَّاتِها الشرَّ، ولْتحذرْ كَذَلِك أَشَدَّ الحَذَرِ مِن تقليدِ الكافراتِ أَو الفَاجِراتِ عند قصِّها أَو تسريحها لِشَعْرِها؛ فإنَّ هَذَا مِن الخُذْلانِ والحِرْمَان والخُسْرَان، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَجُوز للمرأةِ أنْ تُصَفِّفَ شَعْرها عَلَى صفة شَعْر الكافراتِ أَو الفاجراتِ؛ لِأَنَّ مَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ منهم.

وبِهَذِهِ المناسَبة فإنِّي أَنْصح نِسَاءنا المُسْلماتِ المُؤْمِنَات وأَنْصحُ أَوْلِيَاءَ أُمُورِهِنَّ بالبُعد عن هَذِهِ المجلات وعن هَذِهِ التسريحات الَّتِي تَدْعو للتَّلقِّي عنِ الكُفَّار ومَحبَّة مَا هم عَلَيْه مِن الأَلْبِسَة الخَلِيعة الَّتِي لَا تَمُتُّ إِلَى الحَيَاء وَلَا الشريعة الإِسْلَامِيَّة بِصِلَةٍ، أَو المَوْضات الَّتِي يَكُون عَلَيْها تَسْريح الشَّعْر، ولْيَكُنِ المُسْلِمون مُتَمَيِّزين عن غيرهم لِمَا تَقْتَضِيه الشَّرِيعةُ الإِسْلَامِيَّة، وبالطَابِعِ الإِسْلَامي، حَتَّى يَعُود للأُمَّة الإِسْلَامِيَّة عِزَّتُها وكرامتُها ومَجْدُها ومَا ذَلِك عَلَى الله بعزيزٍ».(١)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَحْفظ شبابَ المُسْلِمِينَ مِن مَكْر الكُفَّار والمُنَافقين، ومِن كلِّ المُفْسِدِينَ والكَائدِين،

---

(١) مجموع فتَاوَى الشَّيْخ (١٢/ ٢٨٢).

وأنْ يَرُدَّهم إِلَى التمسُّك بتعاليم الدِّين، وأنْ يُوفِّق الآباء عَلَى تربية الأبناء تربيةً صالحةً يَعُود نَفْعها عَلَيْهم جَمِيعًا فِي الدَّارين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

نعمة الألفة بين المسلمين

نِعْمة الأُلْفة بَين المُسْلِمين

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن نِعم العَزِيزِ العلَّامِ عَلَى أهل الإِسْلَام أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام أنْ جَعَل بَيْنهم الأُلْفَةَ والوِئَام بَعْد أنْ كَانت العَدَاوةُ بينهم والخِصامُ، يَقُول القُدُّوس السَّلَام: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٠٣].

يَقُول الشَّيخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ يَقْتل بعضُكم بعضًا، ويأخُذ بعضُكم مالَ بعضٍ، حَتَّى إنَّ القبيلة يُعادِي بعضُهم بعضًا، وأهلُ البلدِ الواحدِ يَقَعُ بينهم التَّعَادي والاقتتالُ، وكَانوا فِي شرٍّ عظيمٍ، وهَذِه حالةُ العربِ قَبْل بَعْثَة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا بَعَثه اللهُ وآمَنوا بِهِ واجتمعوا عَلَى الإِسْلَام

وتآلَفت قلوبُهم عَلَى الإيمان، كانوا كالشَّخصِ الواحدِ، مِن تآلُفِ قلوبِهم ومُوالاةِ بعضِهم لبعضٍ، وَلِهَذا قال: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾». (١)

نِعمةٌ عظيمةٌ وعَطِيَّةٌ كريمةٌ تُدخِل بمُشَاهَدَتها والشعورِ بِهَا الفَرَحَ والسُّرُورَ عَلَى قُلوبِ المُوَحِّدِين المُخْلِصين؛ لأَنَّهَا مِن أَسْبَاب اجتماعِ واعتصامِ المُسْلِمِينَ، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والألفة سببٌ للاعتصام بالله وبِحَبْلِه، وبِهِ يَحْصل الإجماعُ بين المُسْلِمِينَ، وبِضِدِّه تَحْصُل النَّفْرةُ بينهم». (٢)

وهِي تَسُوءُ وتَغِيظُ أعداءَ الدِّينِ مِن الكُفَّار والمنافقين وسائرِ المُفْسِدِينَ، الَّذِينَ نَرَاهم يَبْذُلون كلَّ مَا فِي وُسْعِهم فِي نَشْرِ التَّفرقَة والاِخْتِلافِ بين المُسْلِمِينَ؛ ولذَلِك نَرَاهم يَدْعَمون وبِقُوَّةٍ كلَّ الطُّرُقِ الَّتِي تُعِين عَلَى تَحْقِيق أهدافِهم القَبِيحَةِ ومُخَطَّطَاتهم الخبيثة.

لِذَا فعَلَى المُسْلِم أنْ يَحْذرَ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن مَكْرِ وكَيْدِ هَؤُلَاءِ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (١٤٢).

(٢) فَيْض القَدِير (٦/ ٤٣٤).

الأعداءِ، الَّذِينَ يَنْشرون بوَسَائِلهم بين أبناءِ أُمَّتِنا العَدَاوة والبَغْضاء، ويَجْتهدون فِي قَطْع مَا يُوجد بين المُسْلِمِينَ مِن محَبَّةٍ وإخاءٍ.

وعَلَيْنا جَمِيعًا أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات أنْ نَجْتهد فِي المُحَافظة عَلَى نِعْمة الأُلْفة الَّتِي مَنَّ بِهَا عَلَيْنَا ربُّ البرياتِ، وذَلِك بِبَذْل كلِّ مَا يُعِينُنا عَلَى ذَلِك مِن أَسْبَابٍ، ومِن ذَلِك، أَيُّها الأَحْبَابُ:

أولًا: شُكْرُ العَزِيزِ الكَرِيمِ بالقَلْبِ وبالقَوْلِ وبالفِعْلِ عَلَى هَذِهِ المِنْحةِ العظيمةِ والنِّعمةِ الجليلةِ؛ لِأَنَّ بالشكر والإِيمَان تَدُوم وتَكْثُر النِّعم، وبالجُحُود والعِصْيان تَحلُّ وتَزْداد النِّقَم، قَال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهِيم:٧].

يَقُول الشَّيْخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبِهَذِهِ المناسَبَة إنَّ عَلَى كلِّ مُسْلِم، أفرادًا وجماعات، أنْ يُقَابِلوا نِعَم الله بالشكر، وأنْ يَشْكروها بالطَّاعَة والعبادة لله، وأنْ يَحْذَروا كُفْرانَ النِّعَم».(١)

ثانيًا: التَّمسُّك بتعاليمِ دينِ الإِسْلَامِ والحِرْص عَلَى اتِّباع هَدْي

(١) أضواء البيان (٩/ ١١٢).

وسُنَّة خيرِ الأَنَامِ عَلَيْه الصَّلَاة والسلام، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ فِي اجتماعِ المُسْلِمِينَ عَلَى دينهم، وائتلافِ قلوبِهم يَصْلح دِينُهم وتَصْلح دُنياهم، وبالاجتماع يَتمَكَّنون مِن كلِّ أَمْر مِن الأمور، ويَحْصُل لهم مِن المَصَالح الَّتِي تَتوقَّف عَلَى الائتلاف ما لَا يُمْكن عَدُّها، مِن التَّعَاوُن عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى، كمَا أَنَّ بالافتراق والتعادي يَخْتَلُّ نظامهم، وتَنْقطع روابطهم، ويَصِير كلُّ واحدٍ يَعْمل ويَسْعى فِي شَهْوة نَفْسِه، وَلَوْ أَدَّى إِلَى الضَّرَرِ العامِّ».(١)

ثالثًا: حِرْصُ كلِّ مُسْلِم عَلَى التَّحلِّي بالأَخْلَاقِ الفاضلةِ والصِّفَاتِ الحميدةِ، الَّتِي مِن ثمراتِها تَحْقِيقُ الأُلْفة ونَشْرُ المَحبَّةِ بين المُسْلِمِينَ، يَقُول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلمْ أَنَّ الأُلْفةَ ثَمَرةُ حُسْنِ الخُلُق، والتَّفرقُ ثمرةُ سُوءِ الخُلُق، فحُسن الخُلُق يُوجِبُ التَّحَابَّ والتآلُفَ والتَّوَافُقَ، وسُوءُ الخُلُق يُثمِر التَّبَاغُضَ والتحاسُدَ والتدابُرَ، ومهمَا كَان المُثْمر محمودًا، كَانت الثَّمرةُ محمودةً، وحُسْن الخلق لَا تَخفى فِي الدين فضيلتُه».(٢)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (١٤٢).

(٢) إِحْيَاءُ عُلُوم الدِّين (٢/ ١٥٧).

لِذَا فعلَيْه أنْ يَكُون متواضعًا مع إخْوَانه، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواضعُ يُكسب السَّلامة ويُورِثُ الأُلْفةَ ويَرْفع الحِقد ويُذْهب الصَّدَّ، وثَمرةُ التواضعِ المَحبَّةُ».(١)

وعَلَيْه أنْ يَكُون ليِّنًا فِي قولِه وفعلِه عند معاملتِه ومخالطتِه لهم، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانِه، أنْ يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجب المودَّةَ والأُلْفَة بين النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرعِ؛ وَلِهَذَا نَهى النَّبيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجِب العداوةَ والبغضاءَ».(٢)

حريصًا كَذَلِك عَلَى كلِّ وَسِيلَةٍ تُقرِّبه مِن إخْوَانه وتُعِينُه عَلَى تَقْوية أَوَاصِر الأُخُوَّة الدينيةِ بَيْنه وبَيْنهم، ومِن ذَلِك صِلَتُه وتَقْديمُ الهَدَايا لَهم، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَهَادُوا تَحابُوا**».(٣)

---

(١) رَوْضَة العُقَلاء (ص٦١).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحين (٢/ ٥٤٤).

(٣) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٥٩٤)، وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما فِي صحيح الجامع (٥٣٥١).

يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهَدِيَّة مَنْدوبٌ إِلَيْها، وهِي مِمَّا تُورِث المودةَ وتُذْهب العداوةَ».(١)

ويَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَدبَ إِلَى دَوَام المُهَادَاة لِتَزَايُدِ المَحبَّة بين المُؤْمِنِينَ، فإنَّ الشيءَ مَتَى لمْ يَزِدْ دَخَلَه النُّقْصَان عَلَى مرِّ الزمان، ويُحْتَمل تَزْدَادوا حُبًّا عند الله لِمَحبَّة بعضِكم لبعض».(٢)

فالهَدِيَّة وَسِيلَة حَميدة تَزِيد مِن أواصِر التَّرابطِ والإخاءِ بَيْن الأهل والأصحاب والأقرباء وتُساهِم فِي تَصْفية النُّفوس مِن الحِقْد والشَّحناء والبغضاء، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنِّي لأَسْتَحِبُّ لِلنَّاسِ بَعْثَ الهَدَايا إِلَى الإِخْوَان بينهم؛ إذ الهَدِيَّة تُورِث المَحبَّة وتُذْهِب الضغينة».(٣)

وعَلَيْه أَيْضًا أنْ يَبْتعدَ كلَّ البُعْدِ عَن كلِّ مَا يُساهِم فِي نَشْر التَّفْرقة بَيْن المُسْلِمِينَ، ويَتَسبَّب فِي قَطْع أواصِر الأُخُوَّة الإِيمَانية بينهم، ومن ذَلِك الحقدُ والحسدُ وغير ذَلِك مِن الآفات الَّتِي تُورث العداوات وتَنْتُج

---

(١) تفسير القُرْطُبي (١٣/ ١٣٢).

(٢) فَيْض القَدِير (٣/ ٢٧١).

(٣) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص٢٤٢).

عَنْها الخصومات، يَقُول الإمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخصومةُ تُوغِرُ الصدورَ، وتُهَيِّج الغضبَ، وإِذَا هَاجَ الغَضبُ حَصَل الحقدُ بينهما، حَتَّى يَفْرحَ كلُّ واحد بمَسَاءَةِ الآخَرِ، ويَحْزَنُ بمَسَرَّتِه، ويُطْلِقَ اللِّسَان فِي عِرْضِه».(١)

وعَلَيْنَا أنْ نَعْلم أَيُّها الأَحِبَّة الكِرَام أنَّ المؤمن الحَقِيقِي هو الَّذِي يَأْلَفُ إِخْوَانَه ويَأْلَفُونَه كمَا أَخْبَرَنا بذَلِك خيرُ الأَنَامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسلام، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ**».(٢)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ) لِحُسْن أَخْلَاقِه وسُهُولةِ طِباعِه ولِينِ جانِبِه فالمُؤمنُ يَأْلفُ الخيرَ وأَهْلَه، ويألفونه بمناسبة الإِيمَان (وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ) لِضَعْفِ إِيمَانِه وعُسْر أَخْلَاقِه وسُوءِ طِبَاعِه».(٣)

---

(١) الأذكار (ص٢٩٦).

(٢) رَوَاه الطَّبَرَانِي فِي الأَوْسَط (٦/ ٥٨)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٤٢٦).

(٣) فَيْض القَدِير (٦/ ٤٣٤).

فهَذِه أَيُّها الأَفَاضِلُ أهمُّ الطُّرُق والوَسَائِل الَّتِي تُساهِمُ بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ فِي المحافَظَة عَلَى نِعْمَة الأُلْفَة الَّتِي منَّ بِهَا عَلَيْنَا أرحمُ الرَّاحِمِينَ، فعَلَيْنا جَمِيعًا أنْ نَحْرِص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى تَحْقِيقها؛ لِأَنَّ بِسَبَبها تَجْتمع الكَلِمَة وتَتَوحَّد الصُّفُوف، ويَتَقوَّى أهلُ الإِسْلَام أَمَامَ مُؤامَرَات أعدائِهم اللِّئَامِ بإذْنِ العَزِيزِ العلَّامِ.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَجْمَع عَلَى الحقِّ فِي كلِّ مكَان كلمةَ المُسْلِمِينَ، وأنْ يُوحِّد صُفُوفَهم، وأنْ يُدِيمَ بينهم الأُلْفَةَ ويَنْشُرَ فِي أَوْسَاطِهم المَحبَّة، وأنْ يَرُدَّ كَيْدَ الكائدين ومَكْرَ الماكِرِين، ويَفْضَح مُخَطَّطَاتِ أعداءِ الدِّين، فهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِينَ

شكر الناس

شُكر النَّاس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَف المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى العَبْد أنْ يَعْلمه أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام أنَّ تقديم الشُّكر لِمَن أعانَه وأَحْسَن إِلَيْه مِن الأَنَام هو كَذَلِك مِن شُكْر العَزِيزِ العَلَّامِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: أنَّ كُلَّ مَن كَان مِن طَبْعه وعَادَتِه كُفْرانُ نِعْمة النَّاسِ، وتَرْك الشُّكر لهم، كَان مِن عادتِه كُفْرُ نِعمةِ الله، وتَرْكُ الشُّكرِ له.

---

(١) رَوَاه التِّرْمِذِي (١٩٥٤)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقيل معناه: أنَّ الله لَا يَقْبل شُكْر العَبْد عَلَى إحسانِه إِلَيْه، إِذَا كَان العَبْد لَا يَشْكر إحسانَ النَّاس، ويَكْفر مَعْرُوفَهم، لاتصال أحدِ الأمرين بالآخر».(١)

لِذَا أَوْصَانا بِهِ الكَرِيمُ المَنَّانُ؛ حَيْثُ قَال العَزِيزُ الرَّحْمَنُ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مُعامَلَة النَّاس فيمَا بينهم عَلَى دَرَجتين:

إمَّا عَدْل وإنصافٌ واجبٌ، وهو: أَخْذ الواجب، وإعْطاء الواجب.

وإمَّا فَضْل وإحسانٌ، وهو إعطاءُ مَا لَيْس بواجبٍ والتسامحُ فِي الحقوق، والغضُّ مِمَّا فِي النَّفس، فَلَا يَنْبَغِي للإِنْسَان أنْ يَنْسى هَذِهِ الدرجة، ولو فِي بَعْض الأوقات، وخصوصًا لِمَن بَيْنك وبَيْنه معامَلَةٌ أَو مخالَطةٌ، فإنَّ الله مُجازِي المحسنين بالفضل والكرم، وَلِهَذَا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾».(٢)

---

(١) جَامِع الْأُصُول (٢/ ٥٦٠).

(٢) تَفْسير السَّعْدِي (ص١٠٥).

لِذَا فإن المُسْلِم الحَقِيقِي هو الَّذِي يُقابِل الإحسانَ بالإحسانِ والتفضُّلَ بالشُّكرِ والعِرْفانِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى المَرْء أنْ يَشْكر النِّعمة ويَحْمد المَعْرُوف عَلَى حَسَب وُسْعِه وطاقتِه، إنْ قَدَرَ فبِالضِّعْفِ وإلَّا فبِالمِثْل، وإلَّا فبِالمَعْرِفة بوُقُوع النِّعمة عنده مع بَذْل الجَزاء لَهُ بالشُّكر وقولِه «جَزَاكَ الله خَيْرًا»، فمَن قَال لَهُ ذَلِك عند العَدَم فكأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاء».(١)

وهو الَّذِي يَرُدُّ بالفعلِ والقولِ جميلَ وإحسانَ الآخرين؛ عملًا بوَصِيَّة خيرِ المُرْسَلِين، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».**(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمكافأة تَكُون بحَسَب الحال؛ مِن النَّاس مَن تَكُون مكافأتُه أنْ تُعْطيَه مِثل مَا أَعْطاك أَو أكثرَ، ومِن النَّاس مَن تَكُون مكافأتُه أنْ تَدْعو لَهُ وَلَا يَرْضى أنْ تُكافِئَه بمالٍ، فإنَّ الإِنْسَانَ الكبيرَ الَّذِي عنده أموال كَثِيرة وله جاهٌ

---

(١) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص٢٦٦).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُد (١٦٧٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشرفٌ فِي قومه، إِذَا أَهْدَى إِلَيْكَ شَيْئًا فأَعْطَيْته مِثل مَا أَهْدَى إِلَيْك، رَأَى فِي ذَلِك قُصورًا فِي حقِّه، لكنَّ مِثل هَذَا ادعُ اللهَ لَهُ، «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، ومِن ذَلِك أنْ تقولَ لَهُ جَزَاك اللهُ خيرًا، إِذَا أعطاك شَيْئًا أَو نَفَعَك بشيء، فقُلْ لَهُ جَزَاك اللهُ خيرًا، فقدْ أَبْلغتَ فِي الثَّناء؛ وذَلِك لِأَنَّ الله تعالى إِذَا جَزَاه خيرًا، كَان ذَلِك سعادةً لَهُ فِي الدُّنْيا والآخرة»(١).

ولا يَنْسى المُسْلِمُ الحَقِيقِيُّ جَمِيعَ مَن تَفضَّلَ عَلَيْه بأي شَيْء مِن أنواع الخير بالقولِ أَو الفعلِ، أَو حذَّرَه مِن الوقوعِ فِي الشرِّ وما فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْه، وعَلَى رأس هَؤُلَاءِ نبيُّنا الكَريم عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، الَّذِي أدَّى الأمانة ونَصح الأُمَّة وبَيَّن لِلنَّاسِ طَرِيق الحقِّ مِن طُرُق الضَّلالة، وأَخْرَجَنا بِهِ العَزِيزُ الغفورُ مِن الظلماتِ إِلَى النورِ، ثُمَّ صحابتُه الكِرَام الَّذِينَ أَوْصَلُوا لَنَا هَدْيَ خيرِ الأَنَامِ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام، وبَذَلوا الغاليَ والنَّفِيسَ مِن أَجْل نَشْرِ وحِفْظِ الإِسْلَامِ، ثُمَّ مَن جاء بَعْدهم مِن سَلَفِنا الصَّالِحِين وعلمائنا الربانيين، الَّذِينَ كَانوا سببًا فِي إرشادنا إِلَى الحقِّ، وعَوْنًا لَنَا عَلَى اتِّبَاع سُنَّة خيرِ الخلق، ومِصْباحًا

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٤٩).

نَسْتضيءُ بِهِ فِي الظلماتِ، وسدًّا مَنِيعًا عن الشُّبُهاتِ والشَّهوات بَعْد حِفْظ ربِّ البريات، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأَنَّهُ سُبْحَانَه جَعَل لِلنِّعَم وسائِطَ مِنْهُم وأَوْجَبَ شُكْرَ مَن جعَلَه سببًا لإفاضَتِها، كالأَنْبِيَاءِ والصَّحَابَةِ والعُلَمَاءِ؛ فزِيَادَةُ العَبْد فِي شُكْرِهم زِيادةٌ فِي شُكر ربِّه؛ إذْ هُوَ المُنْعِمُ بالحَقِيقَة، فشُكْرُهم شُكْرُهُ».(١)

ففَضْلُهم عَلَيْنَا بعد العَزِيزِ المَنَّانِ كَنْزٌ لَا يُقَدَّر بِأَي الأَثْمَان، وَلَا نَمْلِكُ لهم إِلَّا الدعاءَ، وأَنْ نَسأَلَ الكَرِيمَ القديرَ أَنْ يَجْزِيَهم عنَّا كلَّ خَيْر، فعن أُسَامَة بْن زَيْد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: **«مَنْ صُنِعَ إِلَيْه مَعْرُوفٌ فقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».**(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(مَنْ صُنِعَ إِلَيْه) بِصِيغة المَجْهول، أيْ أُحْسِنَ إِلَيْه «مَعْرُوفٌ»، وفِي نسخةٍ مَعْرُوفًا بالنصب، أيْ أُعْطِيَ عطاءً، «فقَالَ لِفَاعِلِهِ» أيْ بَعْدَ عَجْزِه عن إِثَابَتِه أَو مُطلقًا «جَزَاكَ الله خَيْرًا» أيْ خَيْرَ الجَزَاء، أَو أعطاكَ خيرًا مِن خَيْرَي الدُّنْيا والآخرة «فقَدْ

---

(١) فَيْض القَدِير (١/ ٥٢٦).

(٢) رَواه التِّرمِذي (٢٠٣٥)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» أي بَالَغَ فِي أداءِ شُكْرِه، وذَلِك أَنَّهُ اعترف بالتقصير وأَنَّهُ ممَّن عَجَزَ عن جَزائه وثَنَائه، ففوَّض جَزَاءه إِلَى الله لِيَجْزِيَه الجزاءَ الأوفى».(١)

وعَلَيْه أَيْضًا أنْ يَسْتحضر فَضْلَ مَن سَهِرَا عَلَى راحته، وتَعِبَا كَثِيرًا فِي تربيته، وبَذَلَا الغالِيَ والنَّفيسَ مِن أَجْل حُسْنِ رعايتِه؛ وَلِذَا هُمَا كَذَلِك ممَّن يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أَنْ يَرُدَّ شَيْئًا مِن جميلهمَا، ويَحْرِص بالقولِ والفعلِ عَلَى شُكْرهما؛ عَمَلًا بمَا أوصاه بِهِ خالِقُه ورازِقُه، والذي أَخْبَرَه فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ أَنَّ شُكْرَهما هُوَ مِن شُكْرِه سُبْحَانَه وعبادتِه؛ حَيْثُ قال جَلَّ وعَلَا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفِي جَعْل الشُّكْر لهمَا مقترنًا بالشكرِ لله دلالةٌ عَلَى أنَّ حقَّهمَا مِن أعظمِ الحقوق عَلَى الولد، وأَكْبَرِها وأَشَدِّها وُجُوبًا».(٢)

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتيح (٦/ ١٩٣).

(٢) فَتْح القَدِير (٤/ ٢٣٨).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: عَهِدْنا إِلَيْه، وجَعَلْناه وصيةً عنده، سنسأله عن القيامِ بها، وهل حَفِظها أم لا؟ فوصَّيْناه ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وقُلْنا له ﴿ٱشْكُرْ لِى﴾ بالقيام بعُبُودِيَّتي، وأداءِ حُقُوقي، وألَّا تَسْتعينَ بنِعَمي عَلَى مَعْصِيتي، ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ بالإحسانِ إِلَيْهمَا بالقولِ اللَّيِّن، والكلامِ اللطيفِ، والفعلِ الجميلِ، والتواضُعِ لَهُما، وإكرامِهمَا وإجلالِهما، والقيامِ بمؤونتِهمَا، واجتنابِ الإساءةِ إِلَيْهمَا مِن كلِّ وَجْه، بالقولِ والفعلِ.

فوَصَّيْنَاه بِهَذِهِ الوَصِيَّة، وأَخْبَرْناه أنَّ ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: ستَرْجِعُ أَيُّها الإِنْسَان إِلَى مَن وصَّاك، وكَلَّفك بِهَذِهِ الحقوق، فيسألك هل قُمْتَ بها، فيثيبك الثَّوَاب الجزيل، أم ضيَّعْتَها، فيعاقبك العقاب الوبيل.

ثم ذَكَر السَّبَب المُوجِبَ لِبِرِّ الوَالِدَيْنِ فِي الأُم، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: مَشَقَّةً عَلَى مَشَقَّةٍ، فَلَا تزال تُلاقِي المَشَاقَّ، مِن حين يَكُون نُطْفة، مِن الوَحَم، والمَرَض، والضعف، والثقل، وتغيُّر الحال، ثُمَّ وجع الولادة، ذَلِك الوجع الشديد».[1]

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٦٤٨).

ويَقُول العلامة ابْن بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَرَ سُبْحَانَه الولدَ أنْ يَشْكُر ربه ويَشْكُر والديه، فدلَّ ذَلِك عَلَى مشروعيةِ شُكْرِ الله سُبْحَانَه وشُكْر المُحْسِنِ مِن النَّاس».(١)

والمُسْلِم يَعْلم كذَلِك أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنَّ مقابلةَ نِعَم الإِخْوَان بالجحودِ والنُّكرانِ وعدم الشكر والكُفران مِن علامات نَقْص وضَعْف الإِيمَان، فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"مَنْ أُعْطِيَ" بصيغة المجهول "عَطَاءً"، مَفْعول مُطْلَق أَو عطية، وفِي روايةٍ "شيئًا"، فَهُوَ مفعول ثانٍ، "وَجَدَ" أي سَعَة مالية "فَلْيَجْز" بسكون الجيم، أيْ فليكافئ "بِهِ" أي بالعطاء، "وَمَنْ لَمْ يَجِدْ" أيْ سَعَةً مِن المال "فَلْيُثْنِ" بضم الياء، أيْ عَلَيْه، وفِي روايةٍ "به"، أيْ فلْيَمْدَحْهُ، أَو فلْيَدْعُ له. "فَإنَّ مَنْ أَثْنَى"، وفِي روايةٍ "فإِنْ أَثْنَى بِهِ"، "فَقَدْ شَكَرَ"، وفِي روايةٍ "شَكَرَهُ" أيْ جَازَاه فِي الجملة.

---

(١) فتَاوى الشَّيْخ (٦/ ٢٨٦).

(٢) رَوَاه التِّرْمِذِي (٢٠٣٤) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«وَمَنْ كتَمَ» أي النّعمة بِعَدمِ المكافأة بالعطاء أَو المُجَازاة بالثّناء «فَقَدْ كفَرَ» أي النِّعْمة، مِن الكُفْرَانِ، أيْ ترَكَ أداءَ حقِّه. وفِي رواية «وَإِنْ كَتمَهُ فَقَدْ كفَرَهُ».(١)

يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن النَّاس مَن يَكْفر النِّعم، وكُفْران النِّعم يكُون مِن أَحَدِ رَجُلين: إمَّا رجل لَا معرفة لَهُ بأَسْبَاب النِّعم والمجازاة عَلَيْها، لِمَا لَمْ يُرَكَّبْ فِيهِ مِن التَّفَقُدِ لِمَراعاةِ العِشْرة، فإِذَا كَان كَذَلِك وَجَبَ الإِغضاءُ عَنْه وتَرْك المناقشة عَلَى فعله.

والرَّجُل الآخر أنْ يَكُونَ ذا عَقْل لَم يَشْكُر النِّعمة استخفافًا بالمُنْعِم، واستحقارًا للنِّعمة، وتهاوُنًا فِي نَفْسه لَهما أَو لأحدهمَا، فإِذَا كَان كَذَلِك يجِب عَلَى العاقلِ تَرْكُ العَوْد إِلَى فِعْلِ مِثْلِه، والخُروج باللائمة عَلَى نَفْسه إِذَا كَان لَهُ خِبْرة بِهِ».(٢)

فبَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا أَيُّها الأَفَاضِلُ فَضْل هَذَا الخُلُق الكَرِيم والأدب القويم، وأَنَّهُ من الأَخْلَاق الجَمِيلَة الَّتِي أَوْصَانا بِهَا العَزِيزُ العليمُ،

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٦/ ١٩٢).

(٢) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص٢٦٦).

وحثَّنا عَلَيْها أفضلُ المُرْسَلِين عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فَعَلَيْنا جَمِيعًا أنْ نَجْتهد فِي العَمَل بِهِ ونَحْرص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى تَحْقِيقه، لِمَا فِي ذَلِك مِن خيرٍ كَثِيرٍ، وفضلٍ كَبِيرٍ، يَعُود عَلَيْنا جَمِيعًا بإذْن العَزِيزِ القديرِ.

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا جَمِيعًا لكلِّ مَا فِيهِ نجاحٌ وفلاحٌ فِي الدَّارين، ومِن ذَلِك أنْ يَجْعلَنا ممَّن يَشْكُر إحسانَ الآخرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرحمين.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

رسالة إلى كل من
يشمت في أخيه!

رسالة إِلَى كل مَن يَشمت فِي أخيه!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ شَمَاتَة العَبْد بإِخْوَانه هِي من الأَخْلَاق السَّيِّئَة والصِّفَات القَبِيحَة الَّتي يَجِب عَلَى كلِّ مُسْلِم أَلَّا يَتَّصِف بِهَا وأنْ يَحْذر أَشَدَّ الحَذَرِ مِنْهَا، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّمَاتَة: السُّرُورُ بِمَا يُصِيب أَخَاك مِنَ المَصَائب فِي الدِّين والدُّنيا، وهِي مُحَرَّمَة مَنْهِيٌّ عَنْها».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الشَّمَاتَة فهِي: التَّعْيِير بالذَّنْب أَو بالعَمَل أَو حَادِثة تَقع عَلَى الإِنْسَان أَو مَا أَشْبَهَ ذَلِك، فيُشِيعُها الإِنْسَانُ ويُبيِّنُها ويظهرها، وَهَذَا مُحَرَّمٌ».(٢)

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (٧/ ٢٩١).

(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٢).

لِأَنَّ هَذَا الفعل القَبِيح والخُلُق الذَّمِيم لَيْسَ مِن صِفات الشَّهْم الكَرِيم، يَقُول أَكْثَم بْن صَيفِي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْسَ مِن الكَرَم أن يَشمت الرَّجُل بصَاحِبه إِذَا زلَّت بِهِ النَّعل أَو نَزَل بِهِ أَمْر».[2]

ويَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكَرِيمُ لا يَكُون حقودًا وَلَا حسودًا وَلَا شامتًا»[3]

بل هُوَ علامَاتُ الجاهِلِ اللئِيم، يَقُول أَكْثَم بْن صَيفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّمَاتَة لُؤْم».[4]

ولِأَنَّ صاحِبَ النَّفسِ الطَّيبةِ والقلبِ السليمِ لَا يَفْرحُ أَبَدًا بعَثْرة إِخْوَانه، بَلْ يَحزنُ مِن أَجْلهم، ويَجْتهدُ فِي الوقوفِ معهم فِي مِحْنتِهم،

---

(١) التَّمِيمِي: حكيمُ العَرب فِي الجَاهِلِيَّة، وأَحد المُعَمَّرِين. عَاشَ زمنًا طويلاً، وأَدْرَك الإِسلامَ، وقَصَد المَدِينة فِي مِئَة مِن قَوْمه يُرِيدون الإِسلامَ، فمَات فِي الطَّرِيق، ولم يَرَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَسْلم مَن بَلَغ المَدِينة مِن أَصحابِه، الأعلام للزركلي (٢/ ٦٩)، الإِصَابَة فِي تَمْييزِ الصَّحابةِ لابْنِ حَجَرٍ (١/ ٣٥٠).

(٢) الأَمْثَال لِابْنِ سَلاَّمٍ (ص٢٩).

(٣) رَوْضَة العُقلاَءِ (ص١٧٢).

(٤) الأَمْثَال لِابْنِ سَلاَّمٍ (ص٢٩).

ويحْرِص أَشَدَّ الحِرْص عَلَى مساعدتِهم فِي دَفْع مَا نَزَل بهم، يَقُول الإِمَام ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يتوجع أي المؤمن لعَثْرة أخيه المؤمنِ إِذَا عَثَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ هو الَّذِي عَثَرَ بها، وَلَا يَشْمتُ بِهِ، فَهُوَ دليل عَلَى رِقَّةِ قلبه وإِنَابَتِه».(١)

أَمَّا الَّذِي فِي قلبه مرضٌ أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات فهو الَّذِي يَسْعد عند وقوعِ إِخْوَانه فِي العَثَرات؛ وَهَذَا بِسَبَب مَا يَحْمله لَهُم فِي صدرِه مِن الحِقْدِ والحَسَدِ وغيرهمَا مِن الشُّرورِ والآفات، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاسدُ إِذَا رأى بأخِيه نِعمةً بُهِت، وإنْ رأى بِهِ عَثْرةً شَمَتَ، ودليلُ مَا فِي قلبِه كَمِينٌ، عَلَى وجْهِه مُبِينٌ».(٢)

وَهَذَا إِذَا دلَّ فإنَّمَا يدل عَلَى فساد طَوِيَّتِه وخُبْثِ نَفْسه وعدم نقاءِ سريرتِه، يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَبُ الحَسَدِ خُبْثُ النفس».(٣)

فالشامِتُ مَا أَظهرَ لإِخْوَانه عند مُصابهم مَا أَضْمَرَ إِلَّا وهو يُخفِي لهم فِي نفسِه العداوةَ وإنْ أَبانَ خِلافَها فِي المَظْهرِ،

(١) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٤٣٦).

(٢) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص١٣٧).

(٣) فَيْض القَدِير (٥/ ١٦).

يَقُول الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّمَاتَةُ سُرورُ النفس بما يُصيبُ غيرَها مِن الإضْرَار، وإنَّمَا تَحْصُل مِن العداوةِ والحسد».(١)

وصاحِبُ هَذَا الدَّاء العضالِ والمرضِ القَتَّالِ أَيُّها الأَحِبَّة قد يَبوحُ بِهِ أَمَامَ المَلأ ويُصرِّح بِهِ جَهَارًا، وقد يَسْتعمل بَعْض الأساليبِ المُلْتَوية مِن أَجْل إظهارِهِ مِن ذَلِك التَّعْيير، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففِي التَّعْيير ضَرْبٌ خفِيٌّ مِن الشَّمَاتَة بالمُعيَّر».(٢)

أَفَلا يَدْري مَن ابتُلِيَ بِهَذَا الخُلُق المُشِين أنَّ بفِعله هَذَا قَد تَشَبَّهَ بأعداءِ الدِّينِ مِن الكُفَّارِ والمُنَافِقين الَّذِينَ يَفْرَحون عِند حُلولِ المصائبِ بالمُسْلِمِينَ كمَا أَخْبَرَنا بذَلِك أرحمُ الرَّاحِمِينَ؟! حَيْثُ يَقُول ربُّ العَالَمِينَ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ كالنَّصر عَلَى الأعداءِ، وحُصُولِ الفتحِ والغنائمِ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ أي: تَغُمُّهم وتُحْزِنهم،

---

(١) تَفْسِير التَّحْرِير والتَّنْوِير (٩/ ١١٧).

(٢) مَدارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ١٧٧).

﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾، فإذا أتيْتُم بالأَسْباب الَّتِي وَعَد الله عَلَيْها النصر وهِي الصبر والتَّقْوى لم يَضُرَّكم مَكْرُهم، بَلْ يجعل الله مَكْرَهم فِي نُحورِهم؛ لأَنَّهُ مُحيطٌ بهم عِلمُه وقدرتُه، فَلَا مَنفذَ لهم عن ذَلِك، وَلَا يَخفى عَلَيْهم مِنْهُم شيء».[1]

أَلَا يَعْلم كذَلِك أَنَّهُ بشماتَتِه بأخيه هُوَ يَمْدح نَفْسه ويُزَكِّيها؟ يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعْييرُك لأخيك بذَنْبه أعظمُ إثمًا من ذنبه وأشدُّ مِن معصيتِه، لِمَا فِيهِ مِن صَوْلة الطَّاعَة، وتزكيةِ النفس، وشُكرِها، والمناداةِ عَلَيْها بالبراءة من الذَّنْب، وأنَّ أخاك باء به».[2]

فاحْذَرْ كَذَلِك يا مَن أُصِبْتَ بِهَذَا الدَّاء وابتُلِيت بِهَذَا الوباء أنْ تُعاقَب بمَا عَيَّرْتَ بِهِ أخاك؛ وَلِذَا فَعلَيْكَ أنْ تُبادِرَ قَبْل فَوات الأَوَانِ بالتَّوْبَة والرُّجوع إِلَى العَزيزِ الرَّحْمَنِ، وأنْ تنشغلَ بإصلاحِ نَفْسك وتَجْتهدَ فِي القضاءِ عَلَى هَذَا البلاءِ وعَلَى ما قَد أصابك مِن الأمراضِ القلبيةِ الَّتِي تُبعدك عن الخير وتُوقِعُك فِي الشر؛ لِأَنَّ مَن انشغل

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٤٥).

(٢) مَدارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ١٧٧).

بإصلاحِ عُيُوبِ نَفْسه فازَ وظَفِرَ بإذن العَزِيزِ المقتدرِ، ومَن اهتمَّ بعيوبِ غيره خَابَ وخَسِرَ، يَقُول الإمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقلِ لُزُومُ السلامةِ بتَرْكِ التَّجَسُّسَ عن عيوبِ النَّاس مع الاشتغال بإصلاحِ عيوبِ نَفْسه، فإنَّ مَن اشتغلَ بعيوبِه عن عيوبِ غيره أَرَاحَ بَدَنَه ولَمْ يُتْعِبْ قلبَه، فكلمَا اطَّلعَ عَلَى عيبٍ لنفسه هانَ عَلَيْه مَا يَرَى مِثلَه مِن أخيه، وأنَّ مَن اشتغلَ بعيوبِ النَّاسِ عن عيوبِ نَفْسه عَمِيَ قلبُه، وتَعِبَ بَدَنُه، وتَعذَّرَ عَلَيْه تَرْكُ عيوبِ نفسه، وإنَّ مِن أَعْجَزِ النَّاس مَن عَابَ النَّاس بمَا فيهم وأَعْجَزُ مِنْهُ مَن عابَهم بمَا فيه.»(١)

وممَّا عَلَيْنَا جَمِيعًا أن نَحْرص عَلَيْه فِي هَذَا الباب أَيُّها الكِرَام أنْ نَقتَدِي بنَبِيِّنا عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام، وذَلِك بأنْ نستعيذَ دَائِمًا بالعزيزِ العلَّامِ مِن شرِّ أصحابِ هَذَا الخُلُق الذَّمِيم الَّذِي هُوَ كمَا تَقدَّمَ مِن خِصَال اللئامِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كَانَ يَتَعَوَّذُ مِن سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ**».(٢)

---

(١) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٢٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦٣٤٧) ومسلم (٢٧٠٧) واللفظ لَهُ.

يَقُول الإِمَام ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل مَا أصاب الإِنْسَان مِن شدَّةِ المَشقَّة والجهد مِمَّا لَا طاقةَ لَهُ بحَمْله وَلَا يَقْدر عَلَى دَفْعه عن نَفْسه فَهُوَ مِن جَهْد البلاء... ودَرَكُ الشقاءِ ينقسم قسمين؛ فيكون فِي أمورِ الدُّنْيا وفى أمورِ الآخرة؛ وكذَلِك سوءُ القضاءِ، وهو عامٌّ أَيْضًا فِي النَّفْس والمالِ والأهلِ والخاتمة والمَعَاد؛ وشَمَاتَةُ الأعداء مِمَّا يَنْكَأُ القَلْب، ويَبْلُغ مِن النفس أَشَدَّ مَبْلغٍ، وهَذِه جوامعُ يَنْبَغِي للمؤمن التَّعوُّذُ بالله مِنْهَا كمَا تَعوَّذَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّمَا دعا بذَلِك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعلِّمًا لأُمَّتِه مَا يُتَعوَّذُ بالله منه».(١)

ويَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعاذ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن شَمَاتَة الأعداءِ لِعِظَم مَوْقِعِها وشدَّة تأثيرِها فِي الأَنْفُس البَشَرِية ونُفُورِ طِباعِ العِبادِ عَنْها، وقَدْ يتَسَبَّبُ عن ذَلِك تعاظُمُ العداوةِ المُفْضِيةِ إِلَى استحلال مَا حَرَّمَه الله سُبْحانَه وتعالى».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذَكَرَ الفقهاء ضابطًا للعدو، فقالوا مَنْ سَرَّه مَا سَاء فِي شَخْصٍ أَو غَمَّه فَرَحُه، فَهُوَ عدوُّه، كل

---

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١١٠).

(٢) تُحفَة الذَّاكِرين بِعِدَّة الحِصْنِ الحَصِين (ص٤٤٧).

إِنْسَان يَسُرُّه مَا ساءك أَو يَغُمُّه فَرَحُك فَهُوَ عدوٌّ لك، وشَمَاتَة الأعداء أنَّ الأعداءَ يَفْرحون عَلَيْكَ، يفرحون بمَا أصابك، والعدوُّ لَا شكَّ أَنَّهُ يَفْرح فِي كلِّ مَا أصابَ الإِنْسَان مِن بلاء، ويَحْزن فِي كل مَا أصابه مِن خير، فأنت تَسْتعيذ بالله عز وجل مِن شَمَاتَة الأعداءِ، فأَمَرَنا الرَسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ نَتَعَوَّذَ بالله مِن هَذِهِ الأمورِ الأربعةِ، فيَنْبَغِي للإِنْسَان أنْ يَمتَثِلَ أَمْر الرَسُول، وأنْ يَسْتعيذَ بالله مِنْهَا لعلَّ اللهَ أنْ يَستجيب لَهُ والله الموفِّق».[١]

فالله أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أن يُوفِّقَنا جَمِيعًا للتحلِّي بالأَخْلَاق الفاضلة والصِّفَات الكَرِيمة، وأنْ يُجَنِّبَنا وإيَّاكم كلَّ خُلقٍ مُشِين، ومن ذَلِك الشَّمَاتَةُ بالآخَرين، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحم الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٢).

تذكير المسلم بفضل المشورة!

تَذْكيرُ المُسْلِم بفَضْلِ المَشُورَة!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْذَرَ مِن الاغْتِرَار بِنَفسه والإعْجَابِ برَأْيه، ولْيَحرص دومًا عَلَى مُشاوَرَة وسَمَاعِ رأيِ إخْوَانه، خاصةً عندَ تردُّدِه فِي أَمْرٍ يُرِيد الإقبالَ عَلَيْه، يَقُول الرَّاغِب الأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن المُشَاوَرَة: «وهِي استنباطُ المَرْءِ الرأيَ مِن غيره فيمَا يَعْرِض لَهُ مِن مشكلاتِ الأمور، ويَكُون ذَلِك فِي الأمور الجزئية الَّتِي يتردد المَرْء فِيهَا بَيْن فِعلها وتَرْكِها».(١)

ولْيَكُن قُدْوَته فِي ذَلِك رَسُولُ العَزِيزِ العلَّامِ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام، الَّذِي كَان يشاوِر أصحابَه إِذَا احتاج إِلَى رَأْيهم فِي بَعْض

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢١٠).

الأمور والمَهَامِّ، يَقُول الإمام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَان رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشاوِر أصحابَه فِي الأَمْر إِذَا حَدَث؛ تَطْيِيبًا لقلوبهم؛ لِيَكُونَ أَنْشَط لَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَه »(١)

حَيْثُ كَان عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم يَعْمل بمَا أَمَره بِهِ الكَرِيمُ العظيمُ، الَّذِي قَال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله تَبَارك وتعالى لمْ يَأمرْ نَبِيَّه بالمشورة لحاجةٍ مِنْهُ إِلَى رَأْيِهم، وإنَّمَا أرادَ أنْ يُعلِّمَهم مَا فِي المشورة مِن الفضل».(٢)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِذَا كَان الله يَقُول لرَسُوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُو أكملُ النَّاس عقلًا وأَغْزَرِهم علمًا، وأَفْضَلِهم رأيًا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ فكيف بغيره؟!»(٣)

لِذَا فَعَلَيْنا أنْ نَعْلَم أَيُّها الأَحِبَّة والإِخْوَان أنَّ المُشَاوَرَة هِي مِن

---

(١) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ٤٢١).

(٢) الأَمْثَال لأبِي عُبَيْد القَاسِم بْنِ سَلاَّم (ص٤٢).

(٣) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

خِصالِ أهل الإِيمَان، كمَا أَخْبَرَنَا بذَلِك العَزِيزُ الرَّحْمَنُ؛ حَيْثُ قَالَ الكَرِيمُ المَنَّانُ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَا يَسْتَبِدُّ أحدٌ مِنْهُم برأيه فِي أمرٍ مِن الأمور المشتركة بينهم، وَهَذَا لا يَكُون إِلَّا فرعًا عن اجتماعِهم وتَوَالُفِهم وتوادُدِهم وتحابُبِهم وكمالِ عقولهم، أنَّهم إِذَا أرادوا أمرًا من الأمور الَّتِي تحتاج إِلَى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتَمَعوا لها وتَشَاوَرُوا وبَحَثُوا فيها، حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَت لهم المَصْلَحَة، انتهزوها وبادَروها، وذَلِك كالرَّأي فِي الغَزْو والجهاد، وتَوْلِية الموظَّفين لإمارةٍ أَو قضاءٍ، أَو غيره، وكالبحث فِي المسائل الدينية عمومًا، فإِنَّهَا من الأمور المشتركة، والبحث فِيهَا لِبَيانِ الصَّواب مِمَّا يُحِبُّه الله، وهو داخلٌ فِي هَذِهِ الآية».(١)

ويَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُشَاوَرَةُ مِن سِمَاتِ المُؤْمِنِينَ كمَا قَال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، فيَنْبَغِي لِمَن ولَّاه الله أمرًا وتَرَدَّدَ فِي شَيْء مِن الأشياء ولَمْ

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٧٦٠).

يَتَبَيَّنْ لَهُ الصَّوابُ أنْ يُشاوِرَ غَيْرَه مِن ذَوِي العقلِ والدِّين والتجربةِ، وكذَلِك إِذَا كَان الأمر عامًّا يَعُمُّ النَّاسَ كلَّهم، فإنَّه يَنْبَغِي أنْ يُشَاوِرَ حَتَّى يَصْدُرَ عن رَأْيِ الجَمِيعِ».(١)

وهِي كذَلِك أَيُّها الأَحْبَابُ مِن أَسْبَاب الهدايةِ والتوفيقِ للصواب بإذن الكَرِيم الوهاب، يَقُول الإِمَام الحَسَن البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللهِ مَا استشارَ قومٌ قَطُ إِلَّا هُدُوا لأَفْضَلِ مَا بِحَضْرَتِهم».(٢)

ويَقُول الإِمَامُ ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِي الاسْتِشَارَة عينُ الهدايةِ».(٣)

وفوائدُها ليست فَقَطْ دينيةً، بَلْ حَتَّى دنيوية بإذن ربِّ البريَّة، يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ فِي الاستشارة مِن الفوائدِ والمصالحِ الدينيةِ والدنيويةِ ما لَا يُمْكن حَصْرُه:

مِنْهَا: أنَّ المُشَاوَرَة مِن العبادات المُتقرَّب بِهَا إِلَى الله.

ومِنْهَا: أنَّ فِيهَا تَسميحًا لخواطرهم، وإزالةً لمَا يصير فِي القلوب

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٥٧١).

(٢) رَوَاه البُخَارِي فِي الأدب المفرد (٢٥٨) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٩٣).

عند الحوادث، فإنَّ مَن لَهُ الأمر عَلَى النَّاس إِذَا جَمع أهلَ الرَّأْي والفَضْلِ وشَاوَرَهم فِي حادثةٍ مِن الحوادثِ اطمأنَّت نُفُوسهم وأحبُّوه، وعَلِموا أَنَّهُ لَيسَ بمُستَبِدٍّ عَلَيْهم، وإِنَّمَا يَنْظر إِلَى المَصْلَحَة الكُلِّيةِ العامَّة للجَمِيع، فبَذَلوا جَهْدَهم ومَقْدورَهم فِي طَاعَته، لِعِلْمِهم بسَعْيِه فِي مصالحِ العموم، بخلاف مَن لَيْسَ كذَلِك، فإنَّهم لَا يكادون يحبُّونه محَبَّةً صادقةً، وَلَا يطِيعونَه وإنْ أطاعوه فطَاعَةٌ غيرُ تامَّة.

ومِنْهَا: أنَّ فِي الاستشارة تَنَوُّرَ الأفكارِ، بِسَبَب إعمالها فيمَا وُضِعَت له، فصَار فِي ذَلِك زيادةٌ للعقولِ.

ومِنْهَا: مَا تُنْتِجه الاستشارةُ مِن الرَّأْي المصيب، فإنَّ المُشَاوِر لَا يكاد يُخْطئ فِي فِعله، وإنْ أخْطَأ أو لَمْ يَتِمَّ لَهُ مطلوبٌ، فَلَيْسَ بمَلُومٍ». (١)

لكِنْ عَلَى المُسْلِم إِذَا أراد أنْ يَنَالَ بالمُشَاوَرَة النجاحَ والفلاحَ أَلَّا يَسْتَشيرَ إِلَّا مَن عُرف بين النَّاس بالتَّقْوى وسَدَادِ الرَّأْي والصلاح، يَقُول أمير المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِين يَخَافُونَ اللهَ». (٢)

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

(٢) الأَمْثَال لأَبِي عُبَيْد القَاسِم بْنِ سَلاَّم (ص٤٢).

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُو أَسَدُّ النَّاسِ رَأْيًا وأصوَبُهم صوابًا، يَستَشِيرُ أصحابَه فِي بَعْض الأمور الَّتِي تُشْكِلُ عَلَيْه، وكذَلِك خُلَفاؤه مِن بَعْدِه كَانوا يَسْتَشيرون أهلَ الرَّأْي والصَّلاحِ، وَلَا بدَّ مِن هَذَيْنِ الشَّرْطَينِ فيمَنْ تَسْتَشِيرُه؛ أنْ يَكُونَ ذَا رَأْيٍ وخِبرة فِي الأمور وتأنٍّ وتجربةٍ وعدمِ تَسَرُّعٍ، وأنْ يَكُون صالحًا فِي دِينه؛ لِأَنَّ مَن لَيْسَ بصالِحٍ فِي دينه لَيْسَ بأمين، حَتَّى وإنْ كَان ذكيًّا وعاقلًا ومُحنكًا فِي الأمور، إِذَا لم يكن صالحًا فِي دينه فَلَا خيرَ فِيهِ، وليس أهلًا لأَنْ يَكُون مِن أهل المَشُورَة؛ لأَنَّهُ إِذَا كَان غيرَ صالِحٍ فِي دينه فإنَّه ربَّمَا يَخُون والعياذُ بالله ويُشِيرُ بما فِيهِ الضَّرَرُ، أَو يُشِيرُ بما لَا خيرَ فِيهِ، فيَحْصُل بذَلِك مِن الشرِّ والفسادِ مَا اللهُ بِهِ عليمٌ، ولْنَفْرِضْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِن أهل الفِسْقِ والمُجُونِ والفُجُورِ، فَلَا يَجُوزُ أنْ تَسْتَشِيرَه؛ لِأَنَّ هَذَا يُوقِعُك فِي هَلاكٍ، كَذَلِك ولو كَان رجلًا صالحًا دَيِّنًا أمينًا لكنه مُغفَّل مَا يعرف الأمور، أَو متسرِّعٌ لَا خِبرةَ لَهُ، فَهَذَا أَيْضًا لَا تَحْرِصْ عَلَى استشارتِه؛ لأَنَّهُ ربما إِذَا كَان مُغفَّلًا لَا يَدْرِي عن الأمور، يأخذُ الأمورَ بظواهِرِها وَلَا يَعْرِف شَيْئًا مِمَّا وراء الظواهر، وكذَلِك إِذَا كَان متسرِّعًا فإنَّه ربمَا يَحْمله التَّسرُّعُ عَلَى أنْ

يُشِيرَ عَلَيْكَ بما لَا خيرَ فِيهِ؛ فلَا بُدَّ مِن أنْ يَكُون ذا خِبرةٍ وذَا رَأْيٍ وصَلَاحٍ فِي الدِّين».(١)

ولْيَحذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن العُجْب بنفسه أَو الاغْتِرَارِ برأيه، أَو مِن احتقارِ رَأْيِ الغَيْر، مهمَا كَانت مَعِيشتُه ومَنْزِلتُه؛ لِأَنَّ سَدَاد الرَّأْيِ لَيْسَ قاصرًا عَلَى الأغنياء أَو الوُجَهاء، بَلْ يُعْرَف بِهِ حَتَّى الضعفاءُ والفُقَرَاء، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مِن شِيَم العاقِل عنْدَ النَّائِبة تَنُوبُه أنْ يُشَاوِرَ عاقلًا ناصِحًا ذَا رَأْيٍ، ثُمَّ يطيعه، ولْيَعْترف للحقِّ عِنْد المَشُورة، وَلَا يَتَمَادَى فِي الباطل، بَلْ يَقْبَل الحَقَّ ممَّن جَاء بِهِ وَلَا يَحْقِر الرَّأْيَ الجليلَ إِذَا أَتَاه بِهِ الرَّجُلُ الحقيرُ؛ لِأَنَّ اللؤلؤةَ الخطيرة لَا يَشِينُها قِلَّةُ خَطَرِ غائِصِها الَّذِي استخرجها، ثُمَّ ليَسْتَخِرِ الله ولْيَمْضِ فيمَا أشار عَلَيْه».(٢)

وعَلَى مَن طُلبَت مِنْهُ المُشَاوَرَة أنْ يتَّقِيَ فيمَن طَلَبَ مِنْهُ ذَلِك العَزِيزَ الكبيرَ، وأنْ يَكُون أمينًا فيمَا يوجِّهُ ويُشير، كمَا أَمَرَه بذَلِك رَسُولُ الكَرِيمِ الخبيرِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٤/ ١٦٠).

(٢) رَوْضَة العُقَلَاءِ (ص١٩٣).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**».(١)

قَال المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: أمينٌ عَلَى مَا استُشِيرَ فيه، فمَن أَفْضَى إِلَى أخيه بِسِرٍّ وأَمِنَه عَلَى نفسه لَزِمَه أَلَّا يُشِيرَ عَلَيْه إِلَّا بمَا يراه صوابًا».(٢)

ولْيَحْرِصْ أَيْضًا عَلَى نَفْع مَن أرادَ رَأْيَه ومَشُورَتَه كمَا يَحْرِصُ عَلَى نَفْع نفسه، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُشَاوَرَة والمُنَاظَرَة بَابَا بَرَكَةٍ ومِفْتَاحَا رحمةٍ، مَن استُشِيرَ فلْيُشِرْ بالنصيحة ولْيَجْتهدْ بالرَّأْي ولْيَلْزَمِ الحقَّ وقَصْدَ السَّبِيلِ، ولْيَجْعَل المُسْتَشِيرَ كنَفْسِه بتَرْكِ الخيانَةِ وبَذْل النصيحة».(٣)

ويَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب عَلَيْه أيِ المستشار إِذَا استُشِيرَ فِي أَمْرٍ مِن الأمور أنْ يُشِيرَ بمَا يَعْلَمُه أَصْلَحَ للمُستَشير».(٤)

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَيُّها الأَفَاضِلُ عند إقبالِنا عَلَى عَمَلٍ لَا يَظْهرُ لَنا خيرُه مِن شرِّهِ، أَو عندنا تَرَدُّدٌ وشَكٌّ فِيهِ، أنْ نَحْرِصَ أَشَدَّ الحِرْص بعد

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٥١٢٨)، وصَحَّحَه العلاَّمة الألْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) التَّيْسِير بشَرْح الجَامِع الصَّغِير (٢/ ٤٥٦).

(٣) رَوْضَة العُقَلاَءِ (ص١٩٢).

(٤) تفسير السَّعْدِي (ص٦٦٦).

دعاءِ أرحمِ الرَّاحِمِينَ عَلَى مُشَاوَرَةِ مَن عَرَفْنَاه بالصَّلاحِ وسَدَاد الرَّأْي وحُبِّ الخَيْر للآخرين؛ لِأَنَّ هَذَا مِن أَسْبَاب التوفيق بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجبُ عَلَى العاقلِ السَّالِكِ سَبِيلَ ذَوِي الحِجَا أنْ يَعْلَمَ أنَّ المُشَاوَرَة تُفْشِي الأسرارَ؛ فَلَا يَسْتَشِيرَ إِلَّا اللَّبِيبَ النَّاصِحَ الوَدُودَ الفَاضِلَ فِي دِينه».(١)

فاللّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يوفِّقَنا وإيَّاكم لكلِّ مَا يحبُّه ويرضاه، وأنْ يجنِّبَنا جَمِيعًا مَا يَكْرَهُهُ ويَأْبَاه، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

وَصلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

(١) رَوْضَة العُقَلاءِ (ص١٩٢)

التذكير بما في الإنظار أو العفو عن المعسر من أجر كبير

التَّذْكِيرُ بمَا فِي الإنْظَارِ أَو العَفْوِ عَنِ المُعْسِرِ مِنْ أَجْرٍ كَبِيرٍ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ حِرْصَ المُسْلِم عَلَى مدَّ يَدِ العَوْنِ للآخَرين واهتمامَه بِشُؤون المُسْلِمِينَ، واجتهادَه فِي الإحسانِ إِلَى الفُقَرَاء والمساكينِ مِن الأَعْمَالِ الكَرِيمةِ والأَفْعَالِ الجَمِيلَةِ الَّتِي يحبُّها أرحمُ الرَّاحِمِينَ؛ حَيْثُ يَقُول ربُّ العَالَمِينَ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يَشْمل جَمِيعَ أنواعِ الإحسانِ؛ لأَنَّهُ لم يُقيِّدْه بشيءٍ دونَ شيءٍ، فيَدْخلُ فِيهِ الإحسانُ بالمال...

ويَدْخلُ فِيهِ الإحسان بالجاهِ، بالشفاعات ونحو ذَلِك، ويَدْخلُ فِي ذَلِك الإحسانُ بالأمرِ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر، وتعليمِ العلمِ

النَّافِعِ، ويَدْخُلُ فِي ذَلِك قضاءُ حوائجِ النَّاسِ، مِن تفريجِ كُرُبَاتِهِم وإزالةِ شِدَّاتِهِم، وعيادةِ مَرضَاهم، وتَشْييعِ جنائزِهِم، وإرشادِ ضالِّهِم، وإعانةِ مَن يَعْمل عملًا، والعَمَلِ لِمَن لَا يُحْسنُ العَمَل، ونحو ذَلِك مِمَّا هُوَ مِن الإحسان الَّذِي أَمَرَ اللهُ به »(١)

لِذَا كَانَت هَذِهِ الطَّاعَات أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات مِن القُرُبات الجالِبَة لأنواع الخيرات بإذْنِ ربِّ البريَّات، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد دَلَّ العقلُ والنقلُ والفطرةُ وتجاربُ الأممِ، عَلَى اختلافِ أجناسها ومِلَلِها ونِحَلِها، عَلَى أنَّ التقرُّبَ إِلَى ربِّ العَالَمِينَ وطَلَبَ مَرْضاتِه والبرَّ والإحسانَ إِلَى خَلْقِه مِن أعظمِ الأَسْبَابِ الجالبةِ لكلِّ خيرٍ، وأَضْدَادَها مِن أكبرِ الأَسْبَاب الجالبة لكلِّ شرٍّ، فمَا استُجْلِبَت نِعَمُ الله واستُدْفِعَت نِقْمَةُ الله بمِثْلِ طاعَته والتقرُّبِ إِلَيْه والإحسانِ إِلَى خَلْقِه».(٢)

وإنَّ مِن الأَعْمَال الجليلة الَّتِي تَدْخُل تَحْتَ هَذَا البابِ أَيُّها

---

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٩٠).

(٢) الجَوَاب الكَافِي (ص٩).

الأَحْبَابُ عملًا كريمًا يُعتبر مِن أفضلِ سُبُلِ الخير وطريقًا مِن طُرُق المَعْرُوف والبِرِّ، بإذْن العَزِيزِ المقتَدِرِ، والذي يَنْبَغِي عَلَى المُسْلِم أنْ يَحْرص عَلَى تَحْقِيقه عند تَعامُلِه مع إِخْوَانه، مع احْتِسَابِ مَا جاء فِيهِ مِن ثَوابٍ وأجْرٍ؛ أَلَا وهو الإِنْظَارُ أَو العَفْوُ عَنِ المُعْسِرِ، يَقُول الإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإِنْظَارُ المُعْسِرِ تأخيرُه إِلَى أنْ يُوسِرَ».(١)

فكيف لَا يَحْرص العَبْد عَلَى الإتيانِ بعملٍ كريمٍ وهَدْيٍ قويمٍ قد أَمَرَه بتَحْقِيقه العَزِيزُ الكَرِيمُ؟! حَيْثُ قال العليم العظيم: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

يَقُول الإِمَام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَأْمُر تعالى بالصبرِ عَلَى المُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِد وفاءً».(٢)

ويَقُول الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أيْ إنَّ إسقاط الدَّيْن عن المُعْسِر والتَّنْفيسَ عَلَيْه بإغنائه

---

(١) تفسير القُرْطُبِي (٣/ ٣٧٥).

(٢) تَفْسِير ابْنِ كَثِيرٍ (١/ ٣٣٢).

أفضلُ، وجَعَلَه اللهُ صَدَقةً؛ لِأَنَّ فِيهِ تفريجَ الكُرَبِ وإغاثةَ الملهوف».(١)

وممَّا عَلَيْنَا أنْ نَعْلمه أَيُّها الأَفَاضِلُ أَنَّ إِنْظَار المُعْسِرِ لَيْسَ عملًا مستحَبًّا فَقَطْ، بَلْ هُوَ فِي الأصل واجب عَلَى المُوسِرِ، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإِنْظَارُ واجبٌ والإِبْرَاءُ سُنَّة، وَلَا شكَّ أنَّ الإِبْرَاءَ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ الإِبْرَاءَ تَبْرَأُ بِهِ الذِّمَّةُ نِهائيًّا، والإِنْظَار تبقي به الذِّمَّة مَشْغولة، لكنَّ صاحبَ الحقِّ لَا يُطالِبَ بِهِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ المَطْلوبَ أنْ يُوفِّي، وبعضُ النَّاسِ نسأل الله العافية تَحِلُّ لهم الدُّيون عَلَى أناسٍ فُقَراءَ فيُؤْذُونَهم ويَضْرِبُونهم ويُطَالِبُونهم ويَدْفَعُون بِهم إِلَى وُلَاة الأُمُورِ ويَحْبِسُونهم عن أَهْلِيهم وأَوْلَادِهم وأَمْوَالِهم، وَهَذَا لَا شكَّ أَنَّهُ مُنْكَرٌ، والواجب عَلَى القُضَاة، إِذَا عَلِموا أَنَّ هَذَا مُعْسِرٌ لَا يَسْتَطِيع الوفاءَ الواجبَ عَلَيْهم، أَنْ يَقُولوا للدَّائِن لَيْسَ لكَ حقٌّ فِي مطالبته؛ لِأَنَّ الله تعالى هُوَ الحَكَم، هُوَ الحاكم بَيْن العِبَاد، وقد قَال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، لكن يَتَعَلَّلُ بَعْضُ القضاة فِي هَذِهِ المسألة يقولون: إِنَّ بَعْضَ المَدِينين يَتَلاعَبون بالنَّاس

(١) التَّحْرِير والتَّنْوير (٣/ ٩٦).

فيأخذون الأموال ويَجْحَدون الإيثارَ، فيُعَامِلُونَهم بِهَذَا تنكيلًا بهم، وَهَذَا نَعَم إِذَا ثَبَت أَنَّ هَذَا المَدِينَ يَدَّعِي الإِعْسَارَ وَلَيْس بمُعْسِر، فإِنَّه لَا بَأس أَنْ يُجْبَرَ ويَحْبِسَ ويَضْرِبَ حَتَّى يُوفِّي؛ فإنْ لَمْ يَفْعل، فإنَّ الحاكِم يتولَّى بَيْع مَا شاء مِن مالِه ويُوفِّي دَيْنَه، أمَّا الَّذِي نَعْلم أَنَّهُ مُعْسِر حَقِيقَةً، فإِنَّه لَا يَجُوز لِطالِبِه أَنْ يُطالِبَه وَلَا أَنْ يقول: أَعْطِنِي، يَجِب أَنْ يُعْرِضَ عَنْه بالكليَّةِ ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، والله الموفِّق».(١)

فتَذَكَّرْ يَا مَن أَقْرَضْتَ لأخِيكَ المُسْلِم مالًا وتنتظرُ مِنْهُ الوفاء، أَنَّ الحاجَة هِي الَّتِي دَعَتْهُ لسُؤالِك؛ فقدِّرْ حالَه، ويَسِّرْ أَمْرَه؛ إمَّا بإمْهَالِه حَتَّى يَقْدِرَ عَلَى السداد، أَو إنِ استطعتَ فاعْفُ عَنْه، وذَلِك بإسْقَاطِ دَيْنِه، واعلمْ أَنَّ لهَذَا الفعلِ الجميلِ والعملِ الفضيلِ ثمراتٍ نافعةً ستَقْطِفُها بإذْن العَزِيزِ الجليلِ، ومِن أهمِّها، أَيُّها النبيل:

أَنَّهُ مِن أَسْبَاب نَيْل عفوِ العَزِيزِ الوهابِ، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ**

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٥/ ٤١٠).

النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْه».(١)

يَقُول المُبَارَكفُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"يُخَالِطُ النَّاسَ" أَيْ يُعامِل النَّاسَ بالبيع والشراء، "أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ" أيْ الفقير؛ أيْ يَتَسَامَحُوا فِي الاقْتِضَاء والاسْتِيفَاء وقَبُول ما فِيهِ نَقْص يسيرٍ، "بذَلِك" أيْ بالتجاوُز، "تَجَاوَزُوا عَنْه" أي تَسَامَحوا عَنْه».(٢)

وأنَّ الأَجْرَ مَعَ الوقت بفضل العَزِيزِ المقتدرِ يتضاعف ويَكْثُر، فعن بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ**». قال ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُول: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**».(٣)

يَقُول السُّبْكِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَزَّعَ أَجْره عَلَى الأيامِ يَكْثُرُ بكَثْرَتِها

---

(١) رَوَاه مسلم (١٥٦١).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٤٥).

(٣) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٥/ ٣٦٠) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة (٨٦).

ويقلُّ بقِلَّتها، وسِرُّه مَا يُقاسيه المُنْظِر مِن أَلَمِ الصَّبْر مَع تشوُّقِ القلب لمِالِه؛ فلذَلِك كَان ينال كلَّ يَوْم عوضًا جديدًا».(١)

وعَمَلُك الكَرِيم أَيْضًا أَيُّها المِفْضَال هُوَ أَيْضًا مِن الخِصَال الَّتِي جاء فِيهَا ذِكر إظلالِ صاحِبِها يَوْم القِيَامَة مِن الكبيرِ المتعالِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحت ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**».(٢)

يَقُول المُبَارَكفُوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا» أيْ أَمْهَلَ مَديونًا فقيرًا، «أَوْ وَضَعَ لَهُ» أي حَطَّ وتَرَكَ دَيْنه كلَّه أَو بعضه، «أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحت ظِلِّ عَرْشِهِ» أي أَوْقَفَه الله تَحْتَ ظل عرشه».(٣)

وهو كَذَلِك مِن أَسْبَاب نجاتِك بإذن العَزِيزِ الوهابِ مِن أهوالِ وكُرَبِ يَوْم الحسابِ، فعن أبي قَتَادَةَ الأَنْصارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله

---

(١) فَيْض القَدِير (٦/ ٩٠).

(٢) رَوَاه التِّرمِذِي (١٣٠٦) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٤٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَو يَضَعْ عَنْه**».(١)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««كُرَبِ»، بضَمِّ الكاف وفَتْح الراء، جَمْعُ كُرْبة، ومعنى «يُنَفِّسْ» أيْ يَمُدَّ ويؤخر المطالَبَة، وقِيلَ معناه يُفرِّج عَنْه، والله أعلم».(٢)

فهَذِهِ أَيُّها الأَحِبَّة الأَخْيَار مِن أهمِّ الفوائد والثمار الَّتِي سيَجْنِيها فِي الآخرة مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَو أَسْقَطَ عَنْه دَيْنه بإذْن العَزِيزِ الغفارِ، إضافةً إِلَى أنَّ هَذَا العَمَلَ الجليلَ مِن أَسْبَابِ زَرْعِ الأُلْفَة وغَرْسِ المَحَبَّة بين المُسْلِمِينَ بإذْنِ أرحمِ الرَّاحِمِينَ، فعَلَى المُسْلِم إِذْن أنْ يَحْرِص أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى أنْ ينَالَ هَذَا الفَضْلَ الكبيرَ والخيرَ الكَثِيرَ، الَّذِي تَكَرَّمَ بِهِ عَلَيْنَا الكَرِيمُ القديرُ بِسَبَب تَحْقِيق هَذَا العَمَل الَّذِي هُوَ فِي الحَقِيقَة عَلَيْه يَسِيرٌ، يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذِهِ الأَحاديثِ الَّتِي مَرَّ ذِكرُ بعضها فَضْلُ إِنْظَار المُعْسِر والوضعِ عَنْه، إمَّا كلَّ الدَّيْن وإمَّا

(١) رَوَاه مسلم (١٥٦٣).

(٢) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ٢٢٧).

بعضَه مِن كَثِيرٍ أَو قليلٍ، وفَضْلُ المسامحةِ فِي الاقتضاء وفِي الاستِيفَاء، سواءٌ اسْتُوفِيَ مِن مُوسِرٍ أَو مُعْسِرٍ، وفَضْلُ الوَضْع مِن الدَّيْن، وأَنَّهُ لَا يَحْتَقر شَيْئًا مِن أَفْعَال الخيرِ؛ فلعله سببُ السَّعَادَة والرحمة».[1]

فاللَّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوفِّقَنا لكلِّ مَا يُقرِّبُنا منه، ومِن ذَلِك أَنْ يَجْعَلنا ممَّن يَحْرص عَلَى مدِّ يد العَوْن لإِخْوَانه المُسْلِمِينَ، وأَنْ يُجنِّبَنا كلَّ مَا يُبْعِدُنا عَنْه، ومن ذَلِك كُلُّ أنواع المَعَاصِي والشرورِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والكَرِيمُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ٢٢٤).

غيرة المؤمن

غَيرةُ المؤْمِنِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ مِن الصِّفَات الجَمِيلَة والأَخْلَاق الحميدةِ الَّتي يَنْبَغِي أنْ يَتحلَّى بِهَا كل مُسْلِم أَيُّها الأَفَاضِلُ صفةُ الغَيرة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِلاكِ الغَيْرة وأَعْلاها ثلاثةُ أنواع: غَيْرَة العَبْد لربِّه أنْ تُنْتَهَك محارِمُه وتُضيَّعَ حُدُودُه، وغَيْرَته عَلَى قَلْبه أنْ يَسْكن إِلَى غَيْرِه وأنْ يَأْنَس بِسَواه، وغَيْرَتُه عَلَى حُرْمَته أنْ يَتطَلَّعَ إِلَيْها غيرُه؛ فالغَيْرَة الَّتي يحبُّها اللهُ ورَسُولُه دَارَت عَلَى هَذِهِ الأنواعِ الثلاثةِ».[(١)]

فهِي خُلُقٌ كريمٌ وأدبٌ قويمٌ، يَدلُّ وُجودُها بِشَرط تَقْييدها

---

(١) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٣١٥).

بِضَوابطِ الشَّرْعِ عَلَى كَمالِ مَن تَحَلَّى بِه، يَقُولُ الإِمَامِ النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغَيْرَة صفةُ كمالٍ».(١)

لأَنَّهَا لَا يتصف بِهِ حَقِيقَةً إِلَّا مَن زادَ إِيمَانُه وقَوِيَ دِينُه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَقْوى النَّاس دِينًا أعظمُهم غَيْرَةً».(٢)

وكَان مِن أهل الحَمِيَّة والأَنفة، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَصْلُ الغَيْرَةِ الحَمِيَّةُ والأَنَفَة».(٣)

ومَنْ تَرَحَّلَت عَن قَلْبِه دَلَّ ذَلِك عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِه وقِلَّة دِينه، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن لَا غَيْرَة لَهُ لَا دِينَ لَهُ».(٤)

فلَنْ يَأْمر مَن فُقِدَتْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ ولَنْ يَنْهى عَن مُنكر، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذِهِ الغَيْرَة هِي أصلُ الجِهاد والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عن المُنْكرِ، وهِي الحاملة عَلَى ذَلِك، فإنْ خَلَت مِن

---

(١) الشَّرْح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١٠/ ١٣٢).

(٢) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٧٣).

(٣) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٩٤).

(٤) الجَوابُ الكَافِي (ص٤٥).

القلب لم يُجاهِد ولم يَأمرْ بالمَعْرُوف ولمْ يَنْهَ عن المُنْكَر».(١)

وَلِذَا كلما ضَعُفَت الغَيْرَة فِي رِجَال أُمَّة أَيُّها الإِخْوَة والأَخَوَات زادَت فِي مُجْتَمعاتهم المُحَرَّمَات، وكَثُرَت المَعَاصِي والمُوبِقَات، وَفَشَت بينهم المُنْكَرات، يَقُول أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَعَلَ الله سُبْحَانَه هَذِهِ القُوَّةَ فِي الإِنْسَان سببًا لِصِيانة الماءِ وحِفظًا للإِنْسَان، ولذَلِك قيل: كُلُّ أُمَّة وُضِعَت الغَيْرَةُ فِي رِجَالها وُضِعَت العِفَّةُ فِي نِسَائِها».(٢)

وَلَوْ بَحَثْنا عَن أهمِّ أَسْبَاب تَرَحُّلِها عَن القُلُوب لَوَجَدْنَاه أَيُّها الأَحِبَّة فيمَا يُرتَكَب مِن الذُّنُوبِ الَّتِي هِي أَصْل كُلِّ داءٍ وسَبَبُ كُلِّ شقاءٍ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلَّمَا اشْتَدَّت مُلَابَسَتُه للذُّنُوب أُخْرِجَت مِن قلبِه الغَيْرَةُ عَلَى نَفْسِه وأَهْلِه وعُمُوم النَّاسِ، وقَد تَضْعُف فِي القَلْب جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِح بَعْد ذَلِك القَبِيحَ، لَا مِن نَفْسه وَلَا مِن غَيْرِه، وإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الحدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بابِ الهَلَاك».(٣)

فَعَلَيْكَ يَا مَن وَفَّقك العَزِيزُ العليمُ أَنْ تَتَّصِف بِهَذَا الخُلُق القويمِ،

---

(١) رَوْضَةُ المُحِبِّينَ (ص٢٧٤).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢٤٤).

(٣) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٥).

وأنْ تَحْمَدَ وتَشْكُرَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الجَوَادَ الكَرِيمَ وتَسْتحضِر أنَّك تَتَحلَّى بخُلُقٍ جميلٍ وأدبٍ نبيلٍ يحبُّه العلَّامُ الجليلُ، بَلْ تَتَّصِفُ بِصِفة مِنَ الأوصافِ الفعليةِ الثابتةِ لربِّ البَرِيَّةِ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنّ الله يَغَارُ، وَإِنّ الْمُؤْمِنَ يَغارُ، وَغَيْرَةُ الله أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرّمَ عَلَيْه**».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي هَذَا الحديث: إثباتُ الغَيْرَة لله تعالى، وسبيلُ أهلِ السُّنَّة والجَمَاعة فِيهِ وفِي غَيْرِهِ مِن آيات الصِّفَات وأحاديثِ الصِّفَات أنَّهم يُثْبِتُونَها لله سُبْحَانَه وتعالى عَلَى الوّجْه اللَّائقِ بِه، يَقُولون: إنَّ اللهَ يَغَار لكنْ لَيْسَ كغَيْرَة المَخْلوق، وإنَّ الله يَفْرح ولكنْ لَيْسَ كفَرَحِ المَخْلوق، وإن الله سُبْحَانَه وتعالى لَهُ مِن الصِّفَات الكامِلَة مَا يَلِيق به، وَلَا تُشْبِهُ صِفاتِ المَخْلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والله الموفِّق».(٢)

واعلمْ، يَا مَن اجتهدْتَ فِي التَّحَلِّي بِصِفةٍ يحبُّها ويَتَّصفُ بِهَا

(١) رَوَاه البُخَارِي (٤٩٢٥) ومسلم (٢٧٦١) واللفظ له.
(٢) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (١/ ٤٩٧).

الرَّحْمَن، أنَّك سَتَنَالُ بإذْنِ العَزِيزِ المَنَّانِ الخيرَ والرِّضْوانَ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالغَيُورُ قد وَافَقَ ربَّه سُبْحَانَه فِي صِفةٍ مِن صِفَاته، ومَن وَافَقَ اللهَ فِي صِفةٍ مِن صِفَاته قَادَتْه تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْه بِزِمَامِه وأَدْخَلَتْه عَلَى ربِّه وأَدْنَتْه مِنْهُ وقَرَّبَته مِن رحمَتِه وصَيَّرَته محبوبًا له، فإنَّه سُبْحَانَه رحيمٌ يحبُّ الرُّحَماءَ، كريمٌ يحبُّ الكُرَماءَ، عليمٌ يحبُّ العُلَمَاءَ، قويٌّ يحبُّ المؤمنَ القويَّ، وهو أَحَبُّ إِلَيْه مِن المؤمنِ الضعيفِ»[(١)]

واحْذَرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن تَلْبيسِ ومَكْرِ الشَّيْطَان الَّذِي يسعى دَائِمًا إِلَى أنْ يَمِيلَ بِكَ عن الصِّراطِ المُسْتقيمِ والهَدْيِ القويمِ فيَجْعلَك تَضَعُ مَا تَحَلَّيْتَ بِهِ مِن غَيْرَةٍ محمودةٍ فِي غيرِ مَوْضِعِها، أَو تَتَجاوزُ حدَّها، فعن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**».[(٢)]

يَقُول الإِمَام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله «فَالْغَيْرَة فِي الرِّيبَةِ» نَحْو أنْ

(١) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٤).

(٢) رَوَاه أَبُو دَاوُد (٢٦٥٩) وحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يَغْتَارَ الرَّجُل عَلَى محَارِمِه إِذَا رَأَى مِنْهُم فعلًا مُحَرَّمًا؛ فإِنَّ الغَيرة فِي ذَلِك ونحوه مِمَّا يحبُّه الله وَأمَّا الغَيْرَة فِي غَيْر الرِّيبَةِ فنَحْو أنْ يَغْتَارَ الرَّجُل عَلَى أمِّه أنْ يَنْكِحَها زوجُها، وكذَلِك سائر محارِمِه، فإنَّ هَذَا مِمَّا يُبْغِضُه الله تعالى؛ لِأَنَّ مَا أَحَلَّه الله تعالى فالواجبُ عَلَيْنَا الرضا به، فإنْ لم نَرْضَ بِهِ كَان ذَلِك مِن إيثار حَمِيَّةِ الجَاهِلِيَّة عَلَى مَا شرعه الله لنا».(١)

وإيَّاك أَيْضًا مِن التسرُّع والعُقُوبَة وعدمِ قَبُولِ عُذْر مَن اعتَذَرَ إِلَيْكَ بِسَبَب شُعُورِك بالغَيرةِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِن العَجَلَة الَّتِي فِي الغالبِ تُبْعِدُ صاحبَها عن كلِّ خيرٍ، وتُوقِعُه فِي الشرِّ، يَقُول الإِمَام ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّمَا الممدوحُ اقترانُ الغَيْرَة بالعُذْر فيَغَارُ فِي محَلِّ الغَيْرَة ويَعْذِرُ فِي مَوضِعِ العُذْر، ومَن كَان هكذا فَهُوَ المَمْدوحُ حَقًّا».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإيَّاكُم لكلِّ خيرٍ، ومِن ذَلِك التَّحَلِّي بالغَيْرَة المحمودةِ، وغَيْرِها مِن الأَخْلَاق

(١) نَيْلُ الأَوْطَارِ (٧/ ٢٨٧).

(٢) الجَوَابُ الكَافِي (ص٤٤).

الفاضِلَة والصِّفَاتِ الكَرِيمةِ الَّتي تَجْلبُ الفَرَحَ والسُّرُورَ، وأنْ يُجَنِّبَنا كلَّ مَا يُبعدنا عَنْه سُبْحَانَه، ومِن ذَلِك الاتصافُ بِكُلِّ ما هُوَ مِن الشرورِ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك والكَرِيمُ الغفورُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تحذير الفضلاء من خلق الجفاء

تَحْذِيرُ الفُضَلاءِ مِن خُلقِ الجَفَاءِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إِنَّ تحلِّي المُسْلِم بالأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ، كالرِّفْقِ واللِّينِ لَهُوَ مِن أَفْضلِ الوَسَائِلِ الَّتِي تُعينُه بإذْنِ ربِّ العَالَمِينَ عَلَى التأثيرِ وكَسْبِ مَودَّةِ الآخرين، كمَا أنَّ اتِّصَافَه أَيُّها الأَفَاضِلُ بالأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، كالغَضَبِ والغِلظة، مِن أكثرِ الأَسْبَابِ الَّتِي لَا تَجْعلُه محبوبًا بَيْن إِخْوَانِه وأصحابِه وغَيْرِهم مِنَ المُسْلِمِينَ، يَقُول أرحمُ الرَّاحِمِينَ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: بِرحمة اللهِ لَكَ ولِأصحابِك، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ أنْ أَلَنْتَ لهُم جانِبَك، وخَفَضْتَ لهم جَنَاحَك، وتَرَقَّقْت عَلَيْهم، وحَسَّنْتَ لهم خُلُقَك، فاجتمَعُوا عَلَيْكَ وأحبُّوك، وامْتَثُلوا أَمْرَك.

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا﴾ أيْ: سيِّء الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ أي: قاسِيَه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرُهم ويُبَغِّضُهم لِمَن قامَ بِهِ هَذَا الخُلُق السيِّء.

فالأَخْلَاقُ الحَسَنَةُ مِن الرئيس فِي الدِّين، تَجْذِب النَّاسَ إِلَى دِين اللهِ وتُرَغِّبُهم فيه، مَع مَا لِصَاحبِه مِن المَدْح والثَّوَاب الخاصِّ، والأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ مِن الرئيسِ فِي الدِّين تُنَفِّرُ النَّاسَ عن الدِّينِ وتُبَغِّضُهم إِلَيْه، مَع مَا لِصاحبِها مِن الذَّم والعِقَاب الخاصِّ، فَهَذَا الرَسُولُ المعصومُ يَقُول اللهُ لَهُ مَا يقول، فكَيْفَ بِغَيْرِه؟!

أَلَيْسَ مِن أَوْجَبِ الواجباتِ، وأهمِّ المُهِمَّات، الِاقْتِداءُ بأَخْلَاقه الكَرِيمة، ومعَامَلَةُ النَّاس بمَا يُعَامِلُهم بِهِ ﷺ، مِن اللِّينِ وحُسْنِ الخُلُقِ والتأليفِ؛ امتِثَالًا لَأَمْرِ الله، وجَذْبًا لِعَباد الله لِدِين الله؟»(١)

وإنَّ مِن أكثرِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمةِ والأَخْلَاقِ القَبِيحَةِ تَأثيرًا عَلَى أَوَاصِرِ المَحَبَّةِ بَيْن المُسْلِم وإِخْوَانه، والتي تُحدِثُ بَيْنه وبَيْنهم النُّفرةَ والشِّقَاقَ أَيُّها الأَحِبَّة الفُضَلَاءُ صفةُ الجَفَاءِ، يَقُول الإِمَام العَيْنِي

(١) تفسير السَّعْدِي (ص١٥٤).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجَفَاءُ، وهو الغِلْظُ فِي الطَّبْعِ لِقِلَّة مُخالَطَةِ النَّاس».(١)

لِذَا فإنَّ هَذَا الطَّبْعَ المُشِينَ لَيْسَ أَبَدًا مِن صِفَات الصَّالِحِين، وَلَا هُوَ مِن هَدْيِ المُتَّقِينَ؛ لِأَنَّهم يَعْلمون أنَّ آثارَه ذَمِيمَةٌ، وعَواقِبُه وَخِيمَةٌ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النّارِ**».(٢)

يَقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «"الْبَذَاءُ"، بِفَتْح الباءِ، خِلَافُ الحَيَاءِ، النَّاشئُ مِنْهُ الفُحْشُ فِي القولِ والسوءُ فِي الخُلُقِ، "مِنَ الْجَفَاءِ" وهو خِلاف البِرِّ الصادرِ مِنْهُ الوفاءُ، "وَالْجَفَاءُ" أيْ أهلُه التارِكون للوفاءِ الثَّابِتُون عَلَى غَلَاظَة الطَّبع وقَسَاوَةِ القَلْبِ "فِي النَّارِ" إمَّا مُدَّةً أَو أبدًا؛ لأَنَّهُ فِي مقابِلِ الإِيمَانِ الكاملِ أَو مُطْلَقِه، فصَاحِبُه إمَّا مِن أهلِ الكُفرانِ أَو الكُفْرِ».(٣)

فالمُؤمنُ أَيُّها الكِرَام هو الَّذِي يَحْرِص دَائِمًا عَلَى اجتنابِه ويَجتهدُ عَلَى التَّخلُّصِ مِنْهُ لَو شَعَر أَنَّهُ قَد تأَثَّرَ بِهِ، يَقُول الإِمَام ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقلُ يَتفقَّدُ تَرْكَ الجَفْوَةِ مع الإِخْوَانِ ويُراعِي مَحْوَها إِنْ

---

(١) عُمْدَةُ القَارِي (٢٣/ ٩٦).

(٢) رَوَاه التِّرمِذِي (٢٠٠٩) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٩/ ٢٧٤).

بَدَت مِنه، وَلَا يَجِب أَنْ يَسْتَضعِفَ الجَفْوَةَ اليَسِيرة؛ لِأَنَّ مَن استصغرَ الصغيرَ يُوشِكُ أنْ يَجْمَعَ إِلَيْه صغيرًا، فإِذَا الصغيرُ كَبِيرٌ، بَل يَبْلغُ مَجهودَه فِي مَحوِها؛ لأَنَّهُ لَا خيرَ فِي الصِّدق إِلَّا مع الوفاءِ، كما لَا خيرَ فِي الفِقْهِ إِلَّا مع الوَرَعِ». (١)

بل يَبْتعد كَذَلِك أَشَدَّ البُعد عمَّن ابْتُلِي بِهَذَا الوباءِ؛ لأَنَّهُ يَعْلم أنَّ الصُّحبةَ مؤثِّرةٌ فِي إصلاحِ أَو إفسادِ الحال، يَقُول الإِمَام سُفْيَان الثَّوْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إيَّاك ومُجالَسَةَ أهلِ الجَفاءِ». (٢)

إنَّ مِمَّا عَلَيْنَا أنْ نَعْلمه أَيُّها الأَحِبَّة الفُضَلاءُ أنَّ مِن أهمِّ أَسْبَابِ انْتِشَارِ داءِ الجفاءِ بَيْن بَعْضِ المُسْلِمِينَ قِلَّةَ العِلم وذهابُ العُلَماءِ الَّذِينَ هُم مَنَاراتٌ للهُدَى فِي الظَّلْماءِ، وسدٌّ مَنِيعٌ أَمَامَ كلِّ البِدَعِ والأَهْواءِ، يَقُول الإِمَام مَالِك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا قَلَّت الآثارُ فِي قَوْم إِلَّا كَثُرَت فيهم الأهواءُ، وإِذَا قلَّت العُلَماء ظَهَرَ فِي النَّاسِ الجفاءُ». (٣)

وَلِذَا نرى أنَّ أكثرَ مَن ابتُلِي بِهِ مِن الأَنَامِ أَيُّها الأَفَاضِلُ الكِرَام هم

---

(١) رَوْضَة العُقلاءِ (ص٨٩).

(٢) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء (٧/ ٤٧).

(٣) الفَقِيهُ والمُتَفَقِّهُ (١/ ٣٨٣).

سُكَّان البوادي؛ وذَلِك بِسَبَب بُعْدِهم عَن أهلِ العِلم وقلَّة مُخالطَتِهم لِلنَّاسِ، يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أيِ الجفاء الغالِبُ عَلَى سُكَّان البَوَادي لِبُعْدِهم عن أهْلِ العِلم، وقلَّة اختلاطِهم بالنَّاسِ، فصَارَت طِبَاعُهم كَطِباعِ الوُحُوشِ».(١)

وَهَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ نبيُّنا الكَرِيمُ عَلَيْه أفضل الصَّلَاة والتسليم، فعن أبي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ**».(٢)

يَقُول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأَظْهَرُ أَنَّ المُرادَ بِهِ هَهُنا أيْ بالجفاءِ غِلَظ الأَلْسِنَة بِقَرينَةِ قولِه: «وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ» بيان للفدادين، ويُرادُ بأهلِ الوَبَرِ الأَعْرابُ أَو سكَّان الصحارى، وإنَّمَا ذَمَّهم لِبُعدِهم عنِ المُدُن والقُرى المُوجِب لِقِلَّة العِلم الحاصِل بِهِ حُسْنُ الأَخْلَاق وسائرُ علومِ الشريعةِ».(٣)

ويَقُول الشَّيخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رُعاةُ الإبلِ أكثرُ ما يَكُون

---

(١) مِرْقَاة المَفَاتِيح (٧/ ٢٥٥).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٣٣٠٧).

(٣) مِرْقَاة المَفَاتِيح (١١/ ٤٠٢).

فيهم الجفاءُ والغلظةُ؛ لِأَنَّ الإبل كَذَلِك غليظةٌ قويةٌ جبارةٌ».(١)

فعَلَى المُسْلِم أَنْ يَحْرِصَ عَلَى مُخَالَطَة النَّاس والسُّكْنَى مَعَهم ليُفيدَ ويَسْتفيدَ مِن ذَلِك، ولْيَحذرْ أَشَدَّ الحَذَرِ مِن الأَسْبَاب الَّتِي تُؤدِّي بِهِ إِلَى الابْتَلاءِ بِهَذَا الدَّاءِ؛ ومِن ذَلِك سُكْنَى الباديةِ والبُعْدُ عن النَّاس، فعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**مَنْ بَدَا جَفَا**».(٢)

يَقُول الإِمَام ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ««بدا»، بِالدَّالِ المُهْمَلة: خَرَج إِلَى البَادِية: أَيْ مَنْ سَكَنَ البادِيَة غَلَظَ طَبْعُه لِقِلَّة مُخَالَطَة النَّاس، والجفاء: غِلَظُ الطَّبْعِ».(٣)

ولْيَحْرِصْ كَذَلِك أَشَدَّ الحِرْص عَلَى الأَسْبَاب الَّتِي تُعِينُه عَلَى تَرْقِيقِ قَلْبه وتَحْسينِ طَبْعِه، ومِن أهمِّها أنْ يَجْتهدَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُقرِّبُه من ربِّه سُبْحَانَه؛ كقِرَاءةِ القرآنِ والأذكارِ والتَّفقُّهِ فِي الدِّينِ،

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٣/ ٨٣).

(٢) رَوَاه الإِمَام أحمد فِي المُسْنَد (٤/ ٢٩٧) وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صَحِيح الجَامِع (٦١٢٣).

(٣) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الأَثَرِ (١/ ٢٨١).

وغيرِها مِمَّا يُحبُ ربُّ العَالَمِينَ، وعَلَيْه أَيْضًا أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الإحْسَانِ ومَدِّ يدِ العَوْن إِلَى الآخرين، خاصةً المُسْتَضْعَفِين مِن الفُقَرَاءِ والمساكينِ، ويَسْتحضِرَ أنَّ لِحُسْنِ الخُلُقِ تأثيرًا كَبِيرًا عَلَى إيمانِ العَبْدِ بأرحمِ الرَّاحِمِينَ، فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».(١)

يَقُول الشَّيْخ ابنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي أنْ يَكُون هَذَا الحديثُ دَائِمًا نُصْبَ عَيْنِ المؤمنِ؛ لِأَنَّ الإِنْسَان إِذَا عَلِم بأَنَّهُ لن يَكُون كاملَ الإِيمَانِ إلا إِذَا أَحْسَنَ خُلُقَه، كَان ذَلِك دافعًا لَهُ عَلَى التخلُّقِ بمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ ومَعَالي الصِّفَاتِ، وتَرْكِ سَفَاسِفِها ورَدِيئِها».(٢)

فاللهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يُوَفِّقَنا وإيَّاكُم لكلِّ مَا يُقرِّبُنا إِلَيْه، ومِن ذَلِك التَّحلِّي بالأَخْلَاقِ الفاضلةِ، كالرِّفْقِ واللِّينِ، وأنْ يُجَنِّبَنا كلَّ مَا يُبعِدُنا عَنْه سُبْحَانَه، ومِن ذَلِك الجفاءُ وكلُّ خُلُقٍ مُشينٍ، فَهُوَ سُبْحَانَه وليُّ ذَلِك وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين

---

(١) رَوَاه أَبُو دَاوُدَ (٤٦٨٢)، وصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ للشَّيْخ ابْنِ عُثَيْمِينٍ (ص١٠).

رسالة إلى الطاعنين في الأنساب!

رِسالةٌ إِلَى الطَّاعِنين فِي الأَنْسَاب!

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَى آله وصَحْبه أَجْمَعِينَ.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الطَّعْنَ فِي الأَنْسَاب أَيُّها الأَحْبَابُ مِن الصُّوَرِ السَّلْبيةِ ومَظَاهرِ الجَاهِلِيَّة الَّتِي نَرَاها قَد انْتَشَرت اليَوْم فِي الكَثِير مِن مُجْتَمعاتنا الإِسْلَامِيَّة، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّعْن فِي النَّسَبِ مَعْنَاه التَّعْيير بالنَّسَبِ أَو أنْ يَنْفِيَ نَسَبه؛ فمَثَلًا يَقُول فِي التَّعْيير: أنتَ مِن القبيلةِ الفلانيَّةِ الَّتِي لَا تَدْفعُ العدوَّ وَلَا تَحْمي الفَقِيرَ.

ويَذْكرُ فِيهَا مَعَايِبَ، أَو مثلًا يقول: أنت تَدَّعِي أنَّك مِن آل فلانٍ ولستَ منهم، أنت مَا فِيكَ خيرُ هَؤُلَاءِ القبيلة، ولَوْ كُنتَ مِنْهُم لكَان فِيكَ خيرٌ، أَو مَا أشبه ذَلِك».(١)

---

(١) شَرح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٦/ ٢٦٤).

وظُهورُ هَذَا الفعلِ الذَّمِيمِ والخُلُقِ المُشِينِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ هُوَ مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَنا بِهِ خَيْرُ المُرْسَلِين، فعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ.**»(١)

يَقُول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرْبَعٌ» أيْ خِصَالٌ أربعٌ كائنة «فِي أُمَّتِي مِن أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ» أيْ مِن أَفْعَال أهلها، «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» حَالَانِ مِن الضَّمِيرِ المُتحوِّل إِلَى الجار والمجرور ذَكَرَه الطَّيِّبِي «الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ» أيِ الشَّرَفُ بالآباء والتعاظُمُ بمَنَاقِبِهم، «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ» أي الوقوعُ فِيهَا بنحو قَدْحٍ أَو ذمٍّ، «وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ» أي اعتقادُ أَنَّ نُزُولَ المطر بنجمِ كذا، «وَالنِّيَاحَةُ» أيْ رَفْع الصَّوت بِنَدْبِ الميتِ وتَعْدِيد شمائِله؛ فالأَرْبعُ مُحَرَّمَاتٌ ومع ذَلِك لَا تَتْرُكُها هَذِهِ الأمةُ، أي أكثرُهم، مع العِلم بتَحرِيمِها».(٢)

يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» المراد:

---

(١) رَوَاه مسلم (٩٣٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٣٧).

لَا يَتركون كلَّ واحدٍ مِنْهَا باعتبارِ المجموعِ بالمجموعِ، بأنْ يَكُون كلُّ واحدٍ مِنْهَا عند جماعةٍ، والثاني عِنْدَ آخَرين، والثالثُ عِنْدَ آخرين، والرابع عِنْدَ آخَرين، وقد تَجْتمع هَذِهِ الأقسامُ فِي قبيلةٍ، وقد تَخْلو بَعْضُ القبائل مِنْهَا جَمِيعًا، إنَّمَا الأُمَّة كمَجْموعٍ لَا بدَّ أنْ يوجَد فِيهَا شَيْء من ذَلِك؛ لِأَنَّ هَذَا خَبَر مِن الصادقِ المصدوقِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمُراد بِهَذَا الخبر التنفيرُ؛ لأَنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد يُخْبر بأشياءَ تَقَع، وليس غَرَضُه أنْ يُؤخَذُ بها». (١)

فيا أَيُّها الطاعنُ فِي نَسَبِ أخيك المُسْلِم، أَلَّا تَعْلم أنَّك بِهَذَا تتصف بشيء من أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة الرديَّة الَّتِي حَذَّرنا مِنْهَا خيرُ البريةِ؟! فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كَان بَيْنِي وبَيْن رَجُل مِن إِخْوَاني كَلَامٌ، وكَانت أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُه بِأُمِّهِ، فشكَاني إِلَى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**». (٢)

يَقُول الإِمَام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أي هَذَا التَّعْيِيرُ مِن أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة، فَفِيكَ خُلُقٌ مِن أَخْلَاقهم، ويَنْبَغِي للمُسْلم أَلَّا يَكُون فِيهِ

---

(١) القَوْلُ المُفيدُ عَلَى كِتَاب التَّوْحِيد (٢/ ٢٣).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٣٠) ومسلم (١٦٦١) واللفظ له.

شَيْء مِن أَخْلَاقهم، ففِيهِ النَّهْي عن التَّعْيير وتَنْقيصِ الآباءِ والأمهاتِ، وأَنَّهُ مِن أَخْلَاق الجَاهِلِيَّة».(١)

يَقول الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَظهرُ لي أنَّ ذَلِك كَان مِن أبي ذَرٍّ قَبْلَ أنْ يَعْرِف تَحريمَه، فكَانت تِلْكَ الخَصْلةُ مِن خِصال الجَاهِلِيَّة باقيةً عنده».(٢)

يا أَيُّها الطاعنُ فِي نَسَبِ أخيك المُسْلِم، أَلَّا تَعْلم أنَّك بِهَذا تَتَحلَّى بوصفٍ لَيْسَ مِن سِمات الأفاضلِ الأَخْيَار، بَلْ هُوَ مِن أَخْلَاق الكفارِ الأشرار؟! فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».(٣)**

يَقُول الإِمَام ابْن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِي المرادِ بالكفر وَجْهان؛ أحدهما: أنْ يَكُون كُفْرُ النِّعمة، فإنَّ مَن طَعَن فِي نَسَبِ غيرِه فقدْ

(١) الشَّرْح النووي عَلَى صَحِيح مُسْلِم (١١/ ١٣٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٨٧).

(٣) رَواه مسلم (٦٧).

كفر بنِعمة الله عَلَيْه بسلامته من ذَلِك الطعن، ومَن ناح عَلَى مِيت فقدْ كفَرَ نِعمةَ الله عَلَيْه إذ لم يكن هُوَ الميت. والثاني: أنْ يَكُون المعنى: أنَّهمَا مِن أَفْعَال الكفارِ لَا مِن خلال المُسْلِمِينَ».(١)

ويَقُول الإِمَام النَّوَوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفِيهِ أقوالٌ؛ أَصَحُّها: أنَّ معناه همَا مِن أَعْمَال الكُفَّارِ وأَخْلَاق الجَاهِلِيَّة. والثاني: أَنَّهُ يؤدِّي إِلَى الكُفر. والثالث: أَنَّهُ كُفْرُ النِّعمةِ والإحسانِ. والرابع: أن ذَلِك فِي المستَحِلِّ، وفي هَذَا الحديثِ تَغليظُ تَحريمِ الطَّعنِ فِي النَّسَب والنِّيَاحةِ، وقد جاء فِي كلِّ واحدٍ منهمَا نصوصٌ مَعْرُوفةٌ، والله أعلم».(٢)

أَلَا تَعْلم كذَلِك أنَّك بِصنيعِك هَذَا تَقعُ فِي فعلٍ ذَميمٍ قد حَذَّرَنا مِنْهُ رَسُولُ العَزِيزِ القديرِ أَشَدَّ التَّحْذِير؛ أَلَا وهو احْتقارُ الآخَرين؟! فعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**».(٣)

---

(١) كَشْفُ المُشْكِلِ (٣/ ٥٥٦).

(٢) الشَّرح عَلَى صَحِيح مُسْلِم (٢/ ٥٧).

(٣) رَوَاه مسلم (٢٥٦٤).

يَقُول الإمَام ابنُ دَقِيقِ العِيدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِيهِ تَحْذِيرٌ عظِيمٌ مِن ذَلِك؛ لِأَنَّ الله تعالى لم يَحْقِره إذْ خَلَقَه ورَزَقَه، ثُمَّ أَحْسنَ تَقويمِ خَلْقِه، وسَخَّر مَا فِي السموات ومَا فِي الأرض جَمِيعًا لأجْلِه، وإن كَان لَهُ ولِغَيْره فلَهُ مِن ذَلِك حِصَّة، ثُمَّ إن الله سُبْحَانَه سمَّاه مُسلمًا ومؤمنًا وعبدًا، وبَلَغَ مِن أَمْره إِلَى أنْ جَعَلَ الرَسُولَ مِنْهُ إِلَيْه مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَن حَقَر مُسلمًا مِن المُسْلِمِينَ، فقدْ حَقَرَ مَا عظَّم اللهُ عز وجل، وكافِيهِ ذَلِك؛ فإنَّ مِن احتقارِ المُسْلِم للمسلم أَلَّا يُسَلِّمَ عَلَيْه إِذَا مرَّ، وَلَا يردَّ عَلَيْه السَّلَام إِذَا بدأ به، ومِنْهَا أنْ يَرَاه دُونَ أنْ يُدْخِلَه اللهُ الجنةَ أَو يُبْعِدَه مِن النارِ».(١)

أَنَسِيت أَيْضًا أَيُّها الطاعن فِي الأَنْسَاب أنَّ الميزانَ الحَقِيقِيَّ الَّذِي يُوزَن بِهِ الأَنَامُ عندَ العَزِيزِ العلَّامِ هُوَ تَقْوى الغفورِ الرَّحْمَن؟! حَيْثُ يَقُول الكَرِيم المَنَّان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

(١) شَرْحُ الأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّة لِابْنِ دَقِيقٍ (ص٩٢).

يَقُول الشَّيْخ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبر تعالى أَنَّهُ خَلَقَ بَنِي آدمَ، مِن أصلٍ واحدٍ، وجِنس واحدٍ، وكلُّهم مِن ذَكرٍ وأنثى، ويَرْجعون جَمِيعُهم إِلَى آدمَ وحواءَ، ولكنَّ الله تعالى بَثَّ منهمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونساءً، وفَرَّقهم وجَعَلهم ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: قبائِلَ صِغارًا وكِبارًا؛ وذَلِك لأَجْل أنْ يَتَعارفوا، فإنَّهم لَو استقلَّ كُلُّ واحدٍ مِنْهُم بنَفْسه، لم يَحْصل بذَلِك التعارُفُ الَّذِي يَترتَّبُ عَلَيْه التناصُر والتعاوُن، والتوارُث، والقيامُ بحقوقِ الأقاربِ، ولكنَّ الله جَعَلهم شعوبًا وقبائلَ لأَجْل أنْ تَحْصل هَذِهِ الأمورُ وغيرها، مِمَّا يَتوقَّفُ عَلَى التعارُف، ولُحُوق الأَنْسَاب، ولكنَّ الكَرَم بالتَّقْوَى، فأكرَمُهم عند الله أَتْقَاهُم، وهو أكثرُهم طَاعَةً وانكفافًا عن المَعَاصِي، لَا أكثرُهم قرابةً وقومًا، وَلَا أشرفُهم نسبًا، ولكنَّ الله تعالى ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، يَعْلم مَن يَقُوم مِنْهُم بتقوى الله ظاهرًا وباطنًا، ممَّن يَقُوم بذَلِك ظاهرًا لَا باطنًا، فيُجازِي كلًّا بمَا يستحقُّ».(١)

فبادِرْ أَيُّها المسيء بالتَّوْبَة والرُّجُوع إِلَى الغفورِ العلَّامِ قَبْل فَوَات

(١) تفسير السَّعْدِي (ص٨٠٢).

الأَوَانِ، واترُك عَنْك الطَّعْن فِي أنسابِ الأَنَامِ، الَّذِي مَا جَلَبَ عَلَى المُسْلِمِينَ كَمَا نَرَى ونُشاهِد اليَوْم إِلَّا التفرُّق والتشتُّت والانقسام الَّذِي استغله أعداءُ الإِسْلَام، واحرِص أنْ تَكُون عونًا عَلَى أنْ تَسُودَ بَيْن المُسْلِمِينَ المَحَبَّةُ والإخاءُ، لَا سببًا فِي نَشْر العداوةِ والبغضاءِ، يَقُول الشَّيْخ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسْلِم مع إِخْوَانه أنْ يَكُون هينًا ليِّنًا بالقول وبالفعل؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُوجِب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهَذِه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام عن كلِّ مَا يُوجِب العداوة والبغضاء».[(١)]

وعَلَى كلِّ مَن أرادَ النجاحَ والفلاحَ بإذْن ربِّ البَرِية فِي الدُّنيا الفانيةِ والآخرةِ الباقيةِ أنْ يَعْمل بِهَذِهِ الوَصِيَّة النبويَّةِ، فعَن سَهْلِ بْن سَعْدٍ السَّاعِدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن يَضْمَنْ لي مَا بَيْن لَحْيَيْهِ ومَا بَيْن رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»**.[(٢)]

يَقُول ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دَلَّ الحديثُ أَنَّ أعظَمَ البلاءِ عَلَى العَبْد

---

(١) شَرْح رِيَاضِ الصَّالِحِينَ (٢/ ٥٤٤).

(٢) رَوَاه البُخَارِي (٦١٠٩).

فِي الدُّنْيا اللسانُ والفَرْجُ، فمَنْ وُقِيَ شرَّهمَا فقدْ وُقِيَ أعظمَ الشرِّ».(١)

فاللّهَ أَسْأَلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِه العُلْيَا أنْ يَحفظ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ مِنْ كَيْد الفُجَّارِ ومَكْر الأشرارِ، وأنْ يَنْشرَ بَيْنهم المَحَبَّةَ والإخاءَ ويُبْعد عَنْهم العداوةَ والبغضاءَ، وأنْ يَجْمع كَلِمَتَهم عَلَى الحقِّ، فَهُوَ سُبْحَانَه قديرٌ، وبالإجابةِ جَدِيرٌ.

وَصلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

---

(١) شَرْح صَحِيحِ البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ (١٠/ ١٨٦).

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأبيات الشعرية.

٥- المصادر المعتمدة.

٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

فِهْرِسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	٨٣	١٦٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٨٨	١٥٦
﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٢٣٩ ٣٠٥
﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٣٧	٢٧٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا	٢٦٤	١٣٥

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾		
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٨٠	٣٠٧

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يا أَيُّها النَّاس اتقوا الله حق تقاته﴾	١٠٢	٥
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	١٠٣	٢٦١
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	١٦
﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	١٢٠	٢٨٦
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	٢٩٤

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	٢٢٠ ٣٢٧
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	١٨٥	١٥٦

سورة النِّسَاء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يا أَيُّها النَّاس اتقوا ربكم﴾	١	٥

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٢٣٣
﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾	٤٢	١٥٩
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾	٥١	٢٥٣
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾	١٠٠	١٢٣

سورة التَّوْبَة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصَّلَاة وآتى الزكاة ولم يخش إِلَّا الله﴾	١٨	٢٠٥

سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾	٦١	١٨٣

سورة يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾	٥٣	١٦

سورة إبراهِيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾	٧	٢٦٣

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾	٥٣	١٦٩

سورة النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٦٢	١٨٣

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	١٦٩

سورة الروم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس لِيُذِيقَهُمْ بَعْض الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٤١	٤٨

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْك إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	٢٧٦

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يأيها الَّذِينَ آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا...﴾	٧٠-٧١	٥

﴿لقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾	٢١	٣٣

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	١٨٠

سورة فصلت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إِلَى اللهِ وعمل صالحا وقال إنني من المُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٦٩
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	٣٤	١٧٣

سورة الشورى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٣٢٠
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾	٣٠	٤٧
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُو نَ ﴾	٣٨	٢٩٥
﴿فمن عفا وأصلح فأجره عَلَى الله﴾	٤٠	١١٤

سورة الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّها النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	١٣	٣٤٢

سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وما خلق الجن والإنس إِلَّا ليعبدون﴾	٥٦	٥٠

سورة المطففين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَفِي ذَلِك فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾	٢٦	٢٢

سورة الطارق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	٩	١٥

سورة العلق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَنْ رَءاه اسْتَغْنَى﴾	٦–٧	١٠٣

فهرس
الأحاديث النبوية

فِهْرِسُ الأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ	١٣٩ ١٧٠
اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٤٠
اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ	أَبُو بَرْزَةَ	٢٤٣
انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٠٥
أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٠٦
أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ	أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ	٣٣٨
أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨١
أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً	النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ	١٣
أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ	ابْنُ عُمَرَ	٦٢ ٧٩ ١٦٢ ٢٣٢ ٢٥٤

أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٣٣
أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِسَبْعٍ	أَبُو ذَرٍّ	٩٩
أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٠٨
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٥
أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	١٩٤
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ	أَنَسٌ	٢٠٩
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٨٨
أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٥١
إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٩٣
إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا	رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ	٤٥
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ	جَابِرٌ	٢٣٢

إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ	عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ	٧٦
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا	أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ	١٧١
إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا	عَيَّاضُ بْنُ حِمَارٍ	٩٧
إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٢٠
إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ	عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ الْعَبْدِيُّ	٢٢٨
إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ	أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ	٢١٦
إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ	ابْنُ عَبَّاسٍ	١٤٤
الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٠
إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ	أَنَسٌ	٢٠٧
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٤١
الْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٢٩
بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا	أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ	٢١٧
بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ	١٩٥
بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٥

التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ	أَنَسٌ	٢١٠
تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	أَبُو ذَرٍّ	٣٤
تَهَادُوا تَحَابُّوا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٦٥
تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣١
ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	أَبُو ذَرٍّ	١٣٧
الْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ	أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ	٣٣١
حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ	٣٠٩
خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٤٦
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ	عَائِشَةُ	٢٢١
الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ	النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ	١٧٩
رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٠٤
الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٢١
فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ	عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيُّ	٢٣
قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا	أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ	١٠٢
لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مَنْ قَبْلِكُمْ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٢٤٩

لَعْنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو	١٥٧
لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٥٦
لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ	عَائِشَةُ	٦٤
لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ	أَنَسٌ	١٣٣
لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٤
اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ	١٤
اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا	أَنَسٌ	١٠٣
لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٥٣
لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	١٧٥
لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا	أَبُو ذَرٍّ	٣٦
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ	جَابِرٌ	٩٠-١٥٩
كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ	جَابِرٌ	٧٤
كَانَ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ سَلَّمَ	جَابِرٌ	٧٢
الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٧٢

كُنتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ	٧٧
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا	عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيُّ	٣٣
مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٩٨
مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	أَبُو هُرَيْرَةَ	١١٥
مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً	مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ	٩١
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	١٨٧
الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ	جَابِرٌ	٢٦٧
مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ	أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ	٢٥٥
الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٠٠
مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ	مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ	٤٢
مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيُجْزِ بِهِ	جَابِرٌ	٢٧٨
مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣١١
مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ	بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ	٣١٠

مَنْ بَدَا جَفَا	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	٣٣٢
مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٥٢
مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُوم مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ	جَابِرٌ	١٩٩
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٦٢
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	أَبُو قَتَادَةَ	٣١٢
مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ	٢٧٣
مَنْ صُنِعَ إِلَيْه مَعْرُوفٌ فقَالَ لِفَاعِلِهِ	أُسَامَةُ بْنِ زَيْدٍ	٢٧٥
مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا	أَبُو هُرَيْرَةَ	٨٧
مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ	جَابِرُ بْنُ عَتِيكٍ	٣٢١
مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٢
مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	٢٠٠
مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٧١
مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ	سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ	٣٤٤
الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ	أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ	١٩٩
وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ	أَبُو هُرَيْرَةَ	٢٤٣
هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ	سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	١٠٠

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	أَبُو ذَرٍّ	٣٣٩
يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا	عَلِيٌّ	١٩٦
يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٨٦

فهرس الآثار

فِهْرِسُ الآثَارُ

الأثر	القائل	الصفحة
إِذَا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت	بِشْر بْن الحَارِثِ الحافِي	٥٠
إِذَا دخلَت الرِّشوة مِن الباب خرجت	الحَسَن البَصْرِي	١٥٥
إنَّ حَقًّا عَلَى مَن طَلَبَ العِلم أن يَكُون لَهُ	الإِمَام مَالِك	١٤٨
إنَّ الله تبارك وتعالى لم يَأْمُر نَبِيَّه بالمَشورة	الحَسَن البَصْرِي	٢٩٤
إيَّاك ومجالسةَ أهل الجفاء	سُفْيَان الثَّوْرِي	٣٣٠
الذي يفوق النَّاس فِي العلم جدير	الحَسَن البَصْرِي	١١٧
السُّحت الرِّشوة	عَبْد الله بن مَسْعُودٍ	١٥٩
شاور فِي أَمْرك الَّذِينَ يخافون الله	عمر بن الخطاب	٢٩٧
الشَّمَاتَة لُؤْمٌ	أَكْثَم بن صَيفِي	٢٨٤
لَيْسَ مِن الكرم أن يَشمت الرَّجُل بصاحبه	أَكْثَم بن صَيفِي	٢٨٤

لا ينبل الرَّجُل بنوعٍ من العلم	عَبْد الله بن المُبَارَك	٣٧
كَان ابن عُمَرَ لَا يَأْكُل حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ	نافع	١٠١
كَان أهل الخير إِذَا التقوا يوصي بعضهم	أبو عون الكوفِي	١٤
كَانوا يتعلمون الهَدْي كمَا يتعلمون العلم	مُحَمَّد بن سيرين	١٤٧
كَان يجتمع فِي مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف	إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد البَغْدَادِي	١٤٨
كنت جالسًا عند عمر إذ جاءه	أبو محذورة	١٠٠
مَا قلَّت الآثار فِي قوم إِلَّا كثرت فيهم الأهواء	الإِمَام مَالِك	٣٣٠
واللهِ مَا استشار قومٌ قَطُ إِلَّا هُدُوا	الحَسَن البَصْرِي	٢٩٦
هكذا حَفِظْنا وهكذا	الإِمَام مَالِك	٧

فهرس الأبيات الشعرية

فِهْرِسُ الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
ومَا مِنْ كاتِبٍ إِلَّا سَتَبْقَى	أحد الشعراء	٢٣٥
وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَن يَدْعُو أُجِبْهُ	ابنُ القَيِّمِ	١٨٤

فهرس المصادر المعتمدة

فهرس المصادر المعتَمَدة

١- الاسْتِذْكَارُ لابن عبد البرِّ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- الاستقامة لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. جامعة مُحَمَّد بن سعود – الرياض.

٣- الإشاعة لأَشْرَاط السَّاعَةِ للبرزنجي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. عالم الكتب – بيروت.

٥- الآداب الشرعية والمِنَح المَرْعِية لابن مفلح الحنبلي / ط. عالم الكتب – بيروت.

٦- الأدب المفرد للبخاري تخريج الشَّيْخ الأَلْبَانِي / ط. دار الصديق للنشر والتوزيع.

٧- الأذكار للإمام النَّوَوِي / ط. دار ابن كَثِير – دمشق.

٨- أضواء البيان فِي إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي / ط. دار الفكر – بيروت.

٩- الأعلام للزركلي / ط. دار العلم للملايين – بيروت.

١٠- الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام / ط. دار المأمون للتراث – سوريا.

١١- إحياء علوم الدين للغزالي / ط. دار المعرفة – بيروت

١٢- الإصابة فِي تمييز الصَّحَابَة لابن حجر / دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣- إعلام الموقعين عن رب العَالَمِينَ لِابْنِ القيِّمِ /ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤- إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيْطَان لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

١٥- الأمر بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية

/ ط. وزارة الشؤون الإِسْلَامِيَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

١٦- بهجة قلوب الأبرار للسعدي / ط. دار الرشد – السعودية.

١٧- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ط. المكتب الإِسْلَامي – بيروت.

١٨- التبصرة لابْن الجَوْزِي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٩- التبيان فِي أقسام القرآن لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٢٠- التحرير والتنوير لمُحَمَّد الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور / ط. الدَّار التونسية للنشر – تونس.

٢١- تحفة الأحوذي للمُبَارَكفُورِي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكَاني / ط. دار القلم – بيروت.

٢٣- تحفة المودود بأحكام المولود لِابْنِ القيِّمِ / ط. مكتبة دار البيان – دمشق.

٢٤- الترغيب والترهِيب للمنذري / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥- التعريفات للجرجاني / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٦- تفسير البَغَوِي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧- تفسير السَّعْدِي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٨- تفسير الطَّبَرِي / ط. دار الفكر – بيروت.

٢٩- تفسير القُرْطُبِي / ط. دار الشعب – القاهرة.

٣٠- تفسير ابن كَثِير / ط. دار الفكر – بيروت.

٣١- التوقيف عَلَى مهمات التعاريف للمناوي / ط. عالم الكتب – مصر.

٣٢- التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي / ط. مكتبة الإِمَام الشافعي – السعودية.

٣٣- جامع الأصول فِي أحاديث الرَسُول لابْنِ الأَثِيرِ / ط. مكتبة دار البيان – سوريا.

٣٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ط. دار ابْن الجَوْزِي –السعودية.

٣٥- جامع الرسائل لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٣٦- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٧- الجامع لأَخْلَاق الراوي وآداب السامع للخطيب البَغْدَادِي / ط. مكتبة المعارف – السعودية.

٣٨- الجواب الكافِي لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار المعرفة – بيروت.

٣٩- حلية الأَوْلِيَاء لأبي نعيم الأصفهاني / ط. دار الفكر – بيروت.

٤٠- حلية طالب العلم لبكر أبو زيد / ط. دار العاصمة – السعودية.

٤١- دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالِحِين لابن علان الشافعي / ط. دار المعرفة – بيروت.

٤٢- الذريعة إِلَى مكارم الشريعة للأصفهاني / ط. دار السَّلَام – القاهرة.

٤٣- الرسالة التبوكية لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار عالم الفوائد – السعودية.

٤٤- الروح لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٦- رَوْضَة العُقَلَاءِ ونزهة الفضلاء لابْنِ حِبَّانَ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧- رياض الصَّالِحِين للنووي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٨- زاد المعاد لِابْنِ القيِّمِ / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٩- الزواجر عن اقتراف الكَبَائِر لابن حجر الهَيْتَمِي / ط. دار

الفكر – بيروت.

٥٠- سبل السَّلَام المُوَصِّلة لبلوغ المرام للصنعاني / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٥١- السلسلة الصحيحة والضعيفة للشيخ الأَلْبَانِي / ط. دار المعارف – السعودية.

٥٢- سنن التِّرْمِذِي / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٣- سنن أبي داود / ط. المكتبة العصرية – بيروت.

٥٤- سنن الدَّارمي / ط. دار المغني – السعودية.

٥٥- السنن الكبرى للنسائي / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٦- سنن ابن ماجة /ط. دار إحياء الكتب العربية – بيروت.

٥٧- شأن الدعاء للخطابي / ط. دار الثقافة العربية.

٥٨- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن عثيمين / ط. دار الوطن – الرياض.

٥٩- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن دقيق / ط. مؤسسة الريان –

بيروت.

٦٠- شرح رياض الصَّالِحِين للشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن – الرياض.

٦١- شرح الزرقاني عَلَى موطأ الإِمَام مَالِك / ط. مكتبة الثقافة –القاهرة.

٦٢- شرح السُّنَّة للبغوي / ط. المكتب الإِسْلَامي – بيروت.

٦٣- شرح صحيح البُخَارِي لابْنِ بَطَّالٍ / ط. دار الرشد – السعودية.

٦٤- الشَّرْح الممتع للشيخ ابن عثيمين / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٦٥- صحيح ابْنِ حِبَّانَ / ط. الرسالة – بيروت.

٦٦- صحيح البُخَارِي / ط. دار الأفكار – بيروت.

٦٧- صحيح الترغيب والترهِيب للألباني /ط. دار المعارف – السعودية.

٦٨- صحيح الجامع الصغير للألباني / ط. المكتب الإِسْلَامي – بيروت.

٦٩- صَحِيح مُسْلِم / ط. دار المغني – السعودية.

٧٠- صيد الخاطر لابْن الجَوْزِي / ط. دار القلم – سوريا.

٧١- طبقات الحنابلة لأبي يعَلَى / ط. دار المعرفة – بيروت.

٧٢- الطرق الحكمية فِي السياسة الشرعية لِابْنِ القيِّمِ / ط. عالم الفوائد – السعودية.

٧٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابْن القَيِّمِ – السعودية.

٧٤- عمدة القاري شرح صحيح البُخَارِي للعيني / ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٦- فتاوى اللجنة الدَّائمة بالسعودية / ط. رئاسة إدارة البحوث

العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض

٧٧- فتاوى نور عَلَى الدرب لابْن بَاز / ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – السعودية.

٧٨- فتح الباري شرح صحيح البُخَارِي لابن حجر / ط. دار المعرفة – بيروت

٧٩- فتح الباري شرح صحيح البُخَارِي لابن رجب / ط. مكتبة الغرباء – السعودية.

٨٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني / ط. دار ابن كَثِير – دمشق.

٨١- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي / ط. دار المِنْهَاج – السعودية.

٨٢- الفروسية لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الأندلس – السعودية.

٨٣- الفقيه والمتفقه للخطيب البَغْدَادِي / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٨٤- الفوائد لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٥- فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤُوف المُنَاوِي / ط. المكتبة التجارية – مصر.

٨٦- القول المفيد عَلَى كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

٨٧- لسان العرب لابْن مَنْظُور / ط. دار صادر – بيروت.

٨٨- الكافية الشافية فِي الانتصار للفرقة الناجية (النونية) لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار ابن تيمية – مصر.

٨٩- الكَبَائِر للذهبي / ط. دار التراث – السعودية.

٩٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابْن الجَوْزِي / ط. دار الوطن – السعودية.

٩١- الكُنَى والأسماء للدولابي / ط. دار ابن حزم – بيروت.

٩٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. مكتبة ابن تيمية – مصر.

٩٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصفهاني /

ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.

٩٤- مدارج السالكين لِابْنِ القيِّمِ / ط. دار الكتاب العربي – بيروت.

٩٥- مدارك النظر فِي السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية للرمضاني / ط. دار الفرقان – الإمارات.

٩٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط. دار الفكر – بيروت.

٩٧- المستدرك عَلَى مجموع الفتاوى لابن تيمية / ط. باعتناء مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن قاسم.

٩٨- مسند الإِمَام أحمد / ط. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٩٩- مسند أبي يعَلَى الموصلي / ط. دار المأمون للتراث – دمشق.

١٠٠- مشارق الأنوار عَلَى صحاح الآثار للقاضي عياض / ط. مكتبة العتيقة.

١٠١- المصباح المنير فِي غريب الشَّرْح الكبير للفيومي / ط. المكتبة

العلمية – بيروت.

١٠٢- مصنف ابن أبي شيبة / ط. مكتبة الرشد – السعودية.

١٠٣- معجم الأوسط للطبراني / ط. دار الحرمين – القاهرة.

١٠٤- المغني لابن قدامة / ط. عالم الكتب – بيروت.

١٠٥- مفتاح دار السَّعَادَة لِابْنِ القيِّم / ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٦- المفردات فِي غريب القرآن للراغب الأصبهاني / ط. دار القلم – سوريا.

١٠٧- المفهم لمَا أشكل من تلخيص كتاب مُسْلِم للقرطبي / ط. دار ابن كَثِير – سوريا.

١٠٨- مكارم الأَخْلَاق للشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن – السعودية.

١٠٩- المنتقى شرح الموطأ للباجي / ط. مطبعة السَّعَادَة – مصر.

١١٠- المِنْهَاج شرح صَحِيح مُسْلِم بن الحجاج للنووي / ط. دار

المعرفة – بيروت.

١١١- الموافقات للإمام الشاطبي / ط. دار المعرفة – بيروت.

١١٢- النبوات لشيخ الإِسْلَام ابن تيمية / ط. أضواء السلف – السعودية.

١١٣- النهاية فِي غريب الحديث والأثر لابْنِ الأَثِيرِ / ط. المكتبة العلمية – بيروت.

١١٤- نيل الأوطار للشوكَاني / ط. دار ابْن الجَوْزِي – السعودية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلِّف.. ٥

اللهَ اللهَ فِي السرائر! ٩

عَلَى مَاذَا تُنَافِس؟!... ١٩

مَا أجملَ التبسُّمَ عند لقاء أخيك المسلم! ٢٩

غلاء الأَسْعَار ... أَسْبَاب ... وعلاج ٣٩

ظاهرة تَشَبُّه الرِّجَال بالنِّسَاء والعَكْس! ٥٣

رِسَالة تَذْكِيرٍ إِلَى خُطَبَاء المسَاجد...................................... ٦٧

داءُ الغِشِّ! ٨٣

تَذْكِير الأَغنِياء بفَوَائِد الجُلُوس مَع الفُقَرَاء ٩٥

تَذْكِيرُ الأَخْيَار أنَّ قَبول الاعتذارِ مِن شِيَمِ الكبار ١١١

أيُّ الأَنْفُس تُريد أنْ تُصاحِب؟! ١١٩

المنُّ بالصَّنِيعَة!...١٢٩

السَّمْتُ الصالح ١٤١

داءُ الرِّشوة!.. ١٥١

التَّذْكِير بمَا للكَلِمة الطَّيِّبة مِن فَضْلٍ كَبِيرٍ.................... ١٦٥

التَّذْكِير بمَا للدُّعاء مِن فَضْل كَبِير ١٧٧

التَّذْكِير بمَا لِصَلاة الوِتْر مِن فَضْل كَبِير ١٩١

التَّحْذِير مِن مُسابقَة الإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ ٢٠٣

إِيَّاكَ مِن التَّنفيرِ أَيُّها الدَّاعيةُ! ٢١٣

أَقْلَامُ اليَوْمِ! ٢٢٥

إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ٢٣٧

قَصَّات شَعْر بَعْضِ الشَّبَاب اليَومَ! ٢٤٧

نِعْمة الأُلْفَة بَين المسْلِمِينَ.................................. ٢٥٩

شُكر النَّاس ٢٦٩

رسالة إِلَى كلِّ مَن يَشمت فِي أخيه! ٢٨١

تَذْكيرُ المسْلِم بفَضْلِ المشُورَة!.............................. ٢٩١

التَّذْكِيرُ بمَا فِي الإِنْظَارِ أَو العَفْوِ عَنِ المعْسِرِ مِنْ أَجْرٍ كَبِيرٍ ٣٠٣

غَيرةُ المؤْمِنِ ٣١٥

تَحْذيرُ الفُضَلاءِ مِن خُلُقِ الجفَاءِ ٣٢٥

رِسالةٌ إِلَى الطَّاعِنين فِي الأَنْسَاب! ٣٣٥

فِهْرِسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ ٣٤٩

فِهْرِسُ الأَحَادِيثُ النبَّوِيَّةُ ٣٦١

فِهْرِسُ الآثَارُ ٣٧١

فِهْرِسُ الأبيات الشعرية ٣٧٥

فهرس المصادر المعتَمَدة ٣٧٩

فهرس الموضوعات ٣٩٥